فاطمة

او

الفتاة المعذبة

رواية — مصرية — واقعية

(من أحب كثيراً عذب كثيرا)

(السعيد)

بقلم

الاستاذ

محمد السعيد محمد

الطبعه الاولى سنة ١٩٣١

obeikandl.com

الفصل الأول

ساد السكون . سكون عميق مظلم. وتجمع كما تجمعت السحب على وجه القمر فى تلك الليلة التى جلست فيها العجوز هاجر تتطلع من نافذة غرفتها الى المدينة وعلامات الغضب تبدو فى عينيها وعلى فمها ابتسامة هادئة قاسية

وقبيل العشاء بقليل وصلت فاطمة الى المنزل ورأتها هاجر من خلال نافذتها . وإذ سمعت وقع خطوات قدميها الصغيرتين فى البهو قامت مسرعة وجرى بينهما الحوار الآتى

هل اعددت طعام العشاء يافاطمه ،

لا . لم يتم اعداده بعد

وكانت لهجة الفتاة تنم عن شيء من العصيان وعدم الطاعة فكان رد هاجر فاقاطعا . وكلماتها شديدة قاسية . وطالما انتظرت هذه اللحظة التى تعلن فيها عصيانها لامرأة أبيها لما كانت تظهره الاخيرة من انواع الشدة فى معاملتها . وارادت الفتاة ان تتخلص من تلك المعاملة القاسية التى كانت تقابل بها كل يوم فانفجر بركان غضبها فجأة فى تلك الليلة لسبب بسيط فى ذاته ،

لم تعرف فاطمة الهناء فى بيت زوجة ابيها وتألمت كثيرا بعد

وفاة والدتها . وقضت زهرا من الزمن فى هذا البيت عرفت فيه معنى الذل والارهاق . واحتملت مكرهة مغلوبة على أمرها كل صنوف الشقاء. ارهقها زوجها بيها كما هى العادة ظلما وعدوانا فقضت اعواما فى تألم مرهق ونكد دائم وعيشة منغصة

نظرت العجوز هاجر وهى امرأة نحيلة قوية المزاج حاد المراطف الى فاطمه نظرة وقالت حاده بدهشة واستغراب

— اتوجهين الى الكلام يافاطمه

— ليس هناك مايدعو الى الدهشة . ولا يوجد هنا من أوجه اليه الكلام غيرك .

فاقتربت هاجر من الفتاة والشرر يتطاير من عينيها وقالت.

— لقد أوصيت بان يكون أعداد طعام العشاء فى الساعة الثامنه دائما . فان كنت للآن . . وهل لتأخيرك هذا من عذر أو سبب

— نعم كنت الليلة فى (السينما)

— حقا هل بدأت يافاطمه تعامليني من الآن وفى منزلى بهذه المعاملة . لقد كان الاجدر بك ان تصبرى حتى توفق الى زوج يضمن لك السعادة أو تبحثى عن عمل يقوم بودك ويرحمك من عيشتى السيئة.

— نعم لقد بحثت عن عمل لى قبل اليوم

— أتمنى أن يتحقق ذلك يافاطمة .

والحقيقة انها كانت قد اعتزلت مهنة التعليم التى كانت تشتغل بها منذ اسابيع فقط بعد ان تركت وظيفتها فى احدى مدارس الاسكندريه . . ولكنها ماكانت لتحتمل قوة هذه المرأة اكثر مما احتملت . واعتزمت الابتعاد عن رؤية وجهها وسماع صوتها

— نعم وجدت عملا اشتغل به . ولذا عولت على السكنى بالقرب من محل عملى .

— متى . وانى يكون ذلك ياعزيزتى ؟

فقاطعتها فاطمة قائلة .

ـ هذا لا يعنيك مطلقا لانك لم تهتمى بى أبداً . بل عاملتينى منذ تزوجت بوالدى بقسوة ما كنت لانتظرها منك . ومن يوم وفاته جعلتينى اشعر بان حياتى متوقفة عليك . . حتى لقد كرهت الطعام الذى اتناوله منك . والآن قضى الامر بينى وبينك .

فاصفر وجه هاجر قليلا لانها كانت تعلم ان جيرانها كانوا يتحدثون عنها وعن معاملتها لفاطمه . وخشيت ان ينقلب حديثهم الى انتقاد مر اذا ابتعدت الفتاة عن المنزل فخاطبتها بصوت فيه رنة خوف وفزع لم تتمكن من اخفائها قائلة .

— ومتى تبدأ بن هذه الحياة الجديده اى عزيزتى فاطمه ؟

— من الليلة بل من الآن !

وما كادت تنطق بهذه الكلمات حتى اسرعت بنزع معطفها ولبسته بسرعة . فاقتربت هاجر منها وصاحت .

— انتظرى قليلا .. تمهلى أى صغيرتى الحسناء .. ان أمنيتى الوحيدة ان تصونى لسانك من العثار ..

— مع السلامة ياهاجر . سوف لاتمتع برؤية وجهك الصبوح بعد اليوم

ثم اسرعت واتجهت نحو الباب ومنه سارت الى الفناء الخارجى ثم الى الشارع

— انتظرى .. انتظرى يافاطمه .. اسمعى ما . . . . . .

ولكن فاطمه كانت قد غابت عن الانظار

فاسرعت هاجر الى الشارع وجرت خلف الفتاة فى الظلام وهى تصيح

— فاطمه . فاطمة . الى يافاطمه . . . . . .

ولكنها لم تسمع الا صدى ندائها يتردد وسط سكون الليل البهيم . اما الفتاة فانها بعد ان اطمأنت على سلامتها وقفت فجأة ونظرت حولها الى شوارع الاسكندرية المظلمة . . . .

اصبحت فاطمه بلا عمل تشتغل به أو منزل تأوى اليه . أو مكان معين تقصده فماذا تفعل ؟ وأين تذهب ؟ ؟

الفصل الثانى

وقفت فاطمه قليلا حائرة مشتتة البال . وأخذت تفكر طويلا فى أمرها ثم قالت

— ليس أمامى الآن الا عزت بك . ولكن من يضمن لى ان يكون صادقا فى وعده اليوم كما اكده لى بالامس . الا أنها ارتاحت قليلا الى هذه الفكرة وتذكرت انه يقيم مع زوجة خارج المدينة .

نشأ عزت بك صديقا حميما لاخيها احمد وهو فتى جميل الطلعة رشيق القوام قوى الجسم انتسب الى خدمة الجندية وامتاز بالحذق لفنون الحرب . لبى نداء الشهامة والشجاعة أيام الحرب البلقانية مندمجا فى سلك رجال البحرية العثمانية وسرعان ماظهرت بسالته فى القتال كبطل من أبطال الحرب مما جعل فاطمه تزداد لاخيها حبا وهياما وعطفا وحنانا .

استهان احمد بالموت محبة فى الخلاص من الذل . وترك بلاده التى رضيت بالخزى والخزلان وسكن منها الحراك فامست لاتبالى عاشت أم ماتت . ارتفعت أم انخفضت . ترك بلاده مقدما نفسه ضحية للحرية التى رضع لبانها فامتزجت بدمه وآثر أن يستهدف للموت فى ساحه الوغى من ان يعيش ذليلا . وقد استظل بلواء

الواجب واستأثر بقانون التفاني فسافر متطوعا ملبيا نداء النجدة والشهامة والكرامه .

وبعد عودته من سفرته الاولى طلب الى عزت ان يرافقه في سفرته الثانيه فسافرا معا ضمن رجال البحرية على ظهر سفينة واحدة ولكن شاء الدهر . والدهر قلب . ان يسلب فاطمه من معبودها المقدس . وأن تفقد سريعاً اعز الناس لديها . ولقد قنعت الفتاة بان يكون اخوها سلواها عن الدنيا ونصيبها من الحياة ولكن الايام لم تشأ ان تبقي لها وجه عزاء فوصل اليها ولوالدها خبر فقد أخيها على لسان رفيقه عزت بعد عودته .

لم يشأ أحمد أن يشرب كأس الهوان في مصره . فسافر محاربا مدافعاً مقاتلا الى أن لقي حتفه... لم يشأ أحمد أن يخضع للذل ويركن الى الهدوء والسكون فقام ليدافع عن الحرية ضد غاصبيها ويذود عن اخوانه في الدين والعقيدة بعيداً عن وطنه وأهله فاستشهد في ساحة القتال سـ ع الرأس موفور الكرامة

مات أحمد و ، فقدت فاطمه ركنا من أركان شوكتها . . مات احمد وبموته انصدع بنيان عائلة يا كملها . . مات أحمد فبكته القلوب وشقت لاجله الجيوب . نعم لقد مات أحمد كبطل من أبطال الدفاع عن الحرية المهضومة مطمئن البال مرتاح الضمير . . .

ففى سبيل الله ذلك الشباب الناضر والروض الزاهر

أما فاطمه فاطمه الفتاة البائسة الكسيرة الخاطر فقد اسودت الدنيا فى عينيها وضاقت بما رحبت وانطفأت شعلة آمالها فلم يبق أمامها الا رماد من اليأس . ولا يعلم الا الله ما حملته تلك الفتاة المسكينة بين جنبيها بعد فقد أخيها من هموم وأحزان

والآن تذكرن فاطمه عهد صديقها عزت يوم أن حمل اليها الخبر وتذكرت موقفه معها وهى تودعه على باب المنزل وكلماته اليها حيث قال . — (كنت اود ان تقيمى باعزيزتى مع شقيقتى فى منزلها بالاسكندريه لتقوم بمساعدتك. وأذكرى دائما انى مستعد لمعونتك وطوع أمرك ورهن اشارتك فى كل وقت .. وارحمتاه . لقد كان احمد رفيقا طيب القلب هادىء الخلق

وكان عزت ممن يقدرون الصداقة حق قدرها . وكان اعتقاده دائما ان مواساة الاخوان والاصدقاء بين الفينة والفينة واجب محتم كل فرض مقدس على كل صديق فلم يقصر فى واجبه بل كان يقوم بالزياره ان المتواليه لفاطمة وهاله ما رآه فى زيارته الاخيره من التغير العظيم الذى طرأ على الفتاة وراعه الامر فدار بينهما الحديث الآتي

— كان الواجب أن تنتقلى يافاطمه الى شواطىء البحر وتتركى هذا المكان مادمت لاتشعرين فيه براحة النفس وهدوء البال

— هذا ماتمنيته ياعزيزى . ولكن ماكل مايتمنى المرء يدركه وطالما وددت أن اكون رجلا أشعر بشعوركم واحس باحساسكم لاتمكن من مجاراتكم فى التكون . والظهور واشاركم فى العمل والجهاد فى معترك الحياة فمتى يا آلهى تنال مركزنا الطبيعى بجانب الرجل . متى تتكسر تلك القيود الاستبدادية التى حبستنا عن التقدم دهوراً طويلة متى يسمحون لنا أن نربح بكدنا ما يكفى لسد حاجاتنا . وأخيرا متى يسمحون لنا ان نرفع رؤوسنا عن استحقاق لندخل ميدان الحياة عاملات نافعات .

فاجابها عزت قائلا — . اننى لاانكر ياعزيزتى حق المرأة فى اختيار مركزها فى الحياة . ولاانكر عليها مطالبتها بحقها المعلوم من العلم والحرية المحدودة . واعتقد حقا ان لها ماللرجل وعليها ما على الرجل وانى بكل سرور اشاركك فى شعورك واستحسنه كل الاستحسان . واودان اراك بجانبى تقومين بالواجب نحو نفسك واهلك ووطنك . . وأذكر ان هذا من الميسور بل قريب المنال . فقد صرح لى مدحت بك سكرتير البعثة الطبية المصرية بانهم فى حاجة ماسة الى ممرضات متعلمات

فتنهدت فاطمة وقالت — آه . ليتنى اتمكن من الذهاب ياعزت فاكون أول فتاة اقتحمت هذا الميدان . ومثالا لزميلاتى فى مستقبل

الايام .

وهكذا خلت فاطمة بنفسها حينا فتذكرت صديقها عزت وتذكرت حديثه القديم بعد ان اصبحت وحيدة منقطعة فى هذا العالم وشعرت بانها ستلق منه كل مساعدة وخاصة بعد أن أصبح الآن ضابطا أول وذا مركز سام بين رجال البحرية . واحتملت ان ان يكون بعيدا هو وزوجة عن مقر وظيفته باجازة رسمية . . . واذن فكيف السبيل الى مقابلته أو العثور عليه وهى لا تملك قرشا واحداً تستعين به على الانتقال من مكان الى آخر .

وفى اليوم التالى بعد أن مضت فاطمة ليلتها فى غرفة استأجرتها فى احد فنادق المدينة بما تبقى لديها من النقود عمت نحو الشاطىء باحثة عن صديقها عزت . وانها لسائرة فى طريقها على غير هدى تتنازعها الهواجس والافكار المقلقة اذا بصوت مرتفع ينادى قائلا — . أى شأن لك هنا يافاطمه . . . ؟

فاسرعت الفتاة نحو مصدر الصوت وتعلقت بذراعى صاحبه لانها شعرت وقتئذ بانها امام صديقها ومنقذها الوحيد عزت . وظلت تحدق فى وجهه بذهول ودهشة ومشت معه تقص عليه حوادث الليلة الماضية وشكت اليه قسوة العجوز هاجر وكيف كانت تنظر الى آلامها ودموعها نظرات الغبطة والسرور

حركت كلمات الفتاة قلب صديقها وكان وقعها عليه شديداً فرثى لحالها وحزن لحزنها. ولم يزل سائراً معها حتى انتهت من حديثها فقال

— أى عزيزتى فاطمة : . لاادرى والله كيف تحملت كل هذه الآلام القاسية مدة طويلة . واقسم لو كان لى مثل موقفك لقذفت بهذه العجوز من النافذة . وأن مجيئك الى لهو عين الصواب وستقيمين فى منزلى على الرحب والسعة حتى أعود من رحلتى القادمة :

— أذن ستسافر ثانية بعد ايام قلائل .

فنى عزت رأسه وقال — نعم يافاطمه انى ابتديت للقيام بعمل زهيل اصيب بمرض فجائى ولم استطع التخلص منه لان اسمى يليه فى القائمة وسأبحر بعد ساعات قليلة على ظهر الباخرة « عايدة » ووجهتنا طرابلس اولا ثم نعرج على ثغور شمال افريقيا ومنها نواصل رحلتنا الى الاستانة .

ففكرت فاطمة قليلا ثم قالت — هل يسعدنى الحظ ياعزت بالذهاب معك فى هذه الرحلة

— لا أظن هذا ميسورا وستذهبين معى الى منزلى وتقيمين مع زوجتى حتى أعود

فاصرت فاطمة على رأيها وقالت — أنى أفضل ان اكون عاملة

وممرضة بسيطة ساعدني ياعزت للحصول على اى وظيفة . ساعدني ياعزت ! ! كنت أود الاقامة مع زوجتك ولكني اميل الى العمل والحركة الدائمة . . أريد أن أرى البحر وان اتمتع بمنظره .

ففكر عزت كثيراً ثم جذب الفتاة فجأة من ذراعها وتوجها معا الى مكتب البعثة الطبية فجلست فاطمة فى غرفه الانتظار بينما غاب عنها وعاد بعد دقائق فقادها الى غرفة داخلية جالس فيها شيخ طاعن على مكتبه . وبمجرد دخولها نظر الرجل الى الفتاة نظرة طويلة وقدم اليها دفتراً وطلب اليها أن تمضى عليه فمضت من غير تفكير وخاطبها الرجل بعدها قائلا — . الآن انتهى كل شيء .

فرد عليه عزت قائلا — اشكرك يامدحت بك . انى لاأنسى لك هذا الصنيع ايها الصديق الوفى . تعالى ياعزيزتى فستبحر معا على ظهر سفينة واحدة .

فتبعته فاطمة ولما غادرا المكان سألته قائلة — مامعنى هذا وماذا جرى !

— لاشيء . وكل مافى الامر انك تطوعت بان تكونى ملحقه بالبعثة الطبية المصريه الى بلاد البلقان كممرضة والآن اسرعى فليس لدينا من الوقت متسع . فستبحر الباخرة (عايدة) بعد ساعات الى طرابلس وتونس أولا

الفصل الثالث

للجمال تأثير ظاهر فى نفوس الرجال . وبقدر محاسن المرأة تكون قوة هذا التأثير فى النفوس . الجمال للمرأة رأس مالها وهو فى ذاته يبهر العيون ويأسر القلوب وتميل اليه النفوس

شعر الناس بالجمال فقدروه . ونظر اليه كل واحد منهم نظرة خاصة . واجمع الكل على أنهم وجدوا فى الجمال ما يحبب اليهم الحياة .

للجمال سلطان قوى واستبداد مرغوب فيه . للجمال حكم يرضى عنه الرجل ويخضع لتأثيره . وفاطمة حسناء فى ريعان الشباب جميلة خلابة . لها وجه زاده الجمال سحرا والنور جلالا . ممتلئة الجسم طويلة القامة بيضاء مشربة بالحمرة ذات شعر اسود مسترسل . متعلمة رشيقة . حلوة الحديث رقيقة العاطفة ذات عقل راجح وقلب ثابت ورأى صائب .

رآها حسناء ذات محاسن نادرة فبهره الحسن وجذبه الجمال الفتان . فتطلع اليه طامعا . ونشط اليها مجازفا . أخذ جمالها بمجامع قلبه وشغف بها شغفا كاد يذهب بعقله . وسترى ما للجمال من التأثير الظاهر فى أفئدة الرجال

— حقا انك ذات ملاحة وجمال باهر

حولت فاطمة نظرها الى الوراء وشعرت بحمرة الخجل تعلو خديها : وكان امامها فى هذه اللحظة رجل طويل اسمر اللون رشيق القوام — وكانت قد صعدت الى ظهر الباخرة لتمتع ناظريها بجمال الطبيعة وتستقبل بارتياح وابتهاج نسيم الليل العليل — فالتفتت اليه وقالت

صبراً سيدى . فليست هذه السبيل لخاطبة الفتيات الشريفات وليس هناك مايدعو لمخاطبتى بهذه اللهجة.

— أيتها المغرورة . ستكونين لى فى ساعة لا يمكنك فيها ممانعة رغبتى . . . ثم تركها وانصرف

سمعت فاطمة كلمات الرجل الاسمر وهى ممتقعة الوجه مرتجفة تبدو على وجهها دلائل الانزعاج الشديد . وقد تطرق اليها الخوف من لهجته فتركته واسرعت الى غرفتها قلقة مضطربة بينما كان قلبها يخفق بسرعة خفقانا شديدا . وكان من الواجب أن تسرع الى عزت تقص عليه ماجرى الا أنها قاومت هذه الفكرة . وظنت ان من الحماقة بل من البلاهة الشكوى من أمر كهذا وبخاصة لان هذا أول حادث من نوعه رأته الفتاة بعد أن غادرت الباخرة (عابده) ميناء الاسكندريه . وان لم تكن أول مره خافت فيها فاطمة من نظرات هذا الرجل الطويل الاسمر ولقد بحثت عنه فوجدت أن اسمه

(سلطان بك) ومن يوم ان وقع نظرها عليه لاول مره ومنذ ان ابتدأ هذا الرجل فى مراقبتها احست فاطمه بان وراءه لغزا بل سراً خفيا. وصممت على ردعه وزجره اذا أقدم على مخاطبتها مرة أخرى .

وفى يوم صحو قامت فاطمه مبكره بخلاف عادتها وكان لديها من المشاغل ما أشغل بالها وألزمها العمل المستمر طويلا. وبعد فراغها استأذنت فى الصعود الى ظهر الباخره لتروح النفس من عناء العمل.

وكان الجو هادئا جميلا والليل مخيم بسكونه وهدوئه فتنهدت فاطمة تنهد الارتياح والابتهاج وهى تنظر الى مشاهد الطبيعة ثم توجهت الى قيدوم السفينة ووقفت تناجى نفسها قائلة — انى سعيدة لتطوعى وقبولى هذا المركز لانه على الاقل ابعدنى عن الاسكندرية وضوضائها ومزدحم الحياة فيها.. حقيقة ان العمل الذى اقدمت عليه شاق متعب ولكنى ساجد من الانس بمشاهد الطبيعه المختلفة والاغتباط بها ما ينسينى عناء هذا العمل.

ثم نظرت الى هدوء البحر وتنهدت تنهد الغبطة والارتياح واذا بصوت هادىء قطع عليها خيالها قائلا أنت هنا يا فاطمه....

فانقطع نفس الفتاة فجأة والتفتت خلفها ..... سلطان بك مرة اخرى ..... وكان يرتدى هذه المرة بيجامته وفى صدره ماسة كبيرة وفى يده سيكارة هافانية .

وحاولت فاطمة التخلص ولكنه اسرع ووضع يده على كتفها واقترب منها برقة ولطف ثم قال — اى غادتى الحسناء. لماذا تنفرين منى عند رؤيتى. حقا انك جميلة فتانة ولكنك تتوهمين هنا بعمل حقير كممرضة بسيطة وقد خلقت لان تكونى اميرة وسيدة قصر عظيم.

فارتعدت الفتاة وحاولت التخلص مرة اخرى ثم صاحت.. دعنى اذهب.. دعنى اذهب....

فنظر اليها سلطان بك باهتمام وقال بصوت مبحوح منقطع اى فتاتى الصغيرة ها انا اعرض عليك قصرا تقيمين فيه. وخدما وعبيداً تحت امرتك. وجواهر تنثر تحت قدميك. ولآلىء ثمينة تحلين بها شعرك الجميل.. فماذا تقولين..؟ اننى مذرأيتك يافاطمة وانا مصمم على التعرف بك والتودد اليك.. فما رأيك؟

فقاطعته فاطمة شدة قائلة.. رجوك. اتركنى وشأنى.. لاأريد ان اسمع.. لست..... ولكنه لم يحفل بتوسلاتها بل طوقها بذراعيه وجذبها الى صدره وانهال عليها تقبيلا. ثم قال ان غرامى بك عظيم. واودان تكونى لى ولى وحدى يافاطمة»

فصاحت الفتاة وهى تنظر اليه بعينين ملؤهما الخوف الشديد قائلة — رحماك يا الهى. ابتعد عنى ايها الجبان.. وحاولت التخلص منه ولكنه ضحك وقال (ايتها الساحرة. قبليني فانت لى من الآن

وستعيشين بين جدران قصرى العظيم وتهيمين بى وتنسين كل مخلوق سواى)

ولم تمض لحظه قصيرة حتى شعر سلطان بك بيد قوية قيدت ذراعيه وبصوت حاد تردد فى الفضاء قائلا ـ دعها ياسلطان بك.

فدار سلطان بعنف الى الخلف ثم ضحك بجأة وقال ـ آه. القبطان ان زيارتك الآن غير ملائمة ووصولك فى هذه اللحظه غير لائق.

ولم تمض برهة حتى كان القبطان عفت امام سلطان بك وجها لوجه . ولم تكن فاطمة قد رأته كثيراً بل سمعت عنه من عزت لان وظيفتها لم تسمح لها بالاكثار من رؤيته . وكان عفت شابا صغيراً وبحريا ماهراً وضابطاً نشيطاً . اشتهر بالشجاعة وكرم الاخلاق وشرف النفس وقضى ردحا من الزمن فى خدمة البحرية العثمانيه

وقف عفت تلك الليلة تحت ضوء القمر ونظر الى الرجل نظره طويلة قاسيه ثم صاح قائلا ـ اذهب الى حجرتك ياسلطان بك.

فاحمر وجه سلطان ولمعت عيناه بنظرة وحشية وصاح ـ كيف تسر على اصدار اوامرك الى بهذه اللهجه . ولمن ظننت انك توجه هذه الكلمات . ساذهب الى غرفتى فى اى وقت اريد .

وأنا لا أريد ان أذهب اليها الآن .

ـ لكنك سرغم على الذهاب توا .

— لا . سابق هنا .. وأعلم يا عفت انى لم أطمئن لسلوكك وشعورك نحوى طول هذه الرحلة

وربما كان ذلك لانى سافرت باسم (سلطان بك) فقط .

— لا يهمنى ذلك ودعنا من الاسماء يا سيدى . فيجب أن تذهب الى غرفتك حالا .. انى ربان الباخرة ويجب أن تطاع أوامرى طاعة عمياء .

فانسحب سلطان بك بهدوء وهو ينظر الى الفتاة نظرة غضب وتهديد أعقبها بضحكة عالية ثم أخرج سيكاراً من علبته الذهبية وقال — سأذهب ولكن لن أنس تصرفك معى يا عفت .. مساء الخير يا فاطمة . ثم ترك المكان وتوجه الى غرفته .

أعقب هذا سكوت طويل وكانت الباخرة « عايدة » تشق طريقها وسط البحر الهادىء . وأخيراً التفت عفت الى الفتاة وسألها عن اسمها ثم قال آه لقد تذكرت . فانت فاطمة التى طالما حدثنى عنها عزت بك . ثم استطرد حديثه قائلا هل حصل منه مثل هذا قبل اليوم

— نعم أنه كلمنى مرة سابقة وانى أشعر بكراهية وخوف حينما ينظر الى .

— فهمت والآن اذهبى الى غرفتك . واعلمى ان لا أرى مرة أخرى على ظهر الباخرة فى ساعة متأخرة . وأذا أقدم هذا الرجل على مخاطبتك مرة ثانية فاخبرنى فى الحال .

ثم ودعها وذهب .

وأسرعت فاطمة الى غرفتها وقلبها يدق دقات سريعه. وحمره الخجل تعلو خديها ونار الغضب تتقد في صدرها وتوارت في غرفتها عن انظار القبطان الذي كان يتبعها بنظراته ونار الشوق تستعر في فؤاده.

الفصل الرابع

نعود الآن الى عزت فنقول أنه قابل فاطمة ودار بينهما الحديث الآتي

— أي فاطمة . لايليق برجل متزوج مثلي أن يراه الناس وبصحبته أجمل فتاه على ظهر الباخره وحرصا على سمعتي وسمعتك يجب الا يشاهدنا احدهما في ميناء تونس . اما اذا تمكنت من النزول الى البر فسالحق بك واوافيك في «القهوه الحديثه» وأشار اليها التي تقع في الجهه الشمالية من المدينة ويديرها رجل سوداني اسمه (الحاج احمد بلال) كان جندياً في أقسام الحدود المصريه . اذهبي الى هناك وأخبري صاحبها بانك آتية من قبلي وهو يعتني بك حتى قدومي وسأحضر بعد عشر دقائق على الاكثر وبعدها نذهب معا لزياره المدينة .

فابتهجت فاطمه وخصوصاً عند ماوقع نظرها لاول مره على البلاد التونسية لانه لم يدر بخلدها قط ان تتحقق احلامها سريعا ومن غير تعب ولكم تمنت ان تكون رجلا لتفوز بهذه الامنية .

والآن وروائح الصحراء تتصاعد حولها وقفت فاطمه تتأمل فى المشهد المحيط بها من أشجار النخيل المتعانقه الى البلده الصغيره التى ازدحمت شوارعها بسكان دخلاءهم خليط من العربان والامريكان والانجليز والفرنسيين والطليان ثم الى الرمل الممتده بعيداً على شكل مرتفعات متموجة . وتساءلت هل يتاح لها حقاً التمتع بمناظر الى الصحراء ببقاء الباخره «عايده» راسيه فى ميناء تونس عده أيام أم تغادرها على أن تعود اليها مره ثانيه . ولكن عزت الذى لحق بها بعد دقائق فقط لم يوافقها على ظنها وقال — كان بودى ان تمضى وقتاً غير قصير فى زياره المدينه الليلة ولكن ابى الحظ السيء الا معاكستنا لاننا سنبحر حالا تنفيذا للاوامر التى صدرت اخيراً ... رباه هاهو القبطان عفت بك

فانتعضت فاطمه فى الحال . وشعرت برعشة خفيفة لان هذه كانت أول مره ستقابل فيها الربان وجها لوجه منذ افتراقهما على ظهر الباخرة تلك الليلة . ثم تطلعت فرأته أمامها وهو يبتسم لحياها ثم قال

— انى مغتبط الآن ياعزيزتى بعد أن اصبحت تحت رعاية صديقى عزت ....

وسرعان ماتقدم عزت الى عفت وقال — هل تقبل البقاء معها دقيقة أو دقيقتين لانى ذاهب الى صندوق البريد وأخشى ان

أتركها وحيدة فى هذا المكان

نعم قول صادر عن شريف عاطفة وحسن نية جدير بأن ان أقبله طوعا لاكرها

وقبل أن تحتج فاطمه أو تظهر عدم موافقتها غاب عزت فى لحظة عن الانظار .

وقفت عفت امام الفتاة وعلى ثغره ابتسامة وقال — هل تأذنى لى بالجلوس ؟

فابتسمت فاطمه وهى تشعر بالفرق الهائل بينهما. فهى ممرضه بسيطة وهو ربان الباخرة «عايدة» — وقالت بحدة :— ولم لا : ؟

فقاطعها عفت فجأة قائلا — لم يخطر ببالى ان تغضبى منى بسرعه ولغير ما سبب

فتردد الفتاة ونظرت اليه نظرة استفهام وقالت — لم أغضب وأرجو أن تتكرم بالافصاح عن غرضك الحقيقى ياسيدى ليرتاح ضميرى ويطمئن خاطرى .

فاجابها عفت بسرعة قائلا — ساعترف بالحقيقة انى اتفقت مع صديقى عزت على أحضارك هنا ثم تركنا مسافى خلوة كما فعل الآن وهاهو قد ابر بوعده . فما رأيك ؟ وهل أغضبتك . ؟

فاحمر وجه الفتاه حياء وخجلا وخفق قلبها وتراجعت الى الوراء تحت تأثير نظراته الساحره وتساءلت فى نفسها عن سبب

اخفاء غضبها وعدم اظهاره فى هذه اللحظة. ومع أنه نظر اليها بعطف وحنان. وطريقته فى الافصاح عن غرضه كانت مقبولة وفى حدود الادب الا أنها صممت على عتاب صديقها عتابا شديداً وتمتمت قائلة — سيدى. لا افهم معنى لما تقول. فلماذا لا تنطق بالحقيقة ولماذا لا تصرح بغرضك الحقيق ؟

فاقترب منها وقال — فاطمة تعلمين أننى ربان السفينة ولذا لم احاول الاقدام على أى عمل فى دائرة وظيفتى. وكنت مدفوعا الى تلك الليلة بعامل الانسانيه والعطف والحب والحنان وآمل ان يكون هذا الشخص قد امتنع فعلا عن معاكستك.

فهزت فاطمة رأسها شاكره وقالت — نعم. واذكر اننى لم أره بعدها مره ثانية.

— يسرنى ذلك ويسرنى أيضا انه غادر السفينة. والآن احذرك يافاطمة من شر هؤلاء الرجال. لانهم منتشرون هنا بكثره فيجب ان تبتعدى عنهم بكل مالديك من قوه.

— نعم سافعل ذلك باذن الله.

ثم ساد بينهما سكوت عميق أعقبه ضحكة عاليه وقال

— فاطمة. لا أريد أن أطيل عليك حديثى فقد تملين الاطالة وتبرمين بالتكرار. كل ما أريد أن اعلنه لك انى اضطررت للاعتراف والافصاح عند غرضى وأن أظهر لك حبى وهيامى بك

انى أحبك ولا أطيق فراقك . ولعلك تذكرين تلك الليلة . ليلة سحرتنى عينيك الناعستين ولازلت الى الساعة مأخوذا بتأثير ذلك السحر . . . فلا تغضى الطرف عنى ولا تغضبى منى اى حبيبتى فاطمة لقد قص على عزت حكايتك وساكون لك الصديق الاوفى والعون الاكبر كما كان لك أخوك من قبل . . . انى اميل اليك ميلا يعجز القلم عن وصفه لان القلم جماد والميل حى . وشتان بين الميت والحى .

فنظرت اليه الفتاه لحظة وقالت بلهجة صريحة ـ شكراً لك . فما اكرم عاطفتك وما أكبر تأثيرها فى قلبى الضعيف

فاجابها عفت بهدوء — أود أن . . . .

فادركت فاطمة معنى كلامه وتمكنت عينها من النفاذ الى قلبه . واحست بوقع نظراته عليها . فتورد وجهها فجأة وعلت خديها حمره الخجل ومكثت تغالب عواطفها وشعرت بدافع لا تستطيع مقاومته يغريها على الكلام فقالت بجرأة ـ هل كنت من رجال البحريه المدسريه ياعفت ؟

فنظر اليها وقال ـ نعم . ويبدو لى أنهم أخبروك بذلك وأنت فى السفينة حقا كنت من رجال البحرية ولكن شاء قسوه الظلم واضطهاد المستعمران أترك وظيفتى . ولم يكن هذا نتيجة خطأ أو تقصير بل هى سياسة الاستعمار والاستعباد تعمل دائما على قتل الروح

الوطنيه العاملة فى النفوس الابية العالية .. والآن الى اللقاء. فقد حضر عزت واظنك على موعدمه للذهاب لزياره المدينة. أليس كذلك ؟

فتمتمت الفتاه ببطىء وبصوت خافت قائله ـ لاتذهب ؟

فانحبس نفسه ونظر اليها وقال ـ لماذا ؟ يجب أن أذهب الآن أن خطيبتى تنتظرنى بالقاهره ولشد مايكون قلقها وعتبها على اذا لم اكتب اليها من كل ميناء رسو عليه . فيجب أن اذهب . مساء الخير . وانت ياعزت اذهب مع فاطمة لتريها مشاهد الطبيعه الصامته. ؟

غادر عفت المكان بينما وقفت فاطمة تشيعه بانظارها . وقد غاصت فى لجة الغرام التى طغفت عليها . ولم يكن خضوعها شاذاً فقد تغلب عليها الضعف النسائى وفاز عليها فوزاً . مبيناً .

وفاطمه ككل فتاه لها غريزة الابتهاج بكلمات الاطراء والاعجاب بها . وليس لها امام نظرات الشاب وتوسلاته سلطان على قلبها. ومتى كان فى استطاعة الفتاه ان تستعصى على الحب اذا ناداها؟

سمعت فاطمه كلمات عفت واشتغل بالها بامره واستغل قلبها بحبه فوقفت تحدث نفسها قائلة ـ ان له خطيبه فى مصر تنتظره فلماذا ينظر الى هذه النظره . . هل تحول عنها . . !وهنا ابتسمت ابتسامه تدل على الفوز والرضا ثم قالت ـ حقاً انه ليس كباقى الشباب وحقا أنه ليس بهازل ولا بمغازل عادى ؟

وكان قلب عزت يخفق فى تلك اللحظة بسرعة غير عادية وهو يحدق النظر الى فاطمه ثم قال ـ ماذا جرى . .

فهزت الفتاة رأسها وهى تفكر ـ لاشىء غير أنى اصبحت اكرهك ياعزت

وسرعان ماقابل عزت ـ الذى زادته حوادث الدهر وصروف الايام خبرة وحنكة ودهاء ـ كلمات فاطمة بضحكة ساخرة هادئة .

الفصل الخامس

مال ميزان النهار وآذنت الشمس بالمغيب حينما ودع عزت فاطمة قاصداً الذهاب الى مقر (شركة البرق) بعد أن قضى نهاره معها فى زيارة المدينة وتركها تعود الى الباخرة الراسية فى الميناء . ولكن الفتاة اندفعت ضاحكة بعد أن ودعها فى طريق آخر لايؤدى الى البحر وأرادت ان تقضى الساعات الباقية على ميعاد قيام الباخرة فى زيارة المدينة مرة أخرى وبخاصة الاجزاء التى لم تر هامع صديقها عزت ومن جملتها . . . الصحراء . . . التى كانت تناجيها دائما وتشعر من نحوها بعاطفة لم تشعر بها من قبل . ولتسمع الفضاء اللانهائى أنات الالم التى أقضت مضجعها مدة طويله . فظلت سائرة فى طريقها تقودها غريزتها الطبيعية الى خارج المدينة . ولم يدر بخلدها ان المدينة أوسع مما كانت تظن فساورتها المخاوف والظنون . . .

وأنها لتفكر فى الصحراء وما فيها وقفت فجأة اذ أرتفع صوت غناء فى سكون المدينة الهادئة . وكان الصوت صوت قيثارة تعزف بانغام مشجية اهتزت لها أوتار فؤادها وما لبث ان علا صوت غناء بديع أخذ بمجامع قلبها .

مالت فاطمه الى الامام وقد رفعت رأسها وأخذت تنظر من خلال سور حديقة بديعة زاهرة . ومع مابذلته من الجهد لم تتمكن من رؤية العازف وكل ما أستطاعت تميزه من خلال اشجار السنط والجميز والنخيل المنزرعة بكثرة ازهاراً أشتد عبيرها وتفتحت اكمامها تجمع الكل حديقة أية فى الجمال والابداع . وانقدت جذوه الاهتمام فى نفسها فمكثت مده طويلة صامته تسرح الطرف فى مظاهر الجمال التى كانت تحيط بها وتستقبل بارتياح الروائح العطرية التى كان يحملها النسيم من أزهار تلك الحديقة . ثم جالت ببصرها يميناً وشمالا وكان الشارع التى اجتازته خاليا من المارة . وانصتت لكنها لم تر ولم تسمع شيئاً . وخيل اليها ان الحديقة خالية وخطر ببالها ان تتجول بين أشجارها تخفيها الازاهير عن العيان . وكان ظلام الليل وقتئذ يزداد حلكة ونور القمر ضئيلا يرسل أشعته الضعيفة من خلال الاشجار . فسارت الفتاه بخفة ورشاقة ووقفت بين أشجار الصنوبر تستنشق روائحها العطرية وتقبل الورود المفتحة وغيرها من الازهار اليانعة . ولكن لم تمض لحظه قصيرة حتى سمعت صوتا يخاطبها برقه

٢٧ ولطف قائلا ـ هل اعجبتك حديقتي اى آنستي الجميلة فصرخت فاطمه والتفتت خلفها ورفعت عينيها بوجل لانها أدركت لاول وهله ان هذا صوت . . سلطان بك . . . وان لم يبدلها الاول نظره أنه الشخص الواقف امامها بل كان هذا رجلا عربيا طويلا في ثياب ناصعة البياض. وقد غضبت وآلمها هذا المشهد المريع ولم يبرح من مخيلتها لحظة بعد أن تحققت من عينيي الرجل القاسيتين أنه سلطان بنفسه فوضعت يدها على قلبها وتمتمت قائلة ـ هو أنت أنت ياسلطان :

فابتسم الرجل وحنى رأسه باحترام وقال ـ نعم ياعزيزتي . ولي الشرف العظيم لتنازلك بزياره حديقتي الحقيره . فتراجعت فاطمه وهمت بالذهاب فلمعت عين الرجل وخاطبها بصوت رقيق قائلا

ـ لقد ابتهلت الى الله طول يومي ان يمن علي بحضورك الي : وعللت نفسي طويلا بتحقيق هذه الامنية . وفوق ذلك فقد أمرت بمراقبتك طول النهار فابعدي عنك اى فتاتي فكره الذهاب .

فعضت الفتاة شفتيها لكي تحبس التأوهات التي أزدحمت في حلقها ثم استجمعت قواها واتجهدت الى فتحة في السور وهي تصيح بتوجع مؤثر قائلة ـ سأذهب . سأذهب : لكنها تراجعت مذعورة بعد أن اعترضها زنجيين ضخمي الجسم وقفا صامتين بلا حركة في طريقها . فتحولت وهي تتأوه وسارت تتعثر في طريقها الى الرجل قائلة ـ اتركني ياسلطان . دعني أغادر هذا المكان . مر

رجالك بالتنحى عن طريقى بالله من هم . . من هم . . أريد العودة حالا الى الباخرة .

فابتسم الرجل وقال بهدوء ـ هؤلاء عبيدى . وهذه حديقتى . وأنا عبدك الخاضع الامين واسمى الحقيقى الامير عبد الحكيم . وهذا قصرى وهو قصر جميل ونادر الوجود ياعزيزتى وفى النهاية قصر يليق بملاك جميل .

بيد انها أصرت على طلبها الاول وقد استمدت من يأسها شجاعة وقالت ـ سأذهب : دعنى اذن أذهب :

فوقف امامها عبد الحكيم وخاطبها بعطف وحنان قائلا — لاتخافى اى عزيزتى فاطمه لرؤيتى بهذا الزى العربى الغريب... وهل دار بخلدك انه لايوجد بين أبناء تونس من هم سليموا الذوق طيبوا القلب رقيقوا العاطفة كابناء مصر .

فاجابت الفتاة بحده ـ لم تكن سليم الذوق . رقيق العاطفه يوم اقدمت على فعلتك تلك الليلة .

فنى الرجل رأسه وأحمر وجهه خجلا من سماع هذه الذكرى المؤلمة واجابها بهدوء قائلا ـ أى فتاتى . اسألك المعذرة . وأطلب منك صفحا وغفرانا والتغاضى عن هفوة تلك الليلة ولى عذر فيما فعلت فقد سلبت ملاحتك عقلى فبت كالمجنون لايدرى مايفعل ثم اقترب منها ونظر اليها وقال ـ اسمحى لى أى صغيرتى الحسناء أن

٢٩ أثبت لك شدة اخلاصي بان تقيمي معي في قصري في أمان وأطمئنان
ثم صفق بيديه بينما وقفت فاطمه صامته مذعورة وعزمت على أظهار
شجاعتها في مثل موقفها الحرج . وبعد ان سكت عبد الحكيم عن
التصفيق ظهر الصوت الموسيقي مرة أخرى بينما وقفت الفتاة
ساكنه وخيل اليها ان الازهار تهتز طربا لسماع هذا الصوت الموسيقي .
الغنائي وتلفتت حولها ولكنها لم تستطع معرفة مصدر هذا الصوت
ثم بدت علامات التردد على وجهها وتحركت قليلا فرأت ان فراغ
السور قد سد واختفى الزنجيان . فصرخت الفتاة قائلة

— انظر انظر الى السور . . . .

— نعم . كان مهدما فاصلحه العبيد في الحال .

واخيراً تلاشت اصوات الموسيقى بهدوء وعاد المكان الى
سكونه بينما لزمت الفتاة الصمت . وأخذت تنظر بحذر من تحت
اهداب عينيها الكثيفة الى الرجل ثم قالت

— دعني أذهب ياسلطان .

فاقترب الرجل منها وقال — لا تنادينى بهذا الاسم هنا في بلدى
لاني مللت سماعه . وأنا هنا الامير عبد الحكيم .....

فهزت الفتاة كتفها وضحكت ضحكة قصيرة قائلة — سأناديك باى
اسم تريد . فقط دعني اذهب الى الباخرة .

فابتسم الرجل قائلا — ولماذا تذهبين ؟

فخارت الفتاه وإرخت عينيها امام نظرات عبد الحكيم القاسية

بينما استطرد هو في الحديث قائلا ـ اهدئي ايتها الحمقاء الصغيره ولا تفكري في الذهاب . ولا اخالك تجهلين انه من يوم ان وقع نظري عليك وفي قلبي لك حب دفين . فانت الفتاه الوحيده التي حركت عواطفي وملكت علي مشاعري . واستقر رأيي على ان احظى بها . لان ملاحه كملاحتك تلعب وتسلب الالباب . . . . انني اهواك يافاطمه واريد ان تكوني زوجة لي وهي امنيتي الوحيده في الحياه . وما اريده أنالة ولو بعد حين . فلا تتركيني وحيدا ياحبيبتي لانك مهما حاولت انفلاص فانت لي في النهاية .

الا أن الفتاه اصرت على طلبها . فضحك الاستاذ ضحكه هادئة وقال اذهبي وساتركك حتى تدعي لارادتي وتلقي بنفسك بين ذراعي طائعه مختاره .

فضحكت الفتاه باستهزاء وقالت ـ زوجة . هذا والله جنون .

فتقدم نحوها ومد اليها يده بخفة وأمسكها بين ذراعيه وضمها الى صدره بعنف ولكنه لم يقبلها بل مال برأسه نحوها ببطء وقد زادت شعلة الحب المتقده في عينيه ثم قال ـ هل أنا حقيقة مجنون ألم أخبرك ياعزيزتي ونحن على ظهر السفينة بان هناك قصراً في انتظارك ألم أحدثك عن الجواري والعبيد . . عن اللآلىء والجواهر عن الغنى والسعاده . . انها كلها رهن اشارتك وفي متناول يدك الآن وستصبحين لي وحدي اي معبودتي الجميلة بعد أسابيع قليلة

وأخذت فاطمه تتلوى بين ذراعيه تحاول الخلاص منه وصدرها يعلو وينخفض وحمره الحياء والخجل تعلو خديها وقد لمعت عيناها ببريق الغضب الشديد ثم صاحت — سأقتلك ياعبد الحكيم اذا اقتربت مني مره أخرى .

فتطلع اليها باهتمام وقال — حنانيك . أن نار غضبك تزيدني لك اشتعالا . وهيامي بك لهيبا .... ثم حنى رأسه وأستأذنها في الذهاب

فصاحت الفتاه بحده — اذهب :

— نعم سأذهب ولكن اعلمي يافاطمه انك مهما حاولت وناضلتي فسينتهي الامر بان تطلبيني زوجالك .

فعضت فاطمه على شفتيها المضطربة وسالت من عينيها دموع الندم لمجيئها الى هذا المكان واجابته بلهجة شديده — حقا أنك معتوه بل مجنون .

فاجابها هذا جنون الحب والحب جنون

ثم صفق على يده مرتين فحضر في الحال خادم طويل اسمر اللون يرتدي رداء ابيض وتقدم الى سيده وحنى رأسه احتراما وأجلال فقال الرجل — رافق هذه الفتاه يامصطفى الى الشاطيء لترشدها الى الطريق وقم بحراستها بكل مالديك من قوه ..

فانحنى مصطفى ثانية وقال — سمعا وطاعة يامولاي . ثم مد عبد الحكيم يده الى الفتاه وقال

— أشكرك يافاطمه لتشرفك بزيارتى . وكنت أود أقناعك بالبقاء معى فى قصرى .. الا أننى واثق تماما بعودتك الى ثانية . . .

ثم ودعها واختفى .

أما فاطمه فانها تبعت الخادم مصطفى وقلبها يخفق خفقانا شديداً وقالت فى نفسها ـ أن هذا درس مؤلم . وساتعلم كيف لااقدم مره أخرى على النزول وحدى فى أى بلد اجنبى . ثم فتح مصطفى باب الحديقة وتواريا عن الانظار

جدت فاطمه فى السير مع مصطفى فى طريقها الى الشاطىء بهمة ونشاط يملو ثغرها ابتسامة الفرح والسرور ثم وقفت فجأة وقالت ـ هل هذا هو الطريق المؤدى الى الشاطىء :

فاشار مصطفى الى طريق مظلم وخيل لها أنهما يسير ان فى طريق آخر ولكنها التزمت الصمت حتى لاتظهر للخادم جهلها بشوارع المدينة . ومازالت تجد فى السير بين الازقة الضيقة ... . . . ثم وسط سكون الليل الهادىء دوى فى الفضاء صوت صفير باخره اقلعت من الميناء .

يعلم الله وحده شعور فاطمه فى تلك اللحظة وقد وقفت جامده فى مكانها لاتدر بماذا تفكر واحست بانطباق عقلها فلم تستطع ان تكون أى فكره متماسكة . وكيف تفر من موقفها هذا وهى مكرهه على لقائه . وقد اقلعت السفينة وخلفتها وحيده لانصير

لها ولا معين . واتجهت وخلفها الخادم مصطفى نحو مصدر الصوت واندفعت فى طريقها حتى وصلت الى الشاطىء ولم كانت دهشتها وحيرتها عند مارأت الباخرة (عايده) تبتعد عن الشاطىء التونسى سيئاً فشيئا .

صرخت فاطمه واندفعت نحو الشاطىء باحثه عن قارب . ولكنها لم تجد فالتفتت الى الخادم العربى ولكنه كان قد اختفى فجأة فوقفت تحت تأثير تلك الانفعالات المتصادمة تصيح - . آه ماذا افعل ، أنقذنى يا آلهى . انى غبية . . . انى . . .

فاجابها صوت هادىء قائلا - اهدئى اى فتاتى الصغيره . لاتهيجى اعصابك . وتعبى خاطرك وتزعجى نفسك . . . انى داعما قريب منك مستعد لخدمتك فى كل وقت .

وقفت فاطمه حائره وهى فى أشد حالات الانزعاج النفسى ثم تنهدت واندفعت فى طريقها ولشد ماكانت دهشتها عند مارأت امامها شبح الامير عبد الحكيم . فنظرت الى عينيه القاسيتين وقالت - أنت : : . . . ثم تحركت كمن يريد الذهاب . ولكن الى أين : وماذا تفعل وهى عديمة النصير .

القت فاطمه نظره اليأس الاخيره على السفينه الراحله التى كانت تتوارى شيئا فشيئا عن الانظار . ثم صرخت لانها أحست

بيد عبدالحكيم تقبض على ذراعها وهو يقول ـ لاتظنى انك قادرة على الفرار والابتعاد عنى بسهولة .

فبكت الفتاة وقالت ـ بالله ماذا تريد : ماذا تريد :

فطوقها بذراعيه . . . . ولما كانت فاطمه لاتستطيع حراكا خارت قواها . وارخت عينيها امام نظراته النارية فى حين سايعها ضمه ذراعيه والتصاق جسمه القوى بها بكل قدره على المقاومة وأخيراً قال ـ أريدك انت فلا تدعينى انتظر طويلا :

ومهما حاول الانسان ان يقول فانه لايستطيع ان ينكر عطف الرجل على فاطمه فكان صوته رقيقا هادئا وقد تسرب اليه حنو لاريب فيه ووقف صامتا وعيناه محدقتان النظر الى وجهها واخيراً ضمها الى صدره وقال

ـ أى مبعودتى الجميله . اصغ الى ان اصرارك على تركى والابتعاد عنى لايعود عليك باية فائده فلست بالرجل الذى يدع حبيبه المرأه يذهب هباء . ويترك فريسته تفلت من يده بسهولة وربما كان هذا ممكنا فى مصر فتفرين منى . اما هنا وفى بلدى فلا مفر ولا مناص . انى هنا الزعيم الاوحد والآمر الناهى وقبيلتى تطيعنى دون سواى . وكلمتى هنا قانون يسرى على الجميع انى اغنى مما تتصورين فهل تظنى اننى أتركك بسهولة . . ثم أخذت ذراعاه تشدان الضغط على جسمها . ثم جذبها اليه وقبلها على

رغم منها وقال — ستكونين لى أى حبيبتى فى النهاية :

وعادت جذوة الغضب الى فاطمه فلطمت عبد الحكيم وصاحت فى الحال . أبداً . ابداً — ان هذا محال

فضحكت ضحكة رفيقه واحدق النظر فى وجهها وقال — ان جذوة حبى لك تزداد اشتعالا فى ساعة غضبك واتقبل بكل سرور ضربات أنامل الرقيقه فانى أحبك حتى العباده وستبقين لى وحدى الى الابد .

فأهدت الفتاه للخلاص مندفعة بثوره من الغيظ وقالت — ألم يكفك ما فعلت : الم يحن الوقت لانتهاء هذا . اتركنى ودعنى اذهب .

واستمرت فاطمه فى مقاومتها حتى سمعت صوت أناس يقتربون فصاحت — الى . انقذونى فقد اشرفت على الهلاك . بينما القى عليها الاسير نظره طويله ودفعها بعيداً عنه واجابها ملا اكتراث قائلا — أيتها الغبيه . هل خطر ببالك انى ساعدل عن آرائى اوانك قادره على تركى . اذن أنتظرى وسترين فى النهاية لمن منا تكون الغلبه والفوز .

وفى الواقع لم تنتظر فاطمه لتسمع تهديد عبد الحكيم ووعيده لانها كانت قد ابتعدت عنه وبعد لحظه رأت رجلين يقتربان منها أحدهما بدين بلباس أبيض اقترب منها وقال

— ايتها الفتاه . ماخطبك . يبدولى ان الامر أخطر

مباكنت أظن

فاشارت الفتاة الى ناحية عبد الحكيم وقالت - أنه الامير عبد الحكيم آه . لقد اختفى الشقى . ثم ولت ناظريها فلم ترى النظرات السريعه التى تبادلاها وابتدأ الشخص البدين الحديث قائلا - حسن. حسن لقد عاد عبد الحكيم الى الاعيبه ثانيه . وقام بها هذه المرة مع فتاه مصرية وسيكون لنا من امر هما نصيبا ومشقه. ولكن من عساك تكونى ياعزيزتى

فقصت عليها قصتها بصوت متقطع ولم تخف عنها شيئا ولقد سمعها الذين تحوها فلم يقاطعوها ثم قال اولهم :

- أن هذا مؤلم ياعزيزتى . وأنه لمن بواعث السرور ان يكون مجيئنا فى الوقت المناسب لان عبد الحكيم خبيث وفاسى ورجل منوضاء ومشاغبة . وأرى ان تأتى معنا لتأمنى شره ان اسمى حمدى أبن عوض وأنا تاجر فى هذه المدينة . وستقوم امرأتى برعايتك بكل سرور ثم نذهب معا فى الصباح الى القنصل المصرى وهو يساعدك بكل تأكيد

فصاحت الفتاة بلهجة مؤثرة - أنك شفوف رحيم . ولقد اتت مساعدتك فى أوانها.

فاحنى حمدى رأسه وقال - يجب أن نبتعدى عن هذا الرجل الخبيث وتقاطعيه مقاطعة تامه فعالة . ولو لم يكن وصولى جاء

متأخر الاهبت رأسه برصاص مسدسى . وهذا صديقى موسى ابن غازى والآن هيا بنا الى المنزل .

فتمتمت الفتاة بكلمات غير مسموعة تظهر بها امتنانها وشكرها . وكان من السهل عليها ان تعرف لهجتها التونسية . ولم كانت سرورها عظيما بمقابلة هذين التاجرين اللذين رافقاها الى منزل فى الجانب الآخر من المدينة ثم خاطبها حمدى برقه قائلا

— ادخلى ياعزيزتى وسادعو رفيقتى للعناية بك وانقاذك من امواج الحزن والشقاء التى طفت عليك طول النهار

ثم قادها داخل المنزل الى غرفة مظلمة واجلسها فيها . ولشد ماكانت دهشتها عندما رأتها غير مرتبة وحارت فى أمر زوجته التى تركت ادوات منزلها مبعثرة هنا وهناك من زجاجات فارغة واحذية بالية ولفافات التبغ وجرائد قديمه وغيرها رغما عن طبقات التراب المتراكمة التى كانت تعلو أثاث الحجره مما دل على أنها تركت من غير استعمال مدة طويلة . ولكنها شكرت القدر الذى انقذها من ورطتها فى آخر لحظة وارتمت على مقعد من مقاعد هذه الغرفة . واحضر اليها حمدى بعد قليل فنجانا من الشاى اعتذرت عن تعاطيه ثم ابتدأ الحديث بينهما بصوت كله عطف وحنان قائلا

— أنى اعرف الامير ياعزيزتى وأنه لمن العار ان نتركه بلا عقاب . وسوف اسعى لزجره وايقافه عند حده . . انتظرى هنا حتى

ادعو رفيقتي وانعشم ان تكون موجودة .

فاجابت الفتاة ـ أنني آسفة وخجلة في نفس الوقت لانني السبب في كل هذا التعب

فانحنى حمدى واضعا احدى يديه على كتف الفتاة وقال ـ أننا سررنا بانقاذك . ثم ترك الغرفة وخرج وكان موسى في انتظاره خارجها فاشار اليه حمدى بالتزام الصمت والسكوت . . وذهبا الى غرفة مجاورة ودار بينهما الحديث الآتي

قال حمدى أن الحظ دائما معنا فكم يساوى هذا العصفور الصغير

فاجاب موسى وقد بدت على وجهه علامات الشر ـ ان عبد الحكيم على استعداد للدفع . فقد والقيمة التي نطلبها منه ياحمدى

ففكر حمدى قليلا ثم قال ـ أنك تعرفه ياموسى وتعرف كرمه واستعداده للدفع بسخاء لكل شيء يريده . فكم نطلب منه ثمنها

ـ الف ريال وفي هذا الكفاية . اليس كذلك !

فوافق موسى على هذه القيمة وقال ـ أى نعم . ولكن الى العمل بسرعة .

فحنى حمدى رأسه وقال ـ حقا ايها الزميل . الى العمل السريع فنحن خلو الوفاض الآن . اسرع بالذهاب الى عبد الحكيم لانك تعرفه أكثر مني ثم أخبرني بعد عودتك بان رفيقتي لا يمكنها العودة الليلة وبعدها ندعوا الفتاة للذهاب معنا الى ابنة عمي . عجل فليس

لدينا من الوقت متسع

فتصافحا ثم قال موسى — هل تظن ان اذى يلحقنا من ناحية الفتاة فى المستقبل ثم أليس فى وسعنا — اذا وجد — ان نتحشاه من الآن؟

فابتسم حمدى وقال . هذا أمر بعيد الوقوع . وما دامت ستدخل قصر عبد الحكيم فلا يمكنها الافلات منه حتى ولو بعد عشرات السنين واذا لاحظتها العناية وتمكنت من الخلاص فسوف لا تتمكن من المجىء الى هنا مرة ثانيه .

— اذن سأذهب الى عبدالحكيم وأفاوضه فى الامر وستكون هذه مدعاة الى تقربنا منه .

دار هذا الحديث بين الاثنين بينما جلست فاطمه فى تلك الغرفة المظلمة تشكر الله لنجاتها وخلاصها على يدى رجلين تونسيين طيبى القلب . ولم تدر قط انها وقعت بين براثن وحوش آدمية لا آثر للشفقة والرحمة فى قلوبهم . وقد عاشا دائما على حساب شقاء الغير وتعبهم . . .

. . . ولكن عقل الفتاه المسكينه كان مشغولا بافكار متعددة بحيث لم يتيسر لها التفكير فى مصيرها ومستقبلها .

اقلعت الباخره «عايده» بدونها وربما لا يتيسر لها رؤيتها مره أخرى بعد اليوم وعليها ايضا : عفت فكيف يكون حاله عند مايشعر بغيابها ؟ وهل يفكر فى العوده من أجلها الى تونس مره اخرى ؟

وأغرورقت عينا الفتاه بالدموع عندما وجهت لنفسها هذه الاسئلة ثم قامت وسارت نحو النافذه المفتوحه وتطلعت الى المشهد الجميل الممتد امامها فى الصحراء الواسعه وسط سكون الليل وهدوئه . وسرعان ماتذكرت منظر البحر فشعرت بحزن وانقباض عظيمين وجعلت تناجى نفسها بصوت خافت قائلة . كيف لايحب ان يعيش فى البادية من غير أن يقرن بالسعاده والهناء ؟ وكيف يتيسر لها وجود حقيقى وسط هذا الفراغ اللانهائى ! ثم رفعت يديها الى السماء وقالت ـ آه . ليلة واحده فقط ثم يعود الى حبيبى من وراء الصحراء

ولم تكد تنطق فاطمه بهذه الكلمات حتى طرق سمعها صوت ينادى بها فاجابت بعد ان التفت الى الخلف باضطراب وتمتمت ـ أن منظر الصحراء جميل . أليس كذلك ؟ وأتفق ان سمعت فى هذا الوقت صوت طير ينوح بصوت حنون وقد اختفى عن الانظار وكان فى صوت الطير رنه حزن اتفقت مع سكون المكان الموحش مما انذرها بقرب وقوع كارثة اوخطر حقيقى

اما حمدى فانه دخل الغرفه متعمدا هدم انارتها واتجه نحوها ووقف بجانبها وقال ـ ما الصحراء يافتاتى الا مظهر من مظاهر الوحشه . وعزلتها كابوس ثقيل على النفوس .. وما هى الارمال لانهائيه ذهبيه الشكل تغر الناظرين وليس وراءها الا الجوع والظمأ ثم الموت العاجل .

فابتسمت الفتاة وأشارت — انظر اليها . انها والله لغز من الالغاز . وسر من الاسرار

فتوقف الرجل عن الاجابه لحظه ولم يحفل بملاحظتها لانها لم تكن أول من ابدى هذه الملاحظه عن الصحراء وأخيراً خاطبها قائلا — ان زوجتى متعبه عن المنزل وقد ذهب موسى لاحضارها فاجابت الفتاه — لقد أظهرت عطفاً كبيراً نحوى لاأستحقه . وأننى اشعر باسف وحزن شديد لاننى كنت السبب الوحيد فى هذا التعب . وأظن ان هذا كان نتيجه مباشره لغباوتى وحماقتى .

ثم ساد السكون هنيهه كانت فاطمه خلالها شارده الفكر بينما نظر اليها حمدى وقال

— حقا أنها طيبه القلب وستشعرين بالحب من نحوها وستحضر بعد قليل ياعزيزتى . . .

— سافعل بكل تأكيد

ثم جلسا معا فى الظلام ولم تدم الحال طويلا لان الرجل اضطر الى انارة الغرفة فقام وانار مصباحاً فى ركن بعيد . ومع ذلك لم تتمكن فاطمة بالرغم من مساعده هذا النور الضئيل من تمييز تقاطيع وجهه واخيراً قال

— انك تطلبين الابتعاد عن عبد الحكيم وحقاً تطلبين . . . فكثيراما أندفع وراء شعوره وعواطفه فيحسن بل يجب الابتعاد عنه .

فاجابت الفتاه بلهجة حازمه — سافعل . سافعل . وهذا كل ما اطلب

ثم سمعت سيارة تقترب من المنزل فصاحت ـ ربما كانت هـذه زوجك :

ـ ربما . . وقام على الفور متجها نحو باب المنزل ثم رجع ثانية ناظراً بحدة وبوجه مكفهر وقال بسرعة

ـ أى فتاتى شاء سوء الحظ معاكستنا لان زوجتى تركت المنزل لتقضى هذه الليلة عند اقاربها خارج المدينة وأظن أنك ترفضين المبيت معى هنا فى منزلى مع أننى رجل طاعن مسن والافضل اذن ان تذهبى معى لزوجة الاخ موسى وهو منتظر بسيارته خارج المنزل وقد اظهرت زوجته ارتياحها لمبيتك معها فى دارها الليلة

فاحمر وجه الفتاه حياء وعجزت عن ابداء شكرها نحو مظاهر العطف والحنان التى اظهراها نحوها فى كل فرصة ثم قالت ـ انكما اخجلتمانى بهذا العطف وما اسديتمانى من المعروف

فاجاب حمدى ـ لم نقم الا بالواجب علينا فنحن اعراب نكرم الضيف ونرعى خاطره ونوفر له سبل الراحة .

وأخيراً خرجا معا الى السيارة وركبت فاطمه وجلس حمدى بجانبها ثم تكلمت همسا مشيرة الى السائق . اننى اكره ان يكون فى خدمتى امثال هؤلاء العبيد

فتسائل موسى عن سبب ذلك ضاحكا فردت عليه الفتاه قائلة

ـ أنهم بشوا ويبعثون الرعب فى قلبى :

فتظاهر موسى بالضحك وقال ستتعودين عليهم فيما بعد ياعزيزتى .

فضحكت ضحكة قصيره وحاولت ان تبعد عنها علامات الشك والارتياب والخوف بعد ان اعتقدت إنها تخلصت من عبدالحكيم وان متاعبها سوف تبدد قريباً وأنها الآن فى كنف رجال اشراف

وسارت السياره بسرعة خلال المدينة الهادئة واجتهدت ان تميز من آن لآخر الشوارع التى تمر بها فخيل اليها ان الكل متشابه ولم تدر لحظة واحده فى أى جزء من المدينة سارت ثم صاحت بفأه وباندهاش بعد ان اجتازت السياره بوابات ضخمة قفلت اثر مرورها الى الداخل دما اضخم هذا البناء »

فاجابها الشخص الجالس بجوارها — ان موسى غنى ومن اصحاب الثروات العظيمة

ثم وقفت السيارة ونبهت فاطمه الرجل الى الباب الذى فتح على مصراعيه حال وصولها وبعد أن دخلت احست باذرع سوداء تحوطها بفأه وبدسو داء خشنه على فمها تمنعها من الصياح وتلاها حمدى بضحكة تدل على الفوز والابتهاج ثم قال

لقد وقعت فى الفخ فخذها الى عبدالحكيم واخبره باننا قادمان غداً .

خفق قلب الفتاه فاغمضت عيناها لحظة من هول الموقف فكانت الصالة مظلمة انتشرت فيها رائحة غريبة خانقة . وارتفع

صوت الموسيقى من بعد وكان الرجل الذى يحملها عبد مالك السواد ثم فتح باب اخر دخل منه النور فجأه وتركت فاطمة فى الغرفة المنيره بعد ان اوصدت دونها الابواب. واستيقظت من غفوتها فوجدت نفسها فى غرفه كبيره انتشرت فيها دواوين تكدست عليها مساند حريرية كبيره . وفرشت ارضها بسجاجيد عجميه ثمينة . وكان كل ما فى الغرفه ينم على حب الرفاهيه والنعيم الشرقى.

وتوجست الفتاه خيفه من منظر الغرفه واخيرا ظهر من خلف الستائر المدلاه على احد جوانب الغرفه رجل طويل اسمر جميل الطلعه بثياب حريريه جميله تلمع فى صدريته الفضيه ماسه كبيره يخطف بريقها الابصار وكان هذا . . . . . الامير عبد الحكيم . . وسرعان ماتقدم اليها فاتحا ذراعيه وقال . الى ياحبيبتى . . الى ياحبيبتى . . . . .

الفصل السادس

اقلعت الباخرة « عايدة » من ميناء تونس وسر على اقلاعها اثنتى عشرة ساعة قبل أن يشعر أحد باختفاء الآنسه فاطمه الممرضة الجميله . وسرعان ماانتشر خبر اختفائها وابلغ رسميا الى قبطان الباخرة عفت بك . فحار القبطان فى أمره واستدعى فى الحال صديقه عزت وبحثا المسألة معا بحثا جديا لمعرفة سر هذا الاختفاء الغريب. ولكنهما

ثم بتوصلا فى النهاية الى نتيجة حاسمة . وظنا فى بادىء الامر أن أختفاؤها ربما كان نتيجة مباشرة لحماقة الفتاة وطيشها الا ان عزت تدارك الامر ثم فكر طويلا وقال — لم يكن اختفاؤها نتيجة لطيشها ونزقها كما كنا نظن . فالذنب على وحدى لانى تركتها فى المدينة وحيدة وكان واجبا على ان ارافقها الى الباخرة من أول الامر .

فمض عفت على شفتيه غيظا وحنقا وتطلع الى البحر من خلال نافذة غرفته وهو سابح فى أفكاره وحملته عواطف الخوف والاشفاق والرحمة والحنان على الاغراق فى التفوه والذهول ثم تنبه أخيراً وقال — هل توافقنى ياعزت على العودة بالباخرة للبحث عنها !

فامتقع وجه عزت وهز رأسه بسرعة علامة الرفض وقال — لا . لا أوافق مطلقا ياعزيزى . أنها فتاة عاقلة رشيدة وستفكر فى عاقبة أمرها بعقل وروية . فلاداعى اذن للعودة وفيها مضيعة لك . ولا اظن أن رؤساء الشركة يتحملون منك مثل هذا التصرف الغريب على الاطلاق وخاصة لان برفقتنا رجال من علية القوم

اضطربت عواطف عفت وثارت ثائرة الرحمة فى نفسه فصاح فى وجه عزت قائلا — سحقا لهؤلاء القوم . وماعلينا الا أن نفكر الآن فى مصير الفتاة المسكينة التى تركت وحيدة فى مكان موحش منقطع عن العالم . انى ذاهب لانقاذها من يد الشقاء التى امتدت

اليها . وساعود الآن بالباخرة الى تونس . وهم الى باب الغرفة يريد الذهاب لاعطاء أوامره بالعودة .

ولاول مرة ومن غير مارونية أو تفكير اراد عفت الاقدام على عمل غريب فى بابه . عمل لم ينتظر من عفت الاقدام عليه البتة

وماكاد يتقدم الى الباب لتنفيذه حتى وقف عزت حائلا بينه وبين الذهاب وصاح — سامنعك من الاقدام على هذا العمل لانه فى غير مصلحتك وسوف لاتؤتمن على أى عمل اخر بعد اليوم اذا أقدمت على تنفيذ هذا الطيش الجنونى .. ثب الى رشدك وتنبه الى نفسك أن الفتاه عاقلة رشيدة كما قدمت . فما عليك الا أن تسال عنها بلسان تلغرافك اللاسلكى . وأخيراً أعتقد انى سامنعك بكل مالدى من قوه عن تضحية نفسك ياعفت .

فاحمر وجه عفت وصرخ قائلا — تنح عن طريقى ياعزت فسأقدم نفسى ضحية للحب والواجب .

واشتد الجدال بينهما كل يريد اقناع الآخر بصدق نظريته ودامت المناقشة بينهما باللطف تاره وبالشده اخرى حتى هدأت ثوره عفت وتقدم الى عزت تعلو ثغره ابتسامة رقيقة ثم قال — يدعونى الواجب فى حادث كهذا بالقاء القبض عليك ياعزت . ولكنك زميل قديم وصديق مخلص وثق انى ذاهب اليها اذا لم يصلنى مايهدىء خاطرى من ناحيتها والآن أسرع بدعوه عامل التلغراف

وسرعان ماوصل صلاح افندي وهو الضابط المكلف بارسال الاشارات الجويه وبعد زمن قصير امتلأ الجو بالاشارات اللاسلكيه المرسلة الى تونس بطلب البحث عن المرضة الفائية . ومضت مدة طويلة دون أن تتلقى الباخرة (عايدة) رداً على أشارتها . وهناك على بعد قليل من الآله اللاسلكية وقف عفت ثائر النفس تحت تأثير عاملين عقله وعواطفه . فتحدثه العاطفه بالعوده لانقاذ الفتاة وتحدثه عقله بالتأني والتزام الصبر . وبان جزاؤه اذا قدم على هذا العمل الطرد بعد أيام قلائل .

جاء الليل وخيم بظلامه على الكون والباخره (عايده) مستمره في سيرها من غير أن تتلقى رداً على أشارتها من تونس حتى وصلت في فجر اليوم التالي الى الميناء المقصودها على الساحل الافريقي

وسرعان ماانصل عفت مرة أخرى بتونس مستعلماً عن فاطمه فلم يوفق الى شيء مطلقاً وما كاد يخلوا الى نفسه بعد عودته الى الباخره حتى أغرق في التفكير ليضع خطة حاسمة تمكنه من انقاذ حبيبته من براثن الوحش التونسي . وكان عفت قد أخذ منه الذهول كل مأخذ فجلس يتمتم بصوت مسموع قائلا — أي آلمي . أيتها السماء . سأذهب اليها : سأذهب اليها : وأنه لفي حديثه اذا بصوت نسائي ضعيف يجيبه متسائلا — ولماذا ياعفت .... ؟ فتحول هذا ليرى صاحبة الصوت وما أن رآها حتى صاح في حيرة والم ....

سعاد : سعاد :

وكانت سعاد فتاة فى مستهل شبابها جميلة رائعة الجمال . ذات دهاء ومكر . جلدة قوية الارادة . مستعده كل الاستعداد للتضحية ولكنها ماكادت تحس الحب حتى أظهرت فيه الاثرة وهاهى وقفت أمام عفت تعلنه بصوت خافت تعلوه رنة العزة والكبرياء قائلة

— ..... هاقد تقابلنا مرة ثانيه :

ولم يقو عفت على احتمال هذه المفاجأة فرد عليها بوجه تعلوه صفرة الاضطراب قائلا

— . نعم هاقد تقابلنا مره ثانيه ياسعاد .. ثم استمر فى حديثه مستفسراً عن سبب وجودها فى هذا المكان المنقطع فما لبثت ان أشارت الى الميناء ففهم غرضها بعد ان رأى « بختا » جميلا راسياً بجانب باخرته « عايده » ولم تمهله الفتاة بل اجابته قائلة — أنه البخت « احسان » ياعزت فهل نسيته : ووالدى كعادته يطوف به العالم وقد رافقته هذه المرة فليس هنالك مايدعو الى بقائى فى مصر ....

القت سعاد جملتها الاخيره بلهجة حاده وتطلعت باهتمام زائد لترى تأثير تلك الكلمة فى نفسه . ولكن عفت تمالك عواطفه وهم مسرعا يريد الانصراف الى باخرته حتى لايطول حمل هذا الحوار وسرعان ماتقدمت اليه سعاد ثائره حانقه وأمسكت بذراعه تمنعه من الذهاب وهى تقول — . تعال ياعفت . هل عزمت على الذهاب

حقاً ؟ أتعاملني بهذا الفتور بعد طول هذه المدة . أتختفي فجأة وتتركني من غير كلمة واحدة . . . . . ولكنه أصر على رأيه واعلنها بحرج موقفه الحالي وعاقبته الوخيمة ومتاعبه المتتطره بعد ان اعتزم في النهاية على ترك وظيفته الا أنها الحت عليه في بالبقاء وفي ان يصحبها الى «قهوة» على مقربة منها وحاول الرفض في بادىء الامر ولكن منعه من الاسترسال فيه انظار المارة وعيون الرقباء

ولم تمض لحظة حتى كانت سعاد وعفت في قهوة مطله على الميناء يتجاذبان اطراف الحديث وهي تترضاه بشتى الاحاديث والذكريات . وتذكره باحلام الطفولة وعهود الماضي ثم تعاتبه في رفق ولين على صده وهجره الآن وعلى تركها بغير تجديد لميثاقه واحترام لوعده واذابه يعلنها في صراحة الصادق ولهجة الواثق عدم ارتباطه بعهد أو وعد وان علاقته معها لم تتعد حدود الصداقة الحقة والاخلاص الاخوي وانه كان أمينا على احترام هذه العلاقة وانه لم يخطر بباله يوما ان يرتبط معها بغير هذا الرباط . فلم تتمالك الفتاة نفسها بعد أن اخذتها الدهشة من هذا الحديث الذي زادها ألماً ويأسا فامسكت بذراعه وشددت القبض عليه كأنها خافت عليه أن يتبخر من أمامها من غير أن تشعر بذهابه والتصقت بجسمه التصاقا تاما وعيناها حائرتان وصدرها يعلو وينخفض ثم حدثته باستعطاف قائلة .

— اتذكر ياعفت لما كنا صغيرين — أنا وانت — نلهو ونلعب ولا نحسب للايام حسابا .. اتذكر أيام كنا نقضي أوقات العطلة معا في نزهة وسرور . انني لا أزال أشعر حتى الساعة بجمال تلك الايام التي نعمت فيها بين أحضانك وبين ذراعيك التي شددت الضغط علي . وانني لا أزال أحس بهجتها كلما عاودتني الذكرى وما أبهجها من ذكريات : : ان أنساك . لن أنساك ياعفت ولن اسمح لمخلوقة اخرى أن تحرمني منك ثم تأنس بروحك وتتمتع بحديثك وتسعد بحبك . . عفت حبيبي لم لا تبادلني الحب الآن ؟ لم لا تأتي الي ؟ انني أدعوك فلم لا تجيب ندائي ؟ وكل شيء . اي حبيبي . رهن أمرك وطوع اشارتك . ووالدي يرضاك ويلهج بالثناء عليك . وهو غني له مال قارون . وأما عن ماضيك في البحرية المصرية فكلنا يعلم أنك مظلوم . وانك وطني غير مرغوب فيه من المحتل الغاصب وفي هذا كل الشرف لك . . . عفت . هلا استعقت بعد هذا حبك ان حبك هو الذي يحييني . وهو الذي من أجله أعيش وأبقى . . .

وبعد فترة سكوت صاح عفت — لا . لا . انها لقسوة ايتها الآنسة

الآنسة سعاد استمرت في كلامها بصوت ضئيل قائلة — هل تدري معنى القسوة ياعزيزي . اصغ الى ساصحبك الآن وسابحر معك على ظهر باخرتك كمسافرة عادية وستمر هذه الحادثة بهدوء من

غير ان يشعر بها أحد ... وسابقى الى جانبك اى حبيبى الوحيد

اذ ذاك ثارت ثائره عفت واضطربت اعصابه فاوضحت لها خروج مركزه اذا قبلها معه واشعرها بالفارق العظيم بينه وبينها فى المركز والمقام مما جعله يؤكد لها استحالة الزواج منها أو مبادلتها عواطف الحب والغرام ثم فى هدوء وسكون نطق بهذه الجملة — انى لا استطيع غير هذا يافتاتى . ولكنها اعلنته فى غير ما عواده أو تفكير انها كما ضحت براحتها ونفسها من أجله فهى تقبل أن تضحى بمركزها ومقامها من أجل حبه واظهرت له استعداد والدها لخدمته سواء باثاره مسألته فى مجلس النواب اذا سمح بذلك أو بالتوسط له لدى المراجع العليا وأن أملها الوحيد أن يبقى بجانبها وان لا يفكر فى أحد سواها واستعطفته أن يقبل منها هذا الرجاء

وكم جاهد عفت واعتذر فلم يجده اجتهاد ولم يخلصه الاعتذار وليت يعالج جرأتها واندفاعها فى اعلان شعورها وتمادیها فى اظهار عواطفها وحبها ولكنه لم يتمكن فى النهاية من ايقاف سيل هذا التيار المتدفق . واخيراً تملكه احساس غريب لم يكن يحسه من قبل . احساس

دعاه الى التصريح بالحقيقة الصارخة بانه يحب سواها وبانه لا يمكنه ان يبادلها الحب باى حال . وماهى الا فتره قصيره قضاها عفت فى معالجة عواطفه حتى اعلنها بثبات واطمئنان بانه يحب فتاه

اخرى وشعر بانه اذا أصدقها القول ربما أخذتها الشفقة على « الفتاة البائسة » فاقبل يقص عليها ماجرى وما اعتزم عليه وبانه ذاهب فى الحال ليسلم أمور الباخره الى وكيله ويبقى هو فى تونس للبحث عنها وانقاذها من يد صياد الفتيات عبد الحكيم

ثم قام يريد الانصراف .

ولو علم عفت عاقبة الغيره فى قلوب النساء وماتدعو اليه من حب الانتقام لما تحدث الى سعاد بجلية الامر بصراحة وايضاح ولشد ماكان وقع هذه الكلمات على فؤادها الى درجة لم تتمكن معها من اخفاء حقدها وغضبها واعلان تهديدها فهمست قائلة — . ايها الغبي انك ساع الي حتفك بظلفك. وستفقد مركزك ومكانتك من اجلها . فهل هى حقا جديره بذلك !

— نعم أنها لجديره . . .

وما ان نطق عفت بهذه الكلمه الاخيره حتى ودعها وانصرف أما سعاد فقد لمعت عيناها ببريق الغضب ونظرت اليه حانقه وقالت بهدوء . ها :ها.أفعل مايحلوا لك وستندم يوما فتسعى الى طالباحى وحينئذ يكون جوابى « الصيف ضيعت اللبن »

الفصل السابع

لبثت فاطمة فى ذهول شديد مده طويله وخيل اليها عند

دخول عبد الحكيم فى الرحبة الواسعة أنه خادم من عبيد القصر ولكن عند ماتحققت من خطواته المتناسقة ونظراته الرهيبة وابتسامته المحوطة بالاسرار والالغاز اضطربت واندفعت الى الامام . ثم صرخت صرخة قصيرة وسقطت على الارض مغمى عليها وهكذا خانها شجاعتها عند ماتحققت ازلا مفر ولا مناص وأنلا مساعدة هناك ترجى ولا رحمة تنتظر . وبرهان ماالدفع اليها ومال فوقها ورفع جسمها الرقيق المرتجف بين ذراعيه وضمها الى صدره وانهال عليها تقبيلا وصاح قائلا — أى زهرتى البيضاء الجميلة. أى محبوبتى الفتانة الآن انت بين ذراعى اضمك الى صدرى فانت لى. وأنا أحبك . وستبقين لى وحدى الى الابد.

ثم وقف مبهوتا يتطلع الى جمال الفتاة الراقدة تحت قدميه وينظر الى عينيها المغمضتين . وجسمها الرقيق نظرات طويلة عميقة . وقد أهاجه منظرها وشعر فى نفسه بعاطفة الحنو والاشفاق تدفعه الى الاعتقاد بانها تليق بقصره وصمم لساعته ان يجعلها زوجه فصار يناجى نفسه بالسعادة المنتظره ويمنى نفسه بقرب ذلك اليوم الذى تقبل فيه ان يضمها واياه بيت واحد تحت سماء واحدة ... ثم طوقها بذراعيه وقبلها قائلا بصوت حنون — ستكونين زوجتى فى النهاية ياسليكتى :

ثم حملها الى ديوان فى جانب من الغرفة ووضعها عليه برفق

وصفق بيده فلبى أحد الخدم نداءه فى الحال وما كاد عبد الحكيم ينتهى من القاء أوامره حتى غاب الخادم عن الانظار ولم تمض دقائق قليلة حتى امتلأت الرحبة الواسعة بالخادمات اللاتى تقاطرن من جوانب القصر فى سكوت وسكون . ووقف يتطلعن الى الفتاة الراقدة على الديوان وأخيراً رفع الامير يده مشيراً اليهن قال ـ احملن هذه الفتاة أى الى غرفة هادئة ولتكن محل عنايتكن جميعاً ولتقم احداكن بخدمتها والوقوف على راحتها . فتساعدها فى تغيير ثيابها وتزيينها بابهى اللالى والحلى . ومتى أفاقت من اغمائها سارعن بابلاغ الخبر الى .

وباسرع من لمح البصر حملن الفتاة وخرجن بها من الرحبة وتوارين عن الانظار . ولشد ما كانت دهشتها حينما افاقت ووجدت نفسها محاطة بجمع من النساء والعبيد التففن بها واشتغل بعضهن بصب ماء الورد على وجهها واجتهدن فى ادخال الراحة والسرور الى قلبها . فلما تمالكت قواها ئتمتمت قائلة ـ رباه أين أنا الآن

وجالت بجميل الطرف فيما حولها فوجدت نفسها فى ردهة واسعة هنهاقة ارجة تنبعث المياه من ناقورة فى وسطها ثم تتساقط منثورة كاللآلىء فى احواض من المرمر ناصعة البياض وجوانب الردهة مزينة بالاثاث الفاخر والجدران مزخرفة بابهى النقوش وصوت الموسيقى يرن صداه فى الآذان مما دل على أنها فى قصر

عظيم من العظماء . وكأنما هذا الصوت قد نبهها الى مركزها فعاودتها الذكرى ودارت بعينيها وعلى ثغرها ابتسامة مرة وفى عينيها نظرة مملوءة بالحزن والرعب ثم قالت ـ أواه . لقد تذكرت انى الآن فى قصر عبد الحكيم . ثم انتفضت من مكانها وأخذت تناضل لاطلاق حريتها وهى تصيح بتوجع مؤثر قائلة ـ دعونى اذهب . وساعدونى على الافلات من هذا المكان . والابتعاد عن الوحش القاسى اذا كانت فى قلوبكن ذرة من الرحمة والحنان

وقامت متجهة الى أحد أبواب الردهة ولم تلبث أن عادت أدراجها بعد ان تحققت من أنه مقفل وعادت الى التوسل اليهن مرة ثانية لمساعدتها على الفرار ثم اندفعت مرة أخرى الى أحد الابواب ودفعته بقوة فانفتح على مصراعيه . وهناك على مقربة منه وقف خادمان عربيان لم يحركا ساكنا حتى ولا نظرا اليها ولما هممت بمغادرة الغرفة هز أحدهما رأسه ووقف فى طريقها يمنعها من المرور . وساعده خادمات القصر فى دفعها الى داخل الغرفة فذعرت فاطمه وارتدت الى الوراء وجلست على الديوان خائرة القوى وجعلت تفكر فى وسيلة تنقذها من ورطتها التى وقعت فيها وفيما هى جالسه على هذه الحال مرت بيدها على شعرها فوجدت وردة حمراء يانعة انتزعتها بشدة وقرضت على اسنانها وقالت

ـ أنا لا أطيق البقاء هنا فيجب أن أبرح هذا المكان حالا

وساد المكان بعد ذلك سكون عميق على أثر دخول عبد الحكيم من احدى جوانب الردهة وأشارته الى القسوة الاعراب بالخروج ولم تمض لحظة حتى أصبح الاثنين وحدهما فى الردهة الواسعه فتقدمت اليه وقد استمدت من يأسها شجاعة وقالت — ماذا جرى ألم يحن الوقت لانتهاء هذا ؟ وهل خطر ببالك ان اهانتك لى ستغتفر لك . انك ستنال قريباً جزاء ماجنته يداك !

فتقدم اليها وأجابها بحدة قائلا — سيدتى . أصغ الى أى مليكتى المحبوبة . انى اتقدم اليك كخطيب يريد الاقتران فاستمعى الى وتعالى اجلسى بالقرب منى . .

فقاطعته فاطمه بلهجة شديده ورفضت ان تجيبه الى طلبه وصاحت — أين حمدى وموسى ؟

فرفع عبد الحكيم عينه اليها بارتياح وخاطبها باستخفاف قائلا — ايتها الحمقاء الصغيرة انهما صديقاى القديمان . وهما كمثل تونسى اطوع لى من بنانه مادام بريق الذهب يخطف ابصاره ويلعب بعقله وليه انهما احضرا لك الى هنا . الى أنا اى صغيرتى الحسناء .

فترنحت الفتاة من شدة وقع هذه الكلمات وهى تلهث بعينين جاحظتين اغرورقت بالدموع والقت ذراعها على وجهها وهى ترتجف بوجه يفتت الاكباد وأخذت تولول قائلة — آه آه يالله فظاعة . يالله قسوة

فاقترب منها عبد الحكيم وخاطبها برقة وبصوت خافت قائلا

ـ فاطمه . اضرع اليك الا تبكى ياحبيبتى انت هنا فى مأمن وانى احبك حتى العباده

فارتدت الفتاة الى الوراء وقالت ـ لا داعى لهذا الكلام مطلقا لانك أدرى بعدم صحته . افصح لى عن سبب وجودى هنا .. ماذا جرى لى ياآلهى : ثم انتزعت زهرة حمراء من شعرها والقتها بعيداً على أرض الغرفة وهى تصيح ـ مامعنى هذا كله؟ وماذا تقصد بالبسى هذا الثوب ؟ لماذا لاتنطق بالحقيقة ولماذا لاتصرح بغرضك الحقيقى

فارتعد عبد الحكيم وهو ينظر الى فاطمه وركع بجانبها على احدى ركبتيه وامسك بيدها . وخاطبها بصوت حنون لايخلو من الخضوع وهو يتوسل قائلا ـ اصغ الى اى مليكة الفتيات فسأقص عليك ماجرى من اوله الى آخره . شاهدتك فوقع قلبى فى شرك حبك . وقربك منى أجل ماتمناه لنفسى من سعادة فى الحياة . على انى ماذهبت بعيداً ولا طلبت مستحيلا فكل ما اطمع فيه من جمال هذا العالم وزخرفه رفيقة آنس بقربها منى . واجد لذة العيش فى السكون اليها . انى مذ أبصرتك على ظهر الباخرة « عايده » وقد طاش لبى وذهب عقلى ولم افكر الا فى الحصول عليك والتودد اليك . ورضيت ان أضحى بكل شىء لاجل هنائك وحبا فى سعادتك فانا أهواك وأحبك يافاطمه

فارتجفت اعضاؤها بشدة وضغطت على شفتيها باسنانها لتمنع

اضطرابها وصاحت مندفعة بثورة من الغيظ قائلة . — ألم يكفك مافعلت ؟ كفى . كفى . أواه ياألهى . سحقا لك . سحقاً لك

بينما استمر عبد الحكيم مسترسلا فى كلامه قائلا — . . . . . ولقد عجبت لما استولى عليك من الاغماء والذعر الشديد حينما زرتك فى الغرفة المجاورة وربما كان السبب ظنك فى انى لازلت ذلك الرجل القاسى الذى لاشرف له فى نظرك . والذى خدعك واختطفك بالقوة وأحضرك الى قصره للتمتع بك ولكنك مخطئة لانك لو علمت انى اعتنيت بك حين اغمائك واحتملتك بين ذراعى وضممتك الى صدرى لاشفقت على وشعرت بمقدار ما كنه لك من الحب الصادق .

الا أن فاطمه تحولت عنه بشدة وارادت التخلص منه ولكنها لم تستطع الافلات والتملص وسمعته يقول بصوت هادىء — . مهلا . مهلا . فان هاتفا من روحك الطاهر انبأنى ساعة ان احتملتك بين ذراعى بانك ستكونين لى وأميرة هذا القصر وشمسه المشرقه

فاصرت فاطمه على عنادها ونظرت اليه شذراً وقالت — . كلا لاأستطيع البقاء . انك كريم فى كلامك بخيل فى عملك الطيب وانك تتكلم ولا تفقه ماتقول ولا تدرك معناه . فابتعد عنى اذا اردت ان تحسن الى صنعا .

فقام عبد الحكيم وابتعد عن فاطمه بضع خطوات بشىء من

لكبرياء والعظمة وهو مرتد ثيابه البيضاء الفضفاضة وتكلم بنغمة فتم على الامر بالرغم من لين لهجته قائلا — . اى فاطمه . ساجعلك اميرة هذا القصر وستكونين زوجتى الوحيده وستقيمين معي هنا تحت سماء الحب الصافية وآلاف من العبيد تحت أمرتك ورهن أشارتك فاقيمى على حبي وأجزيني خيراً بما اظهرت لك من المحبة والاخلاص . . ليت شعرى هل يصل صوتى بعد طول العذاب الى أعماق قلبك اعلمى يافاطمه انني فيما افضيت به اليك من النصيحة انما أردت سعادتك وهنائك اكثر مما أردت سعادة نفسي وهنائها

وما كاد ينتهي عبد الحكيم من كلامه حتى طار الغضب فى رأس الفتاة لانها ملت سماع هذا النغمة فصاحت — . كفى جبنا وأطلق سراحى اذا كنت رجلا ذا نخوة وشهامة

فاجابها بهدوء — . لايمكن : هذا مستحيل .....ثم طوقها بذراعيه ثانيه وأحست بحراره شفتيه تلهب جبينها . فتاضلت للخلاص منه وجعلت تتلوى بين ذراعيه وهو يضمها اليه بعنف . ولما ايقنت ان المقاومة لاتفيد ولا تجدى نفعا استسلمت للقوة التى تغلبت عليها وكفت عن المناضلة وهى تلهث بشدة . ثم تركها الامير فجأة ووقف ينظر بعينين ملتهبتين الى الجسم الرقيق المعتدل وعلامات القسوة تذهب من وجهه شيئاً فشيئا الى أن قال بصوت رقيق — . ستكونين لى فى النهاية بالرغم من هذا كله وسأجعلك تشعرين

بمثل شعوري وتبادليني الحب والغرام .

فاندفعت الفتاة نحو الباب وصاحت .. ساحترمك اذا أخليت سبيلي فدعني اذن اذهب

فصاح عبد الحكيم — . لا . لا . أتظنين أن من السهل علي أن ارضى بمبدك عني ؟ ثم أزاح ستار ظهر خلفها خادمان عربيان وقفا صامتين بخشوع واحترام وقال — . اطلبي مني كل شيء في العالم اي محبوبتي الجميلة اقدمه لك . وأما فراقك فهو عندي كنار الجحيم لا طاقة لي على احتماله . ولا قدرة لي على اطفاء جذوته فلن أدعك تذهبين بعد الآن . — ثم خرج

ووقفت فاطمة لحظة مبهوتة تتطلع الى الجهة التي اختفى منها ثم اندفعت الى الستائر المدلاة وازاحتها بشدة وجالت ببصرها فوجدت الحراس قد سدوا عليها الطريق فتراجعت مذعورة فاقدة الشعور وهي تئن وتتقلب بحالة تفتت الاكباد . ولم تمض لحظة وجيزة حتى رأت جماعة من نساء العربان ارسلهن عبد الحكيم للاعتناء بها وخدمتها فذهبت معهن الى غرفة أخرى اضيق من السابقة وجدت بها ثيابا جديدة وعشاء فاخر . فارتدت ثوبا حريريا وتناولت على مهل قليلا من الطعام وجلست ساكتة وقلبها مفعم بالغيظ تفكر في طريقة ترضي بها عبد الحكيم حتى تتمكن من الفرار . واسترجعت اليها حوادث الايام الماضية فاستعرضتها في مخيلتها لحظة فتذكرت اهمالها

الذى كان سببا فى بقائها فى تونس وأنها أصبحت الآن فريسة عاجزة لا ناصر لها ولا معين . وأخيراً استقر رأيها على أن تستخدم كل سلاح تمدها به ملاحتها وغريزتها النسائية وكانت فاطمة تنظر الى المرآة التى امامها عندما ذكرت الدور الذى عولت ان تلعبه وتركت شمس الرجاء تستطع فى قلبها وارتسمت على شفتيها ابتسامة فاترة وثوقا بالنجاح . وبعد هنيهة سمعت صوتا فى الغرفة المجاورة فتراجعت قليلا ورفعت عينها الى المرآة ثانية واستمرت تحدق النظر اليها وكان عبد الحكيم قد دخل الغرفة بخطوات بطيئة هادئة وعيناه الحادتان تراقبانها دائما . فالتفتت اليه وهى متوردة الخدين وصاحت بانفعال مؤثر شديد قائلة لماذا أنت هنا . وما الداعى الى حضورك لقد تجاوزت حد الحكمة والتعقل بدخولك على من غير اذن

فتقدم نحوها ببطء وهدوء ناظرا اليها نظرة ذات معنى وقد ارتسمت على ثغره ابتسامة رهيبة ثم تمتم قائلا — معذرة سيدتى . لقد حان وقت النوم فجئت لاطمئن على راحتك ولاختلس من شفتيك قبلة تهدأ نار الوجد ولواعج الغرام

فصاحت الفتاة المسكينة قائلة — بالله لا تفعل . ودعنا من هذا الحديث فانه يؤلمنى . كفى يا عبد الحكيم فانى لا احتمل كل هذا منك اتق الله يا رجل .

لم يحفل عبد الحكيم بتوسلاتها واقترب منها ووقف ينظر

اليها وعيناه لاتنحولان عنها وعاطفة الحب تتقد في فؤاده . وصار قلبه يخفق خفقانا شديداً وأخيراً تذكرت فاطمة الدور الذي يجب أن تلعبه كوسيلة للفرار فتنهدت وقالت بصوت ينم عن الوداعة والازعان — . أترضى بي اذهب الى مخدعي

فامسك عبد الحكيم بيدها وقال ساقعل . سافعل فقط اعطني كلمة تبعث الامل في قلبي وتهدىء خاطري .

وكانت فاطمة قد صممت منذ ساعات قليلة على الخضوع والازعان فكان عليها أن تكبح جماح عواطفها الثائرة وأن تضحي كبرياءها وارادتها راضيه مختارة . وتستخدم سلاح الطاعة الكاذبة بمهارة الى ان تستطيع الافلات من اسرها والتمتع بكامل حريتها بعيداً عن قصر عبد الحكيم وأخيراً نظرت اليه وقالت — . ساقدم على حبك وأفعل كل ماتريد . فقط كن رحيما واذكر أننا معشر المصريات لانؤخذ بالتهديد والوعيد بل يأسرنا الذوق وحسن المعاملة .

فضحك الرجل وأجابها قائلا — ان غرامي العظيم وحبي لك لايتفقان مع ماترميني به من الوحشية والقسوة في المعاملة . . انني احبك وأهواك فكيف لي ان اعاملك بغير الشفقة والحنان . وسترين مني في المستقبل رقة وعطفا اكثر مما شاهدت اي حبيبتي فاطمة .

وشعرت الفتاة بجيش يداهمها من الخوف وفكرت في نهاية امرها انها اذا عادت الى اظهار عصيانها مرة ثانية ساء الحال فكادت

الوساوس تقتلها بعدان ارتبك عقلها ورأت أن من الحكمة والرشاد الابتعاد عن كل مايزيد عواطفه هياجا بعدان اطلق لها العنان . فجلست في هدوء وسكون لاتبدي حراكا واخيراً اقترب منها وضمها الى صدره بعنف ومال برأسه نحوها يبطىء وقد ذادت جذوة وجده وشبقه المتقدة في عينه التهابا ثم قبلها في جبينها وعينها وهي في اشد حالات الخجل والاضطراب وقد خارت قواها تماما كأن قبلاته قد خدرت اعصابها وسلبتها كل قوة وقدرة على المقاومة . فتحولت وهي تتعثر وجسمها يرتعد وارتمت على الديوان فاقدة الشعور وفي الحال ركع عبد الحكيم بجانبها واخذ يقبلها قائلا.. ان هذا فرع الحب وقريبا يتلاشى ظله وينمحي اثره ويحل مكانه الحب الابدي سرفرفا باجنحته على قلبينا السعيدين ورغبة في اظهار شديد اخلاصي لك وامانتي في الحب الصادق اتركك الآن الى ان تصبحين زوجتي السعيدة . . . . . ثم قبلها برفق ولطف وغادر الغرفة .

استمرت فاطمة في اغمائها مدة طويلة وغلب عليها النعاس فنامت في مكانها وبعد ان استيقظت من نومها في فجر النهار التالي جلست في فراشها ثم احدقت النظر فيما حولها هنيهة وهي لاتشعر بشيء . وفيما هي في ذهولها احست بحركة في الغرفة فالتفتت بسرعة الى الخلف فرأته ثانية وكان قد دخلها خلسة بعد ان ازاح الستائر التي تغطي احد الابواب واخذ يحدق النظر اليها بنظراته المعتادة

ولم ينطق بكلمة واحدة وبقيت فاطمة هادئة ولم تتكلم وبعد لحظة اختفى عبد الحكيم . واستمرت تفكر فى أمرها وذكرت الحوادث التى مرت عليها ولولا نور الامل بالهرب الذى اضاء فى قلبها لحملها على الصبر ودعاها الى استعمال ذكائها النسائى لاستولى عليها اليأس والقنوط . وفى الصباح حمل اليها الخدم كثيراً من الفواكه والازهار التى ادخلت الى قلبها سرور عظيم ممزوج بذكريات الالم والحزن . ولم تمض لحظة حتى عاد خادم عربى برسالة من سيده وقدمها الى الفتاة قائلا — أن سيدى فى انتظارك يا مولاتى

فحنت الفتاة رأسها وأجابت — سأحضر ثم قامت وابدلت ملابسها وارتدت ثوبا حريريا انيقا ووضعت فى صدرها وردة حمراء . وظنت أن هذا مما يزيد فى ملاحتها وجمالها فى نظر من جن بحبها وهى فى شكلها العادى ، وتورد خدها حياء حينما ذكرت عزت وتمنت لو كان حاضرا امامها فى تلك الساعة فيتعانقا ويتبادلا مما كؤس الحب ولواعج الغرام الحقيقى وحينئذ تكون مطمئنة على نفسها وكرامتها من الضياع .

غادرت فاطمة غرفتها وذهبت الى عبد الحكيم فوجدته جالسا فى غرفة فاخرة الاثاث وحين دخولها ناداها قائلا تعالى اجلسى بجانبى أى محبوبتى الجميلة

فتقدمت اليه الفتاة على مهل ونظرت الى عينه وهى تؤنب

نفسها وتوبخ ضميرها لخضوعها واستسلامها وهي فاقدة العقل تشعر بانفعالات نفسية متضاربة في وقت واحد ولما افاقت من ذهولها ارتمت على المقعد بجانبه وحينئذ همس الرجل قائلا — . الآن هل انت راضية عني يافاطمه .

فاجابت بصوت مختنق — اكون سعيدة اذا اشفقت علي فكن رحيما بي ياعبدالحكيم ! !

فابتسم قائلا — . انك لازلت ترميني بالقسوه وتزعمين بان ذراعي قد تدان الضغط عليك . وأن قبلاتي حارة ملتهبة

فخجلت الفتاة رأسها علامة الايجاب وقالت — نعم هذا ما افصده

فضحك الامير ضحكة طويلة هادئة وأجابها قائلا — . ان اقسى واعنف عاطفة عندي هي الصبر واحتمال المكروه بعزم ثابت . . والآن اصغي لي . . سأسافر اليوم لمقابلة بعض اشخاص ارى ضرورة مقابلتهم قبل أن يتم زواجنا . .

فخجلت فاطمة رأسها ولزمت جانب الصمت والسكوت وشعرت بفرح وسرور تغلبت على ظهورهما . كبحت كباح عواطفها بشدة انتظاراً لساعة الخلاص والهرب بينما استمر عبد الحكيم في حديثه قائلا — . . . . . وسأعود في صباح الغد محدداً يوم الزواج . ولك ان تمتعي بالقصر ومحتوياته طول النهار وجميع الخدم

وهن اشارتك وطوع أمرك . ولعمري سيكون قريباً ذلك اليوم الذي تصبحين فيه سيدة هذا القصر وحينئذ تعلمين انني ما أردت الا خيرك وسعادتك . واذن تعلمين مبلغ حبي لك يافاطمه.

فنظرت اليه الفتاة بسرعة وقالت . ساشعر بضيق اذا بقيت طول يومي هنا فهل تسمح لي بزيارة الحديقة

فخفى رأسه علامة الايجاب بعد أن تردد قليلا وحاول ان يرفض طلبها ودلائل الشدة والارتياب بادية على وجهه وأخيراً مد اليها ذراعيه فجأة وجذبها الى جانبه واطال النظر في وجهها الشاحب ثم قال — . حذار ان تحاولي الفرار يافاطمه . انني هنا السيد المطاع. وليك ان تنزلي الى الحديقة وتسمعي غناء الخدم متمتعة بكل شيء فقط لاتحاولي الهرب لانه مستحيل وان انتقامي للعصيان لشديد.

فهزت الفتاة رأسها ثم قالت — أريد فقط التمتع بالهواء النقي العليل وحاشا أن افكر في الهرب مطلقاً

الفصل الثامن

كان اليوم صحواً باسما وكانت أشعة الشمس المشرقة تتسرب المختلطي بين أوراق الاشجار الكثيفة العالية وعبير الزهور الارجة الفيحاء تملأ هواء الحديقة الواسعة الارجاء حينما نزلت فاطمة تتجول فيها صامتة مستسلمة لافكارها وهي تدعو الى نفسها ذكريات الحوادث

الماضيه مؤنبة نفسها لاندفاعها فى بادىء الامر وزادتها الافكار ذكرى بحبيبها عفت الذى تمنت ان يكون بجانبها يرفوف عليها طائر الحب الحقيقى وبينما كانت تناجى نفسها بهذه الذكريات وبينما هى فى حالتها تلك تشدو على أنغام سعادتها ماشاءلها الانشاد سمعت صوتا خافتا ضعيفا عرفته وتيقنته واذا به يدعوها باسمها وسرعان ما اندفعت الى سور الحديقة صارخة بلهجة مؤثره — عفت حبيبى عفت ! !

— أى غزالتى الصغيرة .....

اما فاطمه فلم تمهله بل قاطعته قائلة . — عزيزى . انقذنى بربك من هذا المكان وعجل بمساعدتى على الفرار .

فاجابها عفت بهدوء — . نعم . نعم يافاطمه انى اتيت الى هنا لاتأكد من وجودك . فكيف حالك الآن ياعزيزتى .

فسالت فاطمه نحو السور وقالت . — بخير ياعفت . ولكن الوقت ضيق فعجل بانقاذى فعبد الحكيم متغيب عن قصره اليوم و...

فقاطعها عفت قائلا . — سأحضر بعد قليل ومعى جمع من الرجال لانقاذك فقط أعطنى يدك لاقبلها يافاطمه .

فمدت يدها اليه وتقبلها عفت بلهف ووضعها على شفتيه وقبلها مرارا ثم ساد السكون التام لحظة أعقبها صوت طلق نارى تردد صداه فى الفضاء . فانتفض جسم عفت وبدت عليه علامات الحيره والقلق ثم قال . — انه قريب منا وقد رآنا يافاطمه وسأعود قريبا

.... ولم ينتظر اكثر من ذلك بل نظر الى الفتاة نظرة غرامية طويلة ثم التفت واختفى بسرعة . ولم يكن خوفها باقل من خوفه فاحست بانطباق عقلها وتلفتت مذعورة الى الحديقة وأدركت فى الحال حقيقة الاهوال التى تعقب عمل جرىء مثل هذا وهى حقيقة سلبتها كل قوة وارادة وكانت علامات الغضب الشديد بادية على وجه عبد الحكيم عندما ماتحولت اليه ورأته خلفها ولم تمض مدة وجيزة حتى قاه بلهجة قاسية قائلا . — أبهذا تظهرين امانتك لى وتحملينى على الثقة بك . آه فهمت

فنظرت اليه وقالت معتذرة — أسألك المعذرة فقد ظننت أن . . . إلا أنه اسرع وقاطعها بحدة قائلا . — حاولت الهرب بعد أن تأكدت من مغادرتى للقصر وغيابى طول النهار ولكن طاش سهمك وخاب أملك وافتضح أمرك فقد دفنى شعور بخبأنى الى العودة على جناح السرعة بعد أن سافرت . شعور انبأنى بما كان يجرى هنا من الخديعة والخيانه . والآن تعالى معى ياعابثة .

فعارضت الفتاة لحظة ولكنه اقترب منها فى الحال واحتضنها بين ذراعيه وقال — اننى حذرتك مغبة هذا العمل الجنونى واظهرت لك اننى لااحتمل منافسا لى فى ميدان الحب .

ثم سار مسرعا مجتازا ممرات الحديقة حتى وصل القصر . واستلمت فاطمه طول هذه المدة بين ذراعيه وهى تفكر فى مستقبلها باحثة عن

طريقة تخلصها من هذا الرجل وكان قد دخل غرفته الخصوصية وأمر عبيده الذين وقفوا عند دخوله اجلالا له واحتراماً بالخروج وسرعان ما اختفوا عن الانظار فى سكون وهدوء وأخيراً وضع الفتاة المسكينة على ديوان فى احدى جوانب الغرفة ووقف ينظر اليها بعينين متقدتين وقال بصوت متهدج . — الآن افصحى لى عن غرضك يا فاطمه .

فوقفت الفتاة على قدميها ببطء وقالت بتهيج عظيم ظهر فى لهجتها . — لقد حاولت أن تقتل رجل مصرى اليوم ياعبد الحكيم

فعلت شفتيه ابتسامة تشف عما فى قلبه من الاستخفاف. نعم ولم تكن هذه اول مرة وسيعاقب من أخطأ وميه أشد العقاب .

فامعنت عينا الفتاة وصاحت — هل فكرت فى عاقبة هذا العمل الجنونى . وهل قدرت ما يلحق بك من جراء طيشك ان كنت افلحت فى قتله .

فهز رأسه بسرعة وقال — العثور على جثة رجل مصرى مقتولا فى ميناء اجنبيه . لاشىء أكثر من ذلك . .

فصاحت — ستكون مسؤولا عن هذه الجثة بعد التحريات ثم تعاقب بالاعدام جزاء ماجنته يداك .

فقهقه الشيخ ضاحكاً بصوت عال وقال — ابعدى عنك هذه الخرفات ولاتفكرى فى شىء من هذا القبيل مطلقا . أنى افكر فى

عواقب الامور قبل الاقدام عليها واحتمل نتائجها بجنان ثابت وضمير هادىء ولا تظنى أن هذا البحار المسكين يقادر على مساعدتك فى الافلات ولا يستطيع أن ينالنى بضر مهما كان الساعد الذى يعتمد عليه قويا .

فنظرت اليه فاطمه بعظمة وكبرياء وصاحت من غير تفكير — أنه سيأتى الى هنا لانقاذى بعد ساعات قلائل.

فاستمر عبد الحكيم فى ضحكه قائلا — لا تعللى نفسك بآمال اوهى من نسيج العنكبوت . انى على علم تام بما هو فاعل . سيذهب الى القنصل المصرى أو من يقوم مقامه . طالبا المعونة وسيخبروه باستحالة التدخل فى شؤونى وتعذر لدخول فى حديقة أمير مهاب مثلى فثوبى الى رشدك فليس هناك من يقدر على مساعدتك ولك وحدك القول الفصل يا عزيزتى.

وبعد ان انتهى من حديثه ركع بفأة على ركبتيه بجانب الديوان وامسك بيدها المرتجفتين وصاح — «أى فاطمه» . أليس لهذا الصد من آخر ، ومتى تعتقدين اننى لا أطيق صبرا على فراقك وانى لا أشبع من التطلع الى وجهك فى كل فرصة . أنك الفتاة الوحيده التى ملكت على قلبى ومشاعرى ولا يهنأ لى بال الا بوجودك معى.. . أى عزيزتى أننى أحبك وسيفوز هذا الحب الطاهر فى النهاية... ثم أنتصب واقفا وأستمر قائلا — (اصغ الى . لقد كان فى نيتى معاقبتك على خيانتك

ولكني عفوت عنك وأنا جاد فى انجاز الاستعدادات اللازمة ليوم الزواج كأن لم يحدث شيء مطلقا .

فاغمضت الفتاة عينها وسمحت فى عالم التفكير فادركت بعد لحظة قصيرة أن عبد الحكيم يريد اكتساب حبها والفوز بها بطريق العاطفه واللين لا الشدة والعنف . وأنه لا يفكر فى أطلاق سراحها ولا أستعمال القوة لارغامها على الاقتران به بل يسعى جهده أن يكون ذلك برضائها . ولم يفكر قط أن يجعل مقابلتها لعزت عذراً أود فعاله على استعمال الشده والقسوة بل استمر فى التوسل اليها ومعاملتها بكل رفق ولين وأخيراً أنتبهت من ذهولها وصاحت — . أسمح لى بالذهاب الى مخدعى لانى أشعر بخمول وتعب شديد .

فحنى رأسه وأقترب منها فجأة وأمسك بيدها وقبلها بشغف عظيم ثم قال

أى حبوبتى الساحرة . أنت حرة التصرف فى كل شيء فقط لاتفكرى فى البعد عنى ومغادرة هذا القصر .

فاجابت الفتاة بهدوء ورزانة — (أشكرك على هذا الشعور العظيم والثقة العالية . وأرجوا أن يدفعك هذا الحب العظيم كما تدعى الى أطلاق سراحى ويعلمك ان لاسعادة حقيقية بغير حب طاهر متبادل !

فحدق النظر اليها وأرتعدت شفتاه ثم قال — حبيبتى الفاتنه

أن اليوم الذى أرغم فيه على فراقك ليس له وجود البتة لان الحياة بدونك لاقيمة لها مطلقاً . أصغ الى أى فاتنتى الصغير ولاعلمك معنى الحب الحقيقى ... أى فاطمة أن نظرة الجفاء التى تعودتها منك هى مبعث آلامى ومصدر تعذيبى . ولكنها آلام حلوة وعذاب مقبول لاننى فى انتظار ذلك اليوم الذى تقبلين فيه على حبى طائعة مختاره فانكره عليك وتطلبين منى الشفقة والعطف فامنعها عنك وفى الفؤاد حسرة وفى القلب لوعة .

وبعد أن أنتهى من حديثه تركها وسمح لها بالذهاب أما هى فكانت فى ذهول شديد من تأثير هذه الصدمة المؤلمة ولم تدر عاذا تفكر بعد أن أرتج فى وجهها باب النجاة فترنحت فى مشيتها واخيراً تمكنت من الوصول الى حجرتها بمشقة وتعب بعد أن شعرت بخيبة الامل وضياع الرجاء

الفصل التاسع

مضت ساعات قليلة ظهر بعدها عبد الحكيم فى ثياب تختلف عن ثيابه العادية كل الاختلاف وبحالة غير حالته الطبيعيه داخلا فندقا من اشهر فنادق المدينة واجملها موقعا واحسنها نظاما ولم يمض على دخوله دقائق قليلة حتى اسرعت لمقابلته فتاة مصرية جميلة وبعد ان حياها خاطبته قائلة .

ـ كيف انت اليوم ياعبد الحكيم. لابد انك استلمت خطابي فانيت لمقابلتي وهذه منة منك علي

فحنى رأسه وقال

ـ هي مروءة من الانسة سعاد انها لازالت تذكرني وتتحدث بي فشكراً لها

فضحكت الفتاة وقادته الى مقعدين منعزلين بعيدين عن الانظار وقالت

ـ اي صديق العزيز . كيف لااذكرك ولا اسر برؤيتك وقد امتزجت مصالحنا واصبح في مقدور كل مساعدة الآخر . عجيب والله . الاتذكر يوم ان كنا بمنزل والدي في القاهرة وكنت تحدثنا عن المستقبل باوراق اللعب (الكتشينة) واخبرتنا بان حادثا كهذا يجيئه المستقبل وانه لابد واقع

فاجابها ببرود ـ . . . . . وكنت تهزئين باقوالي وتضحكين مني . وتستخرين بي.

فابتسمت سعاد وقالت

ـ كنت في الماضي لااصدق اقوالك ولااعيرها اية اهمية

ـ ربما كان ظنك في انني من زمرة الدجالين الادعياء

فلمعت عينا الفتاة ونظرت اليه بحدة ثم قالت

ـ حسن . اما اليوم فقد علمت انك امير خطير ذو كلمة نافذة

ـ نفوز عظيم فاتيت لرؤياك فنظر اليها نظره سريعة وسألها قائلا.

ـ مرحبابك ياسعاد وماالذى حدابك الى زيارتى الآن.

فاجابته مستفهمة

ـ هلا سمعت بالقبطان عفت ؟

ـ نعم

انى أحبه وأهواه؟

فاعتدل عبد الحكيم ـــ فى جلسته بعد ان علم ان وراء الاكمة ماورائها وان هناك مايدعوالى الاصغاء والانتباه وقدشعر ساعة ان استلم خطاب الانسة سعادبان فى الامر سراً خفياً فساد السكون العميق لحظة ثم استأنف الحديث قائلا

ـ انت تحبين عفت بك ؟

ـ نعم . وانت تحب الانسة فاطمة ؟

فنظر اليها عبد الحكيم نظرة معنوية وهو لايزال على اعتقاده الاول بانها تحاول ايقاعه فى الفخ ولكنه بعد تفكير وتردد ادرك خطأه وغير رأيه ورسم لنفسه خطة اعتزم السير عليها بعدان ظهر له من لهجتها أنها صادقة وجادة فيما تقول فقال

ـ نعم . انى أحب فاطمه . احبها من اعماق قلبي حبا حقيقيا صادقا . ولاأطيق لها فراقا

فسألته بسرعة

— وهى الآن تحت رحمتك !

فاجابها بتردد

— نعم انها فى قصرى . ولا يمكن لاحد انقاذها اويتالى بسوء من اجلها . ولست بسعيد حتى افوز برضائها ويصبح الحب بيننا متبادلا .

فابتسمت سعاد وقالت .

— اظن انى احسنت صنعا بحضورى اليك ايها الصديق واذ قد اتفقت اغراضنا . فسنعمل سويا . انى احب القبطان عفت وهو راغب عنى من اجل فاطمه

— حسن

— وانت تحب فاطمه وهى راغبة عنك من اجل عفت . اذن فعلينا ان نجتهد فى التفرقة بينهما وابعادهما عن بعض بكل الطرق الممكنه

فصاح عبد الحكيم — وقد لاحظت عليه سعاد باندهاش قلقه وعدم ارتياحه — قائلا — . . . . . وكيف السبيل الى ذلك . وهل لى ان افوز بها فى القريب العاجل . انها سجينة فى قصرى ولا يهدأ لى بال حتى افوز برضائها . .

فخنت الفتاة رأسها مفكرة ولزمت الصمت دقائق انهمكت فيها بمعالجة المسألة بكل ماليها من وسائل ممكنة واخيراً رفعت رأسها وقالت

— ليست المسألة بالسهولة التي تظنها . ورأيي الوحيد انك لاتتمكن من الفوز برضائها مادمت تصر على الاحتفاظ بها سجينة في قصرك

فنظر اليها نظرة شك واتياب واعتقد انها تلعب بعقله وتحاول ايقاعه في الشرك لتتمكن من اطلاق سراحها واخيراً اجابها بابتسامة بطيئة قائلا .

— لا . لست بالغر الابله حتى تظني أني اتساهل الى هذا الحد فدعي عنك وهما باطلا . واتركي فؤاداً لايلين .

فابتسمت سعاد وقالت

— انني فهمت قصدك ايها الصديق فانك تظن انني احاول تخليصها ومساعدتها على الافلات . ولكني بالعكس اودان اراها زوج لك في اقرب وقت .

فقطب الرجل جبينه وقال

اذن اعرضي على ارائك بايجاز ولي الخيار في قبولها اورفضها

— اسمح لي اولا بالتقرب اليها حتى تثق بي ثقة عمياء وتعتقد بصداقتي لها واخلاصها الشديد .

فعاوده الشك والارتياب ثم تساءل قائلا

— وأي غرض لك من هذا الطلب ؟

فاجابته بصوت خافت

— غرضي الوحيد أن انال رضاها واكتسب ثقتها ....

— حسن فهمت

فانحنت سعاد الى الامام وهمست اليه قائلة

— اصغ الي . دعني آخذ الفتاه معي وسأجعلها تعتقد انني انقذتها واننى سأذهب بها الى حيهما . اما انا فسأذهب بها الى الصحراء.

فانتفض الرجل فجأة وصاح بصوت مبحوح قائلا

— الصحراء ! الرمال اللانهائية ! مقبره الحب والسعاده ! انك والله تبنين من الاحلام والاوهام قصوراً خيالية فانصحى بربك عن اغراضك واعرضى على خطتك كلها حتى تستمر نفسى بالراحة والاطمئنان

يمكنك ان ترسل معنا من تثق فيهم من الخدم والعبيد لتطمئن على سلامتنا .

فنظر اليها نظره طويلة نم عن الاعتذار بعد أن شعر بخطأه لاساءته الظن بها بعد ان تبين له انها مخلصه فيما تقول . ولم يتمكن مع التفكير الطويل من سبر غورها او معرفة اغراضها ونواياها اما هى فانها استمرت فى حديثها قائلة

سنذهب إلى الصحراء وستشعر بوحدتها هناك وبانك صديقها الوحيد لاعدوها اللدود وسيكون من السهل عليك فى ذلك الوقت أن تفوز بها ومتى اصبحت زوجك سيأتى الى عفت طائعاً

مختاراً

فحنى رأسه وقال

— وما هى الخطة التى تنوين السير عليها ياعزيزتى ؟

فهزت يدها وحركت رأسها وقالت

— لم اتمم خطة ماسمة فى الموضوع للآن . واظن انه من السهل القيام بها . ان عفت سيقيم الدنيا ويقعدها حبا فى تخليص الآنسه فاطمه فيجب على أن اهرب بها الليلة فى منتصف الليل .

فاضيقت عيناه وقال بحده :

— تذكرى ياسعاد انك تلعبين فى المسأله دوراً خطيراً . وانت ادرى من غيرك بجزاء من يحاول خيانتى اومسى بسوء . اذكرى هذا جيداً

فضحكت الفتاة وقالت .

— كيف اجسر ان اخدع امير هذه البلاد والقابض على ناصية العباد . انها حقاً لغباوه وحماقة . ان كل ماعولت عليه الى الآن انى ساقود الفتاة الى مجاهل الصحراء وساهيء لك الفرص لانقاذها من اخطار متعدده تاهج بهالسان الفتاه شكرا وسترتمى فى النهاية بين احضانك بعد ان يغلق فى وجهها اليأس القاتل كل امل فى النجاه . ويقوقف النجاح على شرط واحد هو الثقة بفتاه ذكيه ماهره فهل انت مجيب ايها الصديق ؟

فمد الرجل يده وقال

— لك ماتطلبين . احضري الى قصري الليلة عند منتصف الليل وساكون على اتم استعداد ويجب ان تخبري الفتاة بقصتك . ودعيني اكرر لك قولي ان من يحاول خيانتي وخداعي جزاؤه الموت المحتم

فمدت الفتاة يدها ايضاً وقالت

— انني اقوم بدوري هذا لما هو اشهى والذ لي من الموت انني اقوم به للحب وللحب فقط

عاد عبد الحكيم الى سيارته بعد ان تم الاتفاق بينه وبين الانسة سعاد تعلو ثغره ووجهه نظرة جدية وهو يفكر تفكيراً طويلا عميقاً . وجلس يناجي نفسه مستقبله الزاهر ثم ضحك ضحكة طويلة مسموعة تنم عن الغبطة والارتياح وقال — « ستكون فاطمه لي على يدي الانسة سعاد . انها تلعب دورها من اجل الحب ايضاً فهنيئاً لنا اذا كللت مساعيها بالنجاح . . لقد سيطر ملاك الحب على القلوب فكان نبضها الذي يبعث الدم مورد الحياة الى الاجسام فلا حياة بدونه ولا سعادة حقيقية بغيره . حقاً ان الحب دليل الحياة . ان الآنسة سعاد تعشق عفت وتهيم به . حسن ولا ، اذن فهي تعمل حقاً من اجل الحب » ثم اخرج رأسه فجأة من نافذة السيارة وأمر السائق بالوقوف والانتظار ونزل مسرعا وسار في شارع ضيق

وقرع باب خفي وتوارى في الحال عن الانظار وهنا جلس عبد الحكيم مع رجل ابيض عريض الجسم بعد ان ادى له الاحترام الذي يليق بمقامه الجليل وافتتح حديثه قائلا

— هل من جديد أيها الصديق

فحرك الرجل يديه وحنى رأسه قائلا .

— نعم . لدى أخبار هامة يامولاى . أن عفت يقيم الدنيا ويقعدها لانقاذ الفتاة .

فقطب الرجل جبينه وقال

— ستضيع مجهوداته هباء ويندم ولات ساعة مندم ولكن أخبرني مافعله أو ماينوى فعله

— انه ذهب إلى اولى الامر وشكى اليهم امر اختفاء فتاة مصرية من باخرته (عايده) وانها سجينة الآن فى قصر الامير عبد الحكيم

— وماذا اجيب ياولدى ؟

— انهم لم يهتموا بالامر خصوصاً بعد ان طرد من وظيفته على اثر مغادرته للباخره من غير اذن فاصبح شخصاً غير مسموع الكلمة . واظن انه اوقع نفسه فى مشاكل عديده من غير ان تنفعه متاعبه هذه فى تقربه الى الفتاه . .

فقام عبد الحكيم واخرج من جيبه مقدراً من اوراق النقد

وسلمها للرجل ثم قال

— حسن جدا . خذ هذه مكافأة لك ايها الصديق انك خادم امين واستمر على استطلاع اخبار القبطان عفت واطلاعي عليها في اقرب فرصة . انني لااريد التخلص منه . . .

فاجابه الرجل بصوت خافت يدل على المكر والخبث

— هذا شيء هين جداً ومن السهولة بمكان عظيم .

ففي الامير رأسه وقال

— نعم أعرف ذلك وأن هذا من أسهل الاشياء لدي واحقرها شأنا . ولكني لاأوافق عليها ولا أريدها وسيثير مقتله تحريات كثيرة . ان أمره الآن مهمل لاهتم به أحد قط . وهو يدعي أن فتاة اختفت من باخرته وهذا شيء عادي يحتمل فيه الصدق أو الكذب . أما اذا قتلناه فان قتله يثير المسألة من جديد ويدعو الناس الى تصديق قصته ويتطلب تحقيقاً دقيقاً فيؤدي الى مسؤوليات عظيمة وعلى العموم فلدي مسائل أخرى تشغل خاطري . . . . .

ووقف وعينه تلمع بعاطفة الشوق الشديد ثم قال .

انت تعلم ان هذا الرجل يحداني في ميدان الحب . يحداني في ميدان ماخسرت فيه معركة قط ولن اخسرها ما دمت في الحياة . يسرني حقاً أن أفوز بالفتاة وان أضمها بين ذراعي راضية وقبلها

قبلات الغرام باختيارها لاكرهها منها ونعيش سويا تظللنا السعادة كطائرين فى وكرهما يتناجيان بانانشيد الحب والحنان وعلأ قلبي غبطة وسروراً ان يرى هذا المصرى العنيد بعينه ثمار هذا الحب والوفاق وأن يسمع باذنيه احاديث الهوى والغرام ويشاهد مانحن فيه من سعادة حقه . . . أن تلك الساعة هى حقا ساعة فوزى وانتصارى أيها الصديق !!

فضرك الرجل الابيض بيديه وقال — لدى فكرة حسنة .

فاشعل عبد الحكيم سيجارة واتجه نحو الغرفة وقال — سأذهب الآن وأمضى زمناً بسيطاً قد يكون بين أحضان غزالتى الصغيرة أما أنت فاستمر فى إرسال الاخبار فى كل وقت وبكل سرعة وسيبلغها الى الخدم حال وصولها من غير تأخير وحذار حذار من العيون والارصاد !

— سمعاً وطاعة يامولاى .

ثم غادر عبد الحكيم المنزل وسار مسرعاً بسيارته فى سكون الليل الى قصره فوصله متأخراً فأبدل ملابسه حالا وسار الى غرفة الفتاة ورفع الستائر المدلاة . ونظر اليها فوجدها نائمة فاستمر محدقاً النظر الى طلعتها الجميلة وقد انعكست أشعة القمر من النافذة على وجهها الفاتن ولو كان فى قلب ذلك الصياد الابله ذرة من علو النفس وتقدير العواطف التى انعدمت على ماأظن من قلبه لدفعته الى

الشفقة والرحمة بمثال اليؤس وخيبة الامل الذى رقد امامه خاشعا صامتاً .. ثم أقترب على أطراف قدميه ووقف يحملق اليها بشدة والغضب يتطاير من عينه وقد غرس أظفاره فى راحتيه كلما أطال النظر اليها حقداً وكمدا وقال بصوت هادىء — ماأجملها . ماأفتنها ولكنها لاتزال بعيدة عنى ولكن ساصبر والصبر مفتاح الفرج

استيقظت الفتاة من نومها وتلفتت حولها وفتحت عينها ببطىء وصاحت بصوت عال عندما رأت عبد الحكيم منتصباً بجوارها وسرت بيديها المرتعشتين على عينها تستعرض الحوادث التى مرت عليها طول النهار ثم صاحت — أأنت حقاً أم أنا فى حلم من الاحلام ؟

فركع عبد الحكيم بجانبها على ركبتيه واضعاً يده على كتفها ثم قال

انى أعيدك يافاطمه فسامحينى فقد ازعجتك واقلقت راحتك عن غير قصد . وقد أتيت لاطمئن على سلامتك ومذ رأيتك فى فراشك ملاكا جميلا يخطف القلوب ويجذب الالباب وقفت بخشوع واحترام اتطلع الى جمالك ووجهك الساحر واطلب من الله أن يقرب ذلك اليوم الذى يمتزج فيه قلبينا أى زوجتى المحبوبه

فارتعشت الفتاة قليلا وتحركت بعيداً عنه فسقطت يده من على كتفها ثم قالت

— دعنى أنام فى أمان وسلام .

نعم سأذهب . ولكن هل علمت ما دار بفكري حين استيقاظك

— لا وما هو ؟

— تعلمين أنك الآن في قصري وتحت رحمتي وأنه من السهولة أن أضمك بين ذراعي الى الابد طوعا أو كرها ولكنني لن اقدم على شيء من هذا بالمرة حتى تقبليني بنفسك زوجا محبوبا

فاغمضت الفتاة عينيها لحظة وكان وقع هذه الكلمات على سمعها ثقيلا بعد أن ملت من تكرارها وصاحت بصوت خافت.

— لن أفعل مطلقا وأنت تعلم أنني أحب غيرك ولست ابغي في هواي بديلا

— أن تلون النساء في الحب كتلون الحرباء

— أن هذا كذب كلمة نطقت بها أيها الغر والنساء أثبت في جبهن من الرجال . ثم انصعبت فجأة وقالت دعني أنام فانني في حالة انزعاج شديد لا قوى على احتماله طويلا

فنى الامير رأسه وقال

— فهمت وساذهب . خذي راحتك أيتها الغزالة الصغيرة كما تشائين ولكن لدي الآن كلمة واحدة فقط أقولها لك

— غدا أسمعها باذن الله

— أنها على جانب عظيم من الاهمية فلابد من سماعها الآن كنت اليوم خارج القصر وعدت الليلة وعلمت أن هناك مجهودات

كثيرة تبذل لانقاذك ولست بالرجل الذى تفوته هذه الاعمال. انى الحاكم بامره فى المدينة وكلمتى مسموعة فى جميع الانحاء واقصد من كلامى هذا استهجانى لاراقة الدماء فان عثرت عن يحاول انقاذك فالويل له ولمن يعمل على حمايته وساقتل من يجرأ على الاقتراب منك وأنا عالم بان هذه الوسيلة توسع هوة الخلاف بينى وبينك. فالاجدر بك أن تصدى من يحاول انقاذك وتمنعه خشية أن يلقى حتفه فتندمين حيث لاينفع الندم . أفهمت ،

— انك تعامل بعنتهى ماعرفت من القسوة والوحشية فتاة ضعيفة بائسة وليست هذه من صفات الرجال

— لقد تكلمت وسانفذ ماقلت كما ساعمل على الفوز بك حتى النهاية .

ثم انحنى فجأة واسكتها بين ذراعيه كعادته ورفعها وانهال عليها تقبيلا وقد اندفع الدم فى عروقه وخفق قلبه خفقانا شديداً وأصبح يأتى بهذه الحركات وهو فاقد الشعور ويقول (أنت لى ولى فقط) ثم وضعها على الفراش فجأة وانسحب من الغرفة واغرق فى الضحك كالمجنون ظنا منه انه قام بتمثيل دوره بمهارة فائقة معتقداً انه مهد السبيل للآنسة سعاد وان فاطمه سوف لا تشك فى أمرها بعد أن علمت أن هناك من يسعى لانقاذها حقاً ثم همس فى سكون الليل — انك لى الآن وقريبا ايتها الزهرة المصرية الجميلة يأتى الوقت الذى

اضمك فيه الى فؤادى وتمزق شفتاى غشاء قليل الى ان يواريك التراب معى حتى الابدى .

وقبل الفجر بساعة واحدة قرعت سعاد جرس قصر عبد الحكيم وكانت وحيدة ثابتة الجأش تحمل بين ثنايا معطفها مسدسا صغيرا لم تكن تكثر من استعماله الا فى أوقات الشدة المتناهية لانها اتخذت من جمالها سلاحا اتقنت استعماله فخلصها من مآزق واخطار متعددة . ففتح الباب فى الحال وظهر من خلفه عبد اسود ولم تمض لحظة حتى حضر عبد الحكيم بنفسه وانحنى أمامها وقبل يدها ثم قال بهدوء

ها أنت قد بررت بوعدك . ان الفتاة لا تعلم من سر المسألة شيء وهى الآن فى سبات عميق ورجالى وجمالى فى انتظارك ورئيسهم واسمه نصرت اتق فيه وثوقا شديدا وقد رسمت له طريق السير فى الصحراء وبعد أيام قلائل سالحق بك لنتبادل معا الحديث ولاقف على ما تم فى المسألة وعن أرائك التى تجد فى حل هذه المعضلة وثق بمكافأتى لك اذا كان النجاح رائدك واقبلت الفتاة على حبى وطاعتى قالى العمل اى صديقتى الجميلة !

فضحكت سعاد وقالت .

انى لا أسعى الى مكافأة . أنى اطلب الحب فهو جزائى وعين المراد .

ثم قادها الى القصر فى ظلام الليل وادخلها غرفة الآنسه فاطمه فوجدتها نائمة فنظرت الى وجهها الشاحب وليثت فى ذهول لحظة وحيرة كمن وبخها ضميرها على الخيانة وبعدها لمست الفتاة من ذراعها وقالت بصوت حنون خافت

أى عزيزتى . اسرعى وسانقذك من هذا المكان فتعالى معى

ففتحت فاطمة عينها ووقفت على قدميها وعانقت سعاد وهى تصيح بفرح شديد

أنى فرحة مسرورة بقدومك لانقاذى فساعدينى على الفرار واخرجينى من ظلمات هذا السجن وابعدى عنى هذا الوحش المخيف .....

ثم تسللتا فى سكون الليل وخرجتا معا فى هدوء

الفصل العاشر

..... وماكانت فاطمه لتسمع من الظلام وهى خارجة من قصر عبد الحكيم غير الصمت ذى الانغام الخرساء وأثرت فيها برودة الهواء فالتصقت بجسم سعاد التى كانت تقودها فامسكت بذراعيها وسألتها قائلة .

— من أنت : ولم ساعدتينى على الفرار

فقطبت سعاد حاجبيها ووضعت أصبعها على فمها وقالت .

— الزمى الصمت فلم يحن بعد وقت الكلام ولاتخافى شيئاً أيتها الآنسة الآن .

. . . وواصلتا السير حتى وصلتا الى القافلة المنتظره بعد عشر دقائق ولما كانت فاطمه خائرة القوى ساعدها بعض الرجال على الركوب وتم ذلك فى سكون الليل وهدوئه ومن غير أن يشعر أحد بما كان يجرى فى الظلام الحالك . وكان التعب والعراك العنيف قد انهكا قواها طول اليوم فاعتدلت فى جلستها واغمضت عينيها واسلمت نفسها لسلطان الكرى بعد أن شكرت الله على نجاتها وخلاصها من قبضة عبد الحكيم وبعد أن حارت فى أمر تلك الغانية التى ساعدتها فى سكون الليل على الفرار . وافاقت فجأة بعد ساعات قضتها فى نوم عميق ونظرت من نافذة مقعدها فاحست بانقشاع الظلام وبزوغ الفجر وسرت فى جسمها هزة الفرح بعد أن شعرت باسترداد حريتها المسلوبة . ثم تساءلت فى نفسها عن سبب وجودها فى هذا المكان ولما أن استقر بها المقام توجهت على الفور لمقابلة سعاد بينما اشتغل الرجال باقامة الخيام واذا بالاخيرة تستقبلها بوجه باش وتقول .

— ستمنعنا حرارة الشمس ياعزيزتى عن الاستمرار فى السير ولذا عولنا على الاستراحة هنا وسينتهى الرجال من نصب الخيام الآن ثم نتناول معا طعام الفطور . والآن مارأيك فى هذه الرحلة وشعورك من نحوها أى فتاتى الصغيرة

فنظرت اليها باندهاش وسألتها قائلة .

— هل تفكرين بذكر اسمك وغرضك من مساعدتي ووجهتنا في السير .

— أنني صديقة مخلصة ووجهتنا المدينة من طريق الصحراء

فاستطردت فاطمة الحديث وقالت بهدوء

— سيدتي لاترتاح نفسي لهذا الايجاز وانني معترفة لك بالفضل ولساني يعجز عن الشكر ولكن كيف تم لك ذلك وما الدافع اليه ومن أنت أيتها الحسناء الرقيقة ؛

فهزت سعاد رأسها بثبات ووقار وقالت تقي بصداقتي واودان يبقى اسمي مجهولا

— ولماذا ،

— خوفي من عبد الحكيم

اتخافينه حقا ولماذا

فحدقت سعاد رأسها ولمعت عيناها بنظرات غريبة ومالت اليها ثم قالت أن لكل شيء آذانا حتى رمال الصحراء ولانكون هنا آمنين الا اذا كان حديثنا همساً

وبكل حذر واحتراس فلعبد الحكيم عيون وارصاد وكلمة مسموعة . ومتى علم بافلاتك من قصره سيبذل كل جهده لارجاعنا ومعاقبة من انقذوك بالاعدام

فاصفر وجه فاطمه قليلا ثم قالت .

نعم اعلم ذلك ولكن تكرمى على بالسبب الذى دفعك الى انقاذى ؟

أننى ذاهبة بك الى من تحبين وتعشقين .

فصاحت فاطمه ووضعت يدها على قلبها وعلت خديها حمرة الخجل عند سماعها هذه الكلمات وسألتها قائلة .

اعنى هلى تنوى الذهاب الى القبطان عفت ياعزيزتى ؟

فنت سعاد رأسها بمعنى علامة الايجاب بينما كان قلبها يخفق بكراهية شديدة للفتاة المسكينة التى جلست أمامها وبخاصة عندما سمعتها تنطق بسرعة وبغير تردد اسم الرجل الذى أحبته وقدسته حتى العبادة وشعرت بعامل الغيرة يدفعها الى قتلها والتخلص منها ولكنها عزمت على ماهو ادهى وانكى من القتل واعتزمت الصبر اياما قلائل تستعمل فيها كل أنواع الخديعة والمكر لتنفيذ أغراضها والانتقام من الفتاة البريئة التى اطمأنت اليها ووثقت من ناحيتها بعد أن غشتها مظاهر الخداع والرياء أما فاطمة فانها تبسمت وقالت

ولماذا أتيت بى الى الصحراء أولا ؟ ولماذا لا نذهب اليه تواً فى المدينة ؟

فهزت سعاد رأسها وقالت

اخشى ان تلحق بنا رسل عبد الحكيم فتعود بنا الى قصره

حيث ينتظرنا الموت والعذاب واحسبك لازلت تذكرين أن رجاله أطلقوا النار على عفت . . . . . .

نعم . نعم ولكنه لم يصب بسوء

كان هذا من حسن حظه وقد حاولوا ازيته بالامس فاضطر الى الازعان وتفويض الامر الى لانقاذك

حسن . الآن فهمت . . . . .

وهكذا سنخترق الصحراء ونصل الى الميناء . . والآن قد تم اعداد الطعام فهيا بنا ياعزيزتي ثم ذهبا معا الى خيمة ذات فتحة ضيقة منخفضة تناولتا تحت ظلالها طعاما لذيذا شهيا وبعدها انثنت فاطمه لتلقى نظرة على الخيام المحيطة بها وما هى الا لحظة قصيرة حتى تحول ذلك السكون السائد الى اضطراب هائل ودوى فى الفضاء صوت طلقان ناريه ولم يمض وقت طويل حتى امتلأت الساحة برجال عبد الحكيم . وكانت هذه مفاجأة غير منتظرة وجمت منها فاطمه من فرط ماأصابها من الذهول فامتنع عليها الكلام وامتنعت عليها الحركه اما سعاد فانها صاحت مشيرة بيديها قائلة .

— البدو . مصيبه كبرى ياعزيزتي الله معنا ولتساعدنا السماء :

وكان النضال بين الطرفين قصيراً حاداً انتهى بأسر السيدتين ووضعهما على ظهر الجمال واستئناف المسير ولقد أثر الحادث فى نفس فاطمه فاغمى عليها ولم تدر ماكان يجرى حولها وافاقت بعد نصفه

ساعة وفتحت عينيها وشعرت باشتداد حرارة الشمس فلم تقدم على أى محاولة تزيد موقفها سوءا فسلمت نفسها بغير مقاومة والتفتت فرأت نفسها فى قرية عربيه تحيط بها اكواخ صغيرة من الطين وأطفال قذرة وكلاب نابحة وتراب يملأ طبقات الجو كأنه تجمع فى الفضاء استعداداً للقائهم والترحيب بهم وعلى مسافة غير بعيدة من القرية مكان تكاثرت فيه اشجار النخيل امتدت ظلالها الى مسافات طويلة

وحطت الفتاة رحالها مع باقى رجال القافلة ومدت ببصرها فرات على بعد منها خيالات مظلمه لانهائية ولم تلبث فاطمه أن اقتربت منها ولم تحاول مخاطبتها وبعد برهة وجيزة قبضت على معصمها يد قاتمة سوداء سحبتها الى داخل خيمة غير منتظمة نصبت فى ظل أشجار النخيل المتناثره هنا وهناك فصاحت مضطربه والرجال يرغمونها على الدخول من الفتحه الضيقه وحاولت التخلص ولكن بلا جدوى وفى اللحظه التاليه سمعت صوت يخاطبها بلهجة فصيحه ارتعدت لها فرائصها ووقف الدم فى عروقها وهى فى ذهول واندهاش ..... وقد وقف امامها وعلى مقربة منها عبد الحكيم وهو فى زى شرقى بديع من ثوب أبيض فضفاض وحزام احمر مزركش يحمل مسدسين يلمعان فى ظلمة الخيمة وعقد لسانها الخوف فلم تتمكن الا من الصياح بكلمة واحدة هى « أنت

وتراجعت الفتاة مذعورة وأصفر وجهها ثم تحولت الصفرة

الى بياض ناصع ووقفت صامته والهلع والرعب يملآن قلبها ويملكان عليها كل طريق للنطق أو التفكير . وفى وسط هذا السكون العميق تقدم عبد الحكيم اليها وطوقها بذراعيه ثم قال

— سأعدم من كان سببا فى ذلك ياعزيزتى . اخبرينى هل مسك ضرر اولحقت بك أهانة

فجاهدت الفتاة فى التخلص من خطورة هذا الموقف واستجمعت كل مواهبها وذكائها ولكنها لم تدر ماتقول فى مثل هذه اللحظة فوقفت صامته بينما اقترب منها وضمها الى صدره والهب خديها بحرارة شفتيه وهمس قائلا

— أى زهرة الحب الجميله . لاادرى والله أى حظ سعيد جمعنا على هذا الشكل وفى هذا المكان مرة أخرى ولقد كان شعورى ساعة أن علمت بفرارك أنك ستعودين الى ودفنى جنون الحب الى الصحراء . الى هذه الناحية حيث وجدت من تآمرتا على وتركتانى وحيدا فى الحياة وارجوا محبوبتى الجميلة أن يتم بيننا التفاهم الصحيح . فما أطلب باطلا ولا حراما ورجائى وامنيتى أن تكونى قرينة لى وفقا لما تقضى به الشريعة ويفرضه العرف ويؤهانى لذلك نسلى وثروتى وعلمى ومكانتى وهذا هو مطلبى ومطلبى الذى ليس لى سواه .

فجاهدت الفتاة للتخلص منه وقالت بلطف وهدوء

— نعم نعم لقد سامحتك وارجوا فقط أن يكون سلوكك

معي في هذه المرة طيبا رقيقاً فلا تأخذني اسيرة الى قصرك بل اتركني اذهب الى من احب والى من ملك حبي له مشاعري وكل حواسي

فضحك الامير ضحكة عالية وضمها بشدة الى صدره وهو يقول

— أنك تطلبين مني أي فاتنتي الصغيرة كل صعب لا يمكن تذليله أطلبي مني غير هذا ما تشائين اكن لطلبك مليبا ومجيباً ولا يمكنني كما تعلمين أن أقاوم ما ياتي به القدر وإذا قد جمعنا الحب فكيف لي أن أعمل عكس ما اراد أن بركان حبك ثائر في صدري وهل لبركان ثائر من اخماد وسيلة متدفق من فؤادي ماله من زاجر أوصاد فالق بنفسك أي ساحرتي الجميلة بين أحضان الحب الصادق.

وكان كلما استمر في حديثه كلما ازداد ضمه للفتاة وعيناه تحدقان النظر اليها وشفتيه تحرق خديها بحرارة القبلات ولبثت فاطمه تجاهد مدة طويلة وأخيراً استسلمت للضم والعناق وترنحت بين يديه فاقدة الشعور وجعلت تبكي بصوت مسموع وأخيراً سمعت صوت يصيح بشدة — الارحمة بها وشفقة

وكان هذا صوت الآنسة سعاد فتركها عبد الحكيم استعداداً لمقابلة القادمة الجديدة

الفصل الحادي عشر

احتفظ عبد الحكيم باسيرتيه وشدد عليهما المراقبة وبخاصة

الآنسه فاطمه فاعد لها خيمة منسقة تنسيقاً بديعاً مجهزه بكل وسائل الراحة والسرور اما هى فلم يرقها هذا النعيم لانها أحست بان حريتها مسلوبة وفضلت أن تقيم فى أحقر الاحياء متمتعة بحريتها على أن تعيش فى أجمل مظاهر الرخاء والنعيم مغلوبة على أمرها لاتملك من شأنها تغييراً اوتبديلا وبقيت صامتة طول هذه المدة التى لم ترفيها صديقتها سعاد أو أى شخص آخر الا حراسها فقط وقد وقفوا بعيدا عنها طوع اشارتها واذ حاولت الخروج مرة للتريض فحيل بينها وبين غرضها ومنعها الحراس من الذهاب فطلبت اليهم حضور سيدهم لمقابلتها وكان الوقت مساء وقد هدئت زوابع الصحراء الرملية وخيم على القرية هدوء وسكون عميق فانتظرت خمس دقائق وهى على أحر من الجمر تتطلع الى الفضاء وأخيراً التفتت فجأة فرأت عبد الحكيم بجانبها فخاطبها قائلا .

— هل أرسلت فى طلبى ياسيدتى

فواجهته فاطمه بشجاعة وجرأة وكانت قد أعتزمت بعد تفكير طويل اما أن تخضع فتذل أو تموت فتستريح .. ولذا اجابته قائلة

— نعم أرسلت اليك لرغبتى فى محادثتك فى أمور شتى راولها السماح لى بمغادرة الخيمة

فحنى عبد الحكيم رأسه بدلال متظاهراً بالرقة ولكنه رفع رأسه ونظر الى الفتاة بوجه عابس ثم قال بهدوء

— نعم هذا ما كنت على وشك أن أعرضه عليك ياعزيزتى فتفضلى معى فان منظر الصحراء فى هذا الساعة جميل ومبهج فتبعته الفتاة بسرعة فراراً من حرارة الخيمة المحرقة وكانت الصحراء فى سكون تام يتخلله اصوات قصيرة متقطعه آتية من القرية فسار معا فى الفضاء الرملى اللانهائى بجانب أشجار النخيل من غير أن ينطق أحدهما بكلمه واحدة الى ان قطعت فاطمه حبل السكون فسألته عن صديقها سعاد فادار عبد الحكيم وجهه ليخفى ابتسامة معنوية علت شفتيه ولو علمت فاطمه حقيقة تلك « المخلوقة المسكينة » التى سألت عنها لما فاهت بهذه الكلمات ولما تحدثت عنها بتلك النغمة الحنانية الطيبة وانتظر الرجل قليلا ثم قال

— أطلقت سراحها منذ برهة قصيره

فانتفضت فاطمه مذعورة وقالت لماذا ؟

فاجابها عبد الحكيم بصوت متهدج قائلا

— أنى أعنيك أنت بحبى

فاغمضت فاطمه عينها لحظة ووضعت يدها على صدرها وهى واثقة بان ألحان الحنان التى يغمرها بها عبد الحكيم مما يصعب تصديقها أو يقاوم تيارها وشعرت بان وحشيته أكبر عائق دون تصديق كلماته والايمان بحبه وتمثلت أقواله كأنها أحرق من نار تحرق فؤادها اذا استقرت فيه فلم تتمالك أن تصيح قائلة

— كيف سمحت لها بالذهاب وهي التي مهدت لي سبيل الفرار

وماكادت تشعر بانها نطقت بهذه العبارة وأنها خانت زميلتها التي مدت اليها يد المساعدة حتى صاحت بذعر شديد قائلة — رباه اذا قلت : ويحي ماغباني

فانطلق الامير ضاحكاً لدى سماعه هذه الكلمات واعلن الفتاة في هدوء وسكون علمه بكل صغيرة وكبيرة مما جرى قبل حدوثه وأن هذه المخلوقة الضعيفة المسكينة التي تحدثت عنها انما هي الخطر بذاته والمكر والخداع باجلى صفاته ثم انتهى اليها مترفقا متلطفاً مداعباً وأسر اليها والعواطف تغالبه قائلا . رضاك امنيتي وما ابغي . فكيف لي أن أسيء الى من عملت على قربك مني ولم تحتمل فاطمه كلماته وتبجحه في حديثه فطلبت اليه في رفق وهدوء أن يمن عليها باطلاق سراحها فيريحها من الم ومشقة وعناء كبير وأن يعفيها بجلاء ووضوح عن نهاية هذا الاسر وكم كان الامير قاسياً حين أجابها بتهكم وهزء وسخرية قائلا . — ستصبحين زوجتي فلا صبرن حتى النهاية

وكما اعلنت فاطمه اباءها ورفضها في بادىء الامر أعلنته المرة بعدة وشدة ارغمتاه على التعقل والتفكير الطويل وقد أظهرت له استعدادها للموت اذا اصر على رأيه والتجأ الى القسوة في الحصول على رغباته . . . وهنا تمعن في أقوالها وفكر في استعدادها للتضحية وخشي

على نفسه باقية الخيبة والخذلان واوشك أن يعلنها بالاستسلام لولا بقية من عناد الرجل للمرأة وعدم استضعافه امامها وهو يعتقد فيها الضعف حببا اليه الصبر وعلل النفس بالآمال يرقبها من خلال الاطالة والتسويف .

ثم وقفا بجانب بعضهما صامتين وتبدو عليهما دلائل التفكير العميق فهي تفكر من ناحية في حرج موقفها اذا أصر على عناده واستمر في حجزها وهي تعلم حقا انها لا تقدر على تنفيذ مزحها وليس لديها الشجاعة الكافية في مقابلة شبح الموت الهائل وهو يفكر من ناحية أخرى حائرا متسائلا هل تقدم حقا على الانتحار فيما اذا استمر على تنفيذ ارآئه في اكتساب رضائها بالمباطلة والمعاملة اللينة ؟ واخيراً تقدم اليها رافعا يديه بخشوع ثم ركع بجانبها على ركبتيه وقال

— حبيبتي انك ترتعدين مني لانك صدقت كل ما القي في أذنك عني من روايات الوحشية والقسوة انظري الى وجهي هل تجدينه فظيعا مريعا وماذا يخيفك مني ايتها الحسناء : الم أحسن معاملتك الى الآن خفضي عنك بعض هذا الخوف وافيقي ثم اذكريني امام هذا المشهد الجميل واذكري حبي لك . ولك وحدك يا فاطمة وأعامي أن لي في الصبر وطول الاناة زهرة باسمة ناضرة لن تموت ابد الدهر

على ان حديثه لم يزد الفتاة الا حنونا ويأسا فلم يكد يستوي واقفا على قدميه حتى شعرت بدنو ساعة الخطر فاندفعت صارخة باكية

وهي تصيح « آه . حبيبي . حبيبي . . . » ولم يجدهو بدًا من اللحاق بها فاندفع وراءها وهي عجلة في عدوها لاتلوى على شيء الا الفرار من وجه الطاغية عبد الحكيم وخيل اليها انها لاحالة قادرة على ذلك اذا أسرعت في السير ولكن كيف لهذه المسكينة أن تفر من وحش انساني ثائر . ومامضى الا لحظة حتى لحق بها واحست بانفاسه الثقيلة الحارة تلهب خدها وبيده القاسية تمسك بها وتشدد الضغط عليها واعقب ذلك سكون رهيب . وفي لحظة واحدة كانت الفتاة راقدة تحت قدميه فاقدة الشعور ولم تمض دقائق قليلة حتى حملها بين ذراعيه وهمس في اذنها قائلا « انني أحبك يافاطمة » . أما هي فلم تتحرك ولم تقاوم وبقيت بين ذراعيه صامتة مستسلمة . وكان عبثا أن تفكر في المقاومة وأن تحاول التخلص منه بعد أن أحست بعجزها وأيقنت بضعفها ويأسها وأستمر عبد الحكيم في سيره ومضى في طريقه مسرعا وهو يلهب خدها بقبلاته وأذنيها بكلماته وأخيرا خاطبها قائلا — أطيعيني أي فتاتي أطيعيني وستجدين هنا متاع الحياة الذي يليق بشبابك الغض وجمالك الفتان

ففتحت عينيها بعد لحظة وعلت شفتيها ابتسامة الطفولة البريئة بعد أن غلبها اليأس فلم تفكر في المقاومة ثم خاطبته قائلة

— الى اين ياسيدي ؟

— الى الحب ياعزيزتي !

لم تجب فاطمه بل ابتسمت وهى لاتدرى لابتسامها سببا وحاولت الامتناع فلم تتمكن أما هو فاخذ يتحدث اليها بهاء ووقار قائلا

كم انا سعيد الآن اذ شعرت برضائك عنى وبفوزى فى النهاية وها نحن الآن — فيما اشعر — حبيبان قريبان غريقان فى بحر السعاده وسيتم قراننا الليله فتتم لنا الراحة والسرور والهناء

لم تنطق فاطمه بكلمة واحده ولكن تولتها غشية نامت فيها العاطفة الى حين

الفصل الثانى عشر

.....

..... ولم يكن فى الصحراء الا فاطمه وعبد الحكيم والقمر يضيئها ويبسط على رمالها الصفراء نوره الفضى اللين اللألاء وكان الهواء لايزال مشبعا بتلك الروح المعشبة التى كثيرا ماتغنى بذكرها الشعراء وكذا كانت الانربة قد زالت عن وجه الفضاء حينما عادبها الى خيمتها ووضعها على ديوان صغير فى احدى جوانبها ووقف بجوارها ينظر اليها وعلى ثغره ابتسامة الظافر المنتصر . وأفاقت بعد قليل من اغمائها ووقفت على قدميها تترنح يمينا وشمالا وعادت الى مخيلتها ذكريات الحوادث السابقة فادركت خطأها لاستسلامها

لحظة اعلنها فيها بفوزه وعزمه وانتصاره ثم صاحت «لابد من ذهابي الآن فاتركني ياعبد الحكيم» أما هو فتنهد تنهد الارتياح وهز كتفيه بعد أن كبح جماح عواطفه المضطربه وأجابها بهدوء قائلا

— نعم . نعم سأتركك ياملاك الصحراء لانى سأسعى الليلة فى احضار (المأذون) ليقوم بكتابة العقد بيننا أى زوجتى المحبوبه .

وتناول يدها ورفعها الى شفتيه ثم تحول عنها فجأة مبتسما ابتسامة الظافر بعد أن أشعر قلبه فى كل لحظة بافتراب الفوز والنصر واخيراً أحس بصوت نسائى ضعيف ينادبه فى سكون الليل فحول وجهه وقال بانفة — ماذا دهاك ؟ واذا أنت هنا ؟

فنظرت سعاد الى وجهه شذرا وقالت باستخفاف

— انني انتظرت عودتك من رحلتك القصيره أيها الصديق فلما اعيانى الانتظار عولت على اللحاق بك فهل فى مجيئى من بأس

فانحنى اليها عبد الحكيم وقد راقب وجهها فاذا بها غضبى — وخاطبها قائلا

— عذراً يا آنستى الجميله . فقد انستنى نشوة الحب أن ابر بوعدى بالحضور وأسكرتنى خمرة الفوز فافقدتنى الشعور ولا بد من ذهابك الآن لانى أخبرت فاطمه باطلاق سراحك

ثم ضحك ضحكة رفيعه وتقدم بخطوات بطيئه متأبطا ذراعها وقادها

الى خيمته الحقيره ولم يكد يخطوا داخلها خطوة واحده حتى ابتسم ابتسامة الثقة وصاح قائلا

— لابد من فوزى فيما أرى ياسعاد واليك يعود الفضل الاكبر ياعزيزتى بعد أن قمت بتمهيد السبيل وسأفوز عليها بقوه الصبر وحينذاك اكون سعيد الحظ بل أسعد مخلوق فى الوجود

فابتسمت سعاد بدورها واجابته ضاحكة — حقا وهذا ما توقعته ولتصبر فالصبر مفتاح الفرج

— نعم سأصبر ولقد استقر رأيى ولن يتحول عزمى عن الفوز بها هذه المره وقد انبأنها وهى بين ذراعى منذ لحظة بعقد قراننا الليلة فلم تنطق بكلمة واحده وسكوتها فيما ارى علامة الرضا

فنظرت اليه نظرة استفهام وصاحت على الفور

— الليله ! اذن لا تنتظر حتى احضر حفلة العرس قبل الرحيل

فهز رأسه وأستطرد فى حديثه قائلا

— ليس ثمة حاجه تدعو الا الاسراع الآن وسأنتظر ياسعاد فانى أودها زوجة عن رغبة لا عن رهبة

كلا ولا تضع الفرصة السانحة وافطع الوقت قبل أن يقطعك

شكرا لله ياعزيزتى ولكن يجب أن أنصت الى وحى الحب الذى يأمرنى بالانتظار

فتنهدت سعاد وقالت

ما أغباك يا عبد الحكيم . أنك تعتقد أنك ما دمت هنا فى قصرك وفى الصحراء اللانهائية فانت فى حصن حصين وما دامت فاطمه بين جدرانه فهى فى حرز مكين وانك هنا السيد الآمر المطاع ولكن ثق أنك ستشعر بخطأك فيما بعد اذا لم تعجل وترغمها على الرضاء بالزواج قريبا فلا تدع الفرصة تفلت من يدك

وماذا تعنى باقوالك ياسعاد ؟

فقالت ترا

عجيب امرك والله ولعمرى لقد كان الاحرى بك أن تفهم من اول وهله انك لست بقادر على كل شىء وقد يجرى القضاء بغير ما تقدر وتريد ولو علمت ان عفت سيقيم الدنيا ويقعدها ويقلق راحتك مهما اعتززت بقوتك لاسرعت فى عملك ولشرعت فى حفلة العرس من الليله

فاستولى على عبد الحكيم الدهش والذهول واذ تمعن اقوالها وتفهم معناها جيدا اغرق فى الضحك ودار بينهما حوار فى شىء من العنف تاره واللين اخرى واذا به يعلمها انه سيظل ثابتا على عناده ثابتا على رأيه فى المقاومه واثقا فى النهايه من الفوز المحتم واثقا من عدم تعرض عفت له ولا يكاد ينتهى من حديثه حتى تحدثه سعاد بانها ستسير فى الطريق التى خطته لنفسها وانها لا تستطيع أن تقدم على عمل جدى مع عفت الا اذا سمعت بزواجه من فاطمه

وان هذا الزاوج قد تم فعلا وبينما هي في حديثها اذا به يترضاها ويبسط لها الامر على جليته وينبؤها بوثوقة من عودة عفت اليها اذا ضاق باسره ذرعا أما سعاد فتعود الى شكها وارتيابها وينتهي بها الامر الى الحزن فالجزع فالاضطراب على مستقبلها اضطرابا لم تحاول قط اخفاءه ثم تقبل على عتابه في شيء من اللطف والظرف وتصرح له بظنونها ومخاوفها ثم تعلنه أخيراً في غير تردد ان عفت لا يحجم عن قتلها معا اذا سمح بزواجها وربما وجد في تنفيذ هذا العزم روحا له من عناء وبرء له من بلاء وشفاء له من الم واى شفاء

وبينما هما في هذا الحوار يخيم عليهما سكون رهيب اذا بخادم وقف على باب الخيمه يعلنها بان القافله على اهبة المسير واذا بهما قد وقفا يجددان مواثيق الوفاء وعهود الولاء واواصر الصداقة المتينه ويتعاهدان على العمل معا الى النهاية فتودعه ويودعها باسما .

*
** * **
*

جاء المساء وخيمت الظلمة على الفضاء الفسيح وبقيت فاطمه في مكانها من غير ان تنتقل خطوة واحدة او تتناول الطعام الذى قدمه اليها العبيد وتغلبت عليها الوساوس والافكار المقلقه فنامت نوما عميقا اما عبد الحكيم فقد اظهر عزمه واضحا لسعاد بانه لا يفكر في الزواج من فاطمه الآن وانه سينتظر خضوعها واستسلامها بعد أن تشعر بعجزها عن المقاومة .

واحست فاطمه بيد تلمسها في منتصف الليل فقامت مضطربه مذعوره تخشى على نفسها خطر الليلة المنتظر واذا بوطني ينحني اليها ويهمس في اذنها قائلا — اسرعي فان عفت في انتظارك فانتفضت من مكانها وصرخت قائلة — من ؟ من ؟ عفت ؟ أين هو

فاجابها الرجل مهدئا خاطرها — الزمي الصمت الآن !

لم تتمالك الفتاة نفسها من شدة الفرح ولم تترو قليلا لتعلم أن عفت لا يمكنه أن يتصل بها هنا وبخاصة في هذا المكان ولكن اعمى مايكون الحب في ساعة ضيق تتلوها ساعة خلاص فاندفعت الفتاة متتبعة خطوات الرجل بعد ان القت ردائها الشرقي الذي خلعته بسرعة في احدى جوانب الخيمه ووثبت كغزال نجا من وحش ضار يطارده وسارا معا تحيط بهما الظلمه المهوبة والسكون المخيف الى أن وصلا الى منعرج في نهاية القرية لم تلبث أن وجدت أمامه فارسا ممتطيا ظهر جواد كريم فاندفعت اليه على الفور صائحه عفت حبيبي عفت . فانحنى اليها الفارس وفي لحظة واحده كانت بين ذراعيه يضمها برفق وحنان الى صدره ولم تمكنها الظلمه الحالكة من رؤيه وجهه فاكتفت باطمئنانها ونجاتها من اسارها . واقبلت عليه تقبله بشغف وجنون وانهال عليها بدوره يقبلها بحرارة وشوق بينما اطلق لجواده العنان يذهب الارض نهبا وبعد ان اطمأنت الفتاة على سلامتها واحست بالراحة والسرور بين ذراعي حبيبها همست

اليه قائلة — انى سعيدة الآن وحسبى ،

وعلى هذه الصورة انطلق الجواد فى طريقه وكان هواء المساء ومتاعب النهار السابق قد اشعراها بحاجتها الى الراحة ومع أنها جاهدت بشوق شديد ان تذهب عنها ما تولاها من ملال ونصب الا انها لم تلبث ان وقعت فى اغفاءة طويلة مكنت حاملها من الذهاب الى كهف بين صخور الجبل العابسة حيث انزلها لتستريح

ولما طلع الفجر وتنفس الصبح وفتحت فاطمة عينها واحست ببرودة الليل تسرى فى أعضائها جلست تتأمل فى المشاهد المحيطة بها وعاودتها الذكرى فصاحت — ربى . اين انا الآن ؟ ثم ذكرت خلاصها من عبد الحكيم وذكرت أيضا حبيبها عفت فدارت ببصرها فيما حولها وتساءلت ولكن أين هو الآن ؟ ثم قامت فوجدت نفسها فى كهف هادىء بين الصخور بديع الصنع دقيق التركيب فانطلقت مسرعة الى مدخله ووقفت تطلع الى التلال الصخرية المحيطة به والمنحدر الوعر المخيف على جانبيه فتولاها الخوف والفزع لاول وهله وتأملت موقفها والخطر المحدق بها ولكنها لم تخش شيئاً اذ ذكرت ان عفت بجانبها يدافع عنها ويدفع عنها كل بلاء ومرت بخاطرها فكره انقطعت على اثرها عن التفكير وتحولت فجأه فاذا بها أمام عدوها الالدو صيادها عبد الحكيم وقد افترت شفتاه هذه المره عن ابتسامة التفوق والانتصار وحينئذ

تقدم اليها وقال « اى معبودتى لقد اتيت بك الى وكر الطير الذى سيجمعنى واياك فقط »

الفصل الثالث عشر

لا يشعر الانسان الناعم البال بالآلام المنكوب ولوعات قلب المحزون ولا يمكن لعقل أن يتصور ما احاط بفاطمه من فزع وذهول واضطراب. وها هى بعد أن بنت قصور الآمال العالية بنجاتها اذ بها امام غاصبها وعدوها الذى لا يرحم عبد الحكيم.

استسلمت فاطمه فى بادىء الامر وارتمت بين أحضان منقذها وانهالت عليه تقبيلا وكيف لا تستسلم فتاه لحبيبها القائد وهى فى نشوة الوجد وحرارة الشوق وكيف تعصى عواطفها وتستمسك بما يدعو اليه التعقل والهوى يسوقها سوقا مقيده ويأس الحب يقهرها قهراً مغلوبة على أمرها والآن بعد أن اشتعل صدرها بنار الحب الكاوية وشعر فؤادها بلذة الغبطة والسرور اذا بآلامها تندك صروحها وتفنى معالمها واذا بتلك الهزه الفجائية العنيفة تصدم فؤادها صدما وتخلع قلبها خلعا واذا بها قد وجمت من فرط ما اصابها من الذهول فامتنع عليها الكلام وامتنعت عليها الحركة واصبحت معميده كالفار لا تجد نفسها مهربا أو مفرا فوقفت تحدق النظر بعينين دامعتين وقلب خافق الى تمثال الفوز الجاثم امامها والذى تقدم اليها فاتحا ذراعيه

ولكنها استجمعت قواها وقالت بصوت خافت لا يكاد يسمع

— قف . ماذا تبغي أن تفعل ؟

فاجابها الرجل بصوت منخفض

— استمع الى أي فتاتي ولا تضاعفي بالصد الآم قلبي المذنب انني لا استطيع الافتراق عنك لحظه واحده وانت لي في النهاية فاجيبي ندائي وتعالي الى اي مليكتي اي املي في الحياه :

وحاولت فاطمه الدفاع عن نفسها فلم تقو على المقاومة وخانتها قواها امام نظرات عبد الحكيم القاسيه ولم تمض لحظة حتى اقترب منها واحتضنها بين ذراعيه وضمها الى صدره ثم حبس صوتها بالقبلات المتوالية وقال

— اي فاطمه . احببتك قسراً عني حباً قوياً قاهراً جعلني ابحث فقط عن التقرب منك وافكر في كل وسيلة تمكنني من البقاء معك في خلوه طويلة اسمع فيها صوتك وانعم بالنظر الى وجهك والآن انظري الى الطبيعة اي مليكتي الحسناء انظري اليها فانها تحيينا وتستقبلنا بالفرح وابتسامات السرور انظري اليها فانها تدعونا الى التعاب فالى متى تكتم الهوى ياعزيزتي وكتمه شاق.

قال هذا ثم شدد الضغط عليها بذراعيه واشار من أعلى الجبل الى الاودية المنخفضة وحاولت عبثا التخلص منه واخيراً سألته عن عفت وعن مكانه ومصيره فاجابها قائلا

— لاتذكرى هذا الاسم امامى مرة أخرى. ولاتوجهى اليه اهتمامك الى هذا الحد لقد ظننت — ظننت انى . . . .

فقاطعها قائلا

— ظننت انك كنت الآن بين ذراعى حبيبك ومنقذك عفت ولكن خدعك الحب وعبث بك الهوى الطائش وانها لذراعاى التى طوقت خصرك لحظة وشفتاى التى نعمت بقبلاتك الحارة حينا.

ثم اقبل عليها مرة اخرى وحوط خصرها بذراعيه فدفعته دفعة قويه وحاولت الهروب لتضع حداً لتلك الخلوة ولكنه اسرع اليها واعترض طريقها وضمها الى صدره واحدق النظر اليها ثم قال .

— ما احلا ان تعترفى الى الآن وفى هذه الخلوة بانى اصبحت رجلك الوحيد وتعترفى مثلى بان حياة بلا حب متبادل هى جسد بلا روح . يقول المثل السائر « برهن على رجولتك قبل ان تقدم على الزوجة » وها انا قد ضحيت ماضحيت وقاسيت ماقاسيت فى سبيلك وانت تعبثين بى ايتها المحبوبه . . فاطمه : الم يكن فى كل مامضى دليل على صدق الحب وقوة العزم : ألم يكن فى كل ما احتملت برهان على قوتى العزم والاحتمال : ستخضعين لارادتى فى النهايه لانك الفتاة الوحيده التى أحببتها فى حياتى والفتاة التى أحبها الى اللحظة الاخيره فاصغ لحديثى واخضعى لارادتى ادفع عنك المصائب واشعر قلبك بالسعاده والهناء الدائم .

تألمت فاطمه تألما بانا افقدها الحس والادراك واحست بضعفها وعجزها امامه واخيراً سألته قائله .

— لماذا نحن هنا ؟ واين نحن الآن ؟

— في مهد الغرام اى صغيرتي الحسناء ؟

— لا ياعبد الحكيم . لا وحال ماتطمع به . انك على يقين انى لاأحب .....

على أن لم يلبث ان تركها وخر على ركبتيه وقبل قدميها بالخضوع وخشوع وقاطعها متأوها قائلا .

— أنظرى ياحبيبتى . انظرى الى العالم المملوء بالاوهام بتضاءل شيئاً فشيئا امام عظمة حبنا وأمام سلطان الغرام . نحن هنا في مأمن من شر الناس ومن ويلات المدنيه الكاذبه فلنبق في عزلتنا وانفرادنا لاننى ابغض العالم وما فيه من ازدحام واضطراب وهنا في هذا المكان بين تلك الآكام العالية يوجد الخلود ويوجد كل شيء جميل . وهنا لن يعرف الحب الذبول ولن يعرف الغرام الموت او الفناء وما أحلى تلك الساعات التى نقضيها في مكان لايؤانسنا فيه الا سكون الطبيعة

حبيبتى . ليس في حجر الطبيعة وحدة . ليس في زواياها كهوفه الاودية السترامية وحدة ليس في الصخور تتفجر بالحياة الهادئه وحدة . ليس في شواهق الجبال وحدة . ليس في رمال الصحراء اللانهائيه وحدة انما الوحدة في معترك الحياة في الضجة الصماء والعدمة

الهوجاء . في عالم كله كذب ورياء وظلم وشقاء .

ما حلاوة الدنيا الا في الخلاء وما حلاوة الحب الا في الخلاء وما الحب الا سراج الحياة بل حياة الحياة . وهو حلية الكون وتاج الخليقة . هو النور الالهي الذي يملأ الصدر ارتياحا والفؤاد بهجة وانشراحا والمواطف نشاطاً والنفس شعوراً بالاغتباط والسعادة

وما أتى في حديثه الى هذا القدر حتى انتفضت فاطمه كعصفور بلله القطر وصاحت

— الى متى أعاني هذه الآلام المبرحة ! أواه لا أقبل أن يتم زواجنا هنا أو الليلة

الامر بسيط ويمكن اتمامه بكل سهولة

فازداد اضطرابها عند سماعها هذا القول وحلقت فيه بعينين حائرتين واستولت عليها الدهشة من هول الموقف وهمت أن تقول شيئاً ولكن خانها اللسان فصمتت بينما استمر هو في حديثه قائلا

حقا أننا هنا وحيدين وفي عزلة تامة ولا يتسنى لالاف من الرجال ان يصعدوا الى هذه الاكمة بين تلك المسالك الوعرة ولكن هنالك في الوادي مئات من العبيد في انتظار اشارة واحدة مني تدعو احدهم الى تلبية ندائي وحينئذ اصدر اليه اوامري باحضار المأذون الى هنا مهما تحمل من مشاق وصعوبات ليقوم بكتابة العقد بيننا

فيجمعنا معا تحت سماء واحدة ثم فى هذا الوكر — وكر النسر نقضى معا شهر العسل أى عزيزتى المحبوبة .

فلم تزد على أن زفرت زفرة واحدة لم تنطق بعدها بكلمة واستطرد هو الكلام فتمتم قائلا

هل اعطى اشارتى الآن

كلا . كلا . لم تأت الساعة بعد

اتجدين ام تهزلين ام قد مسك طارىء من الجنون ؟ اذكرى ايتها المستهترة انك الآن تحت رحمتى وحياتك فى قبضة يدى وانى هنا قادر على كل شىء . قادر على انتهاك حرمتك والعبث بشرفك ولكنى وددت الارتباط بك ارتباطا شرعيا فعرضت عليك الزواج وهذا دليل كاف على حبى واخلاصى لك فلا تطيلى تعذيبى فان قلبى لم يعد يحتمل هذا العناد السفيه .

زواج كهذا .....

فقاطعها على الفور قائلا

— نعم . زواج كهذا يقره الشرع ويؤيده القانون ولعمرى ما أحقر تلك التقاليد الواهية التى تواضع عليها الناس من قديم الزمان ليغلوا بها فى نفوسهم شهواتهم العاتية فاصبحوا اليوم وحوشا بقانون وكانوا بالامس وحوشا لا تأوى الى قانون أو نظام

واذ نحن الآن خليين لا أنيس ولا رفيق سنقف بعد قليل

وسط هذه الوحدة الرائعة بضمير هادىء ونفس مطمئنة ثم نحلف أمام الله بكل ما فى قلبنا من حب ويقين اننا قرينان وحبيبان الى الابد

فهزت الفتاة رأسها بعد ان صرعها اليأس وقالت مستسلمة

— حسبك مافعلت ياعبد الحكيم واتق الله فيما اتيت وانى الآن تحت رحمتك فافعل بى ماتشاء ومايرضاه ضميرك

— ادن هل اطمئن على انك اصبحت شريكتى فى الحياة

— أواه . طبعا . طبعا

والآن احس عبد الحكيم فى نفسه بحال غير حالتها المألوفة ومن حقه ان يكون كذلك لان قبول فاطمه بعد رفضها ورضائها بعد عنادها لم يكن حادثا عاديا قط ولقد رنت عبارة القبول فى اذنه رنين الاجراس فجعل يصيح بفرح وجنون

— اى زوجتى ! اى زوجتى فاطمه : اى زوجتى الوحيده فاطمه ساعطى الاشارة الآن ! بالفرحى : ياسعادتى : ياالهنائى : :

— لا . لا ولننتظر يوما اويومين . لننتظر . . . . . .

— الحب يافاتنتى لايعرف التأجيل والهوى منزه عن التسويف واسعد الاوقات الساعة التى نحن فيها .

ولم ينتظر ليتم كلامه بل تحول عنها واتجه نحو مدخل الكهف

وراقبته فاطمه فى فزع وذهول لانها أحست بالخطر الداهم يحدق بها من كل جانب فوقفت ترتعد خوفا وقلبها يخفق بسرعة خفقانا شديدا بعدأن شعرت باقتراب ساعة الخطر فلا تمض لحظة قصيرة حتى يعطى اشارته ويحضر المأذون ويتم العقد واذا بتلك السلافة المتقطعة قد أصبحت أمام الله وعبد الحكيم وعبيده زواجا شرعيا ثم فكرت طويلا وحدثت نفسها قائلة .

— يالله . الموت أهون لدى من هذه الحياة ولا أفضل عندى أن أقضى على نفسى بيدى فاذهب ضحية الطلب على أن اكون من نصيب هذا الوحش القاسى . ايتها الحياة الذميمة . سأصل عذابك بعذاب الآخرة وسأستبدل العذاب الوقتى بالعذاب الدائم . ايها اللئيم الآدمى : انت هباء لا تنال . برقك الخلب يبعث فى الوجود حمرة الرجاء ويلمع آن ما تذهب الجرد ويطول البلاء . والآن كذبت احلامى وطاشت سهامى ولم تبق الا مرارة الشكوى ومضاضة الذكرى وخير منها اليأس المريح . سأتعذب كثيرا وارى أن فى الموت راحة . فوداعا . وداعا ايتها الحياة الذميمة .

وعمت الى مدخل الكهف لتلقى بنفسها بين أحضان الصخور القاسية وتطلعت الى الفضاء اللانهائى يحيط بها فوجدته على مقربة منها مكبا على صندوق صغير فادركت فى الحال — بعد أن أضاء عودا من الثقاب وارتفع فى الجو عمود من الدخان واشتعلت النيران

أنه اعطى أشارته الى العبيد فى الوادى القريب .

لاحظت فاطمه عمود الدخان يرتفع فى أجواز الفضاء وايقنت بقرب حضور العبيد تلبية للنداء يتلوه احضار المأذون فعقد الزواج وهنا تكون النهاية والنهاية المؤلمة . وهاهى قد صممت على الخلاص وها هو الموت يسرع اليها وبعد برهة تصبح فاطمه جثة هامدة لتكون عند حسن ظن حبيبها ولتكون آية فى الوفاء والاخلاص . . .

وحقاً لم تمض لحظة قصيره حتى لبى العبيد نداء سيدهم عبد الحكيم فردوا عليه بمثل اشارته وارتفع الدخان فى الوادى ظاهراً واضحا واذ رآه عبد الحكيم تهلل وجهه فرحا وسرورا وقهقه ضاحكا بصوت مرتفع . والتفتت فاطمه ودارت بسرعه كمن اعتزم شيئاً واسرعت الى داخل الكهف فرأت فجأة مسدسه ملقى على المائده فاختطفته وخبأته تحت طيات ثيابها وبعد قليل عاد اليها مسرعاً متهللا من نشوة الفرح وصاح قائلا . . .

— لقد اجابوا النداء رداً على اشارتى يافاطمه :

— نعم

— . . . وليس لك بعد هذا عذراً فى التسويف

ثم اقبل عليها فاتحا ذراعيه وعيناه تقدحان بشرر الشهوة الجامحة واحست فاطمه بدقة موقفها وخطورته فاستجمعت قواها وصاحت

قائلة

— ومتى : متى يحضرون تلبية لندائك ايها «الامير» ؟

فضحك بخفة واستهتار واجابها قائلا

— اى حبيبتى . اخيرا : واخيرا اراك لهوفة على ساعة الحب ساعة الجمع بين روحينا الهائمتين . . . فنفرت منه وارتدت الى الوراء وصاحت قائلة .

— ابتعد عنى . ابتعد عنى . لاتقترب منى ايها الجبان

فهمس اليها — وقد راعه هذا التحول فى الساعة الاخيرة — قائلا

— ولماذا . . لماذا ياحبيبتى . سيقضى العبيد وقتا طويلا فى الصعود الى الجبل والهبوط الى الوادى مرة ثانية . ثم المأذون — الشيخ الطاعن المسن — سيقضى وقتا اطول فى الوصول الينا . فلا تعذبينى اى فاتنتى بهذا النفور وليجمع الحب بين شفاهنا الآن كما سيجمعها الزواج بعد آن ! .

وكان قد اقترب منها ووضع يده على كتفها فتراجعت مذعورة الى الوراء حتى التصقت بحائط الكهف وهى لا تقوى على شىء الفرط ما اعتراها واستمر هو فى اقترابه منها وهو يصيح

— حبيبتى . حبيبتى . أنت لى . أنت لى .

— ابتعد عنى . ابتعد عنى يادنىء .

— كفى دلالا واقبلى على يازينة الحياة .

واذا بها بفزع ظاهر وحركة سريعة اشهرت مسدسها وصاحت

— اهدأ وتروّ فى الامر ياعبد الحكيم

فهز كتفيه استخفافا وقال

— اتركى هذا ولا تحاولى الاقدام على هذا العمل الجنونى ايتها الطائشة .

— لا . لا

— لا تتعجلى واكرر لك النصح بان تتركيه . . . . . .

— سأقتلك ايها الكلب الدنىء اذا لم تبتعد عنى وتسرع بمغادرة هذا المكان

— لن أفعل ذلك وسابقى هنا . . . . .

ولم ينتظر عبد الحكيم ليتم كلماته بل هجم عليها بكل قوته فلم تجد فاطمه بدا من الدفاع ولم تجد لنفسها فرصة للتفكير . . . . . واذا بصوت يدوى فى الكهف وصياح مؤثر يتلوه واذا بعبد الحكيم يخر تحت قدميها بلا حراك واذا بالمسدس يسقط من يدها وتنحنى اليه فجأة بفزع وخوف وهى تصيح

— اى ربى ! ساعدنى يا آلهى . ماذا فعلت : انه غاطته : ما قصدت قط الا ارهابه : اننى قتلته . اننى قتلته . . . . . .

ثم تراجعت مذعورة واندفعت الى خارج الكهف وانطلقت

هائمة . . .

الفصل الرابع عشر

نعود الآن الى عفت البائس المسكين . عفت التعس المنكوب عفت الحائر القتاله . وكيف لا يحتار عفت بعد أن فقد مركزه فى الحياة وكيف لا يتوه عقل عفت وقد فقد شريكته فى الوجود نزلت به النازلة فطوحت بآماله . واصطلحت عليه الهموم والاحزان فاستحال حاله . وأصبح شريدا طريدا حائرا . وهو غريب فى بلد لا سند له فيها ولا عضد . فقير لا يملك من متاع الحياة مالا أو اعقارا . ضعيف لم يتمكن حتى من لقاء حبيبته الغائبة .

غابت فاطمه المرنة الجميلة من باخرته فكان عليه أن يبقى فى وظيفته ويستمر فى البحث عنها وكان عليه ان يجد فى البحث حتى يهتدى اليها . أما ان ربانا عظيما مثله يترك وظيفته ويتركها من أجل عمرضة بسيطة وقبل أن يصل الى ميناء الاسكندرية لتسليم باخرته تسليما رسميا خطأ أوقعه فى ارتباكات عظيمة وجر عليه من البلاء الوانا وضروبا .

وأصبح الصباح وكان النسيم الهادىء يهب على عادته من الشمال من نجاة البحر الصافى الزرقة وكانت الشمس على عادتها مطلة من ثنايا السحب تصبغها بالوان مختلفة وقد جلس عفت فى قهوة على

الشاطىء وامامه فنجانا من القهوة وفى يده سجارة تكاد تحرق أنامله لا يتحرك ولا يرفع رأسه مفكرا فى حبيبته الغائبه . وأنه لفى صمته قد ذهل عن نفسه وموقفه إذا احس بها تهتف باسمه بصوت خافت استطاع تمييزه وسرعان ما دار فجأة وقال .

— آه الآنسة سعاد

وكانت القادمة هى الانسة سعاد وكانت كعادتها جميلة فتانة ساحرة خلابة وكانت فى ثياب زادتها فتنة وزادت محاسنها دقة ولم تمض لحظة حتى بدأت الحديث فقالت .

— عجبا : ما الذى دعاك الى الجلوس هنا جلسة البائس المسكين ؟

— الحب ياعزيزتى !

— انى أعلم حقا أن الهوى حكم عليك بخار وتحول برده فى فؤادك الى نار . ولكن هل تركت الباخرة حقا وعزمت على عدم العودة اليها .

— نعم

ولم تكن سعاد — كما علمنا — ذات حياء أو احجام فسرعان ما اقتربت منه وجلست الى جانبه والتصقت به ونظرت اليه بمكر ودهاء ثم قالت .

— اذا سمحت تناولنا معا أى شراب منعش

— انا . . : أنا آسف ياسيدتى فليس لدى نقود الآن .

ولم يكد ينطق بهذه الكلمات بما عهد فيه من صراحة متناهية حتى أشفقت عليه سعاد وهى صاحبة ذلك القلب الحجرى المعروف وأثر مشهده فى نفسها فتأوهت وحملقت فيه بعينين ذاهلتين ثم قالت ببطء .

— انى أتألم ! اتألم أشد الالم حين أراك على هذا الحال. انى أرثى لك وارقب عن بعد من الاسف الشديد يوم سقوطك فى الهاوية يوم تصدع قلبك المسكين . يوم تقذف بك فاطمه وتفر منك فرار السليم من الاجرب ضاحكة ساخرة . ولقد ضحيت كثيرا من أجل هذه المخلوقة الضائعة وستندم قريبا يوم لا يبقى أمل أو ينفع ندم

هكذا يصور اليك عقلك السقيم فوفرى على نفسك هذا الكلام فقد جاءت النصيحة متأخرة

— ولماذا ؟

فتطلع اليها بكبر وصراحة وقال

— لانى أحبها ولا يمكن أن أنساها واسلوها . أنى الآن فى قاع « الهاوية » و اعتبارك ولا منقذ لى منها الا معجزة من السماء آه . سعاد كيف انساها واتركها فى يد الصياد عبد الحكيم . هذا محال . محال يا سعاد

— هل تستحق الفتاة هذا الاهتمام الفائق

— بل أكثر من ذلك انني أحبها يا سعاد ولست آسف قط للآلام المستفيضة التي تكبدتها من أجلها ولكن اخوف ما اخافه أن تصاب بسوء قبل أن اتمكن من انقاذها . آه ساعدني آلهي

— هل وصلتك انباء عنها

— لا .

وماذا فعلت لانقاذها

— بذلت اقصى ما في من جهد ولم أترك بابا الا طرقته أو سبيلا الا سلكته ولكن أراني كمن أراد أن يهاجم الاسد في مربضه أو يزحزح الجبل من موضعه . انني هنا لا أجد من يرثي لي . من يساعدني . من يعطف على أنهم يهزؤن بي ويقولون أنها فتاة مصرية ومن أسرة غير نبيهة . اليس كذلك ؟ إذن دعها للمقادير تفعل بها ما تشاء . وقد اغتصبها عبد الحكيم وفر بها الى الصحراء أليس كذلك ؟ اذن فهي من نصيبه .. وأنها حقا لطعنات قاسية اصابوا بها شغاف قلبي وصميم فؤادي ولقد هممت مرارا أن اقضي بيدي على حياتي . ولكنها هي وحدها التي استبقتني ومن اجلها أطلت في حياتي البائسة . أني أعلم ان الله لطيف بعباده وأنه اذ يبتلي يترك لكل ضيق مخرجا ولكل ظلمة حالكة خيطا من النور والامل . فصبرا وهو الصبر الذي اخترته لي مرشدا . وأن يصلح الحال او يسوء فاني لصابر .

وأخذ الهلع والذهول منه كل مأخذ فلم ينبس بعد ذلك بكلمة واحدة ثم اخفى وجهه بيديه وانفجر باكيا بصوت عال. وراقبته سعاد بنظرات حادة ملؤها الغيظ والغضب فشق عليه أن تراه امامها باكيا من أجل ممرضة بسيطة بينما هو لم يقبل أن ينظر اليها نظرة عطف واحدة وكبر عليها أن تكون امامه هزءا له وسخرية وأن يطعنها فى عزتها بصده بطعنات قاسية فلم تشفق على قلبه المتعصى الذى عبث به الحب ولم ترحم فؤاده وضعفه ودموعه بل عزمت على ان تنال منه بكلماتها الجارحة المؤلمة الى أن يستسلم اليها خاضعا ذليلا ولذا خاطبته متسائلة

— هل تقبل بمساعدتى ؟

فتطلع اليها عفت بلهف وقال

— أنى أمكانك ؟ وكيف يكون ذلك ؟

فهزت كتفيها بتهكم واستهتار قائلة

— فى وسعى على اية حال ان اسأل والدى عن بعض النقود لاجلك

— لم اقدم لك ياسعاد فى حياتى من الخدمات ما استحق عليه ذلك .

وبعد صمت طويل هزت الفتاة رأسها وقالت .

— كم أنت عنيد ياعفت . ألا ترى أننا كغرباء فى هذا البلد

يجب ان تتعاون وتتساند فيرعانا النجاح . ساعدل عن رغبتي الاولى في مساعدتك بالمال واذن هل تقبل مساعدتي من ناحية اخرى ياعزيزي

فهز رأسه والتفت اليها ثم اجابها قائلا

— لا سبيل لمساعدتي الا من طريق واحد

— وما هو ؟

— أن اكون على اتصال دائم بحبيبتي فاطمه

فلمعت عيناها في الحال وصاحت .

— أظن أنك تحبها اكثر من أي مخلوقة اخرى في العالم

— نعم . أحبها كثيراً وأنت تعلمين .

فقطبت جبينها وعضت شفتيها غيظا ثم قالت

— أظن أن هذه الفتاة لا تستحق منك كل هذا الولاء والتقدير وسأترك لك فرصة أخرى . للتفكير في أمر حبي والاقتران بي ولا يجمل بك أن تسرع في الرفض الآن واعتقد أن أهمية الموضوع تستدعي منك التفكير فيه تفكيراً طويلا .

فوضع أصابعه في اذنه وهم بريد الذهاب وقال

— لا تخاطبيني في هذا الامر ياسعاد ولا أستطيع أن أصغي اليك . اتركيني ودعيني أذهب الآن .

الا أنها أسرعت وامسكت بذراعه وصاحت

— لا تذهب . ابق معى هنا واصغ الى . فلدى فكرة أريد أن أعرضها عليك

— وما هى

— أن أساعدك على انقاذ فاطمه

— هل تستطيعين ؟ هل تستطيعين أن تردها الى ؟

— أن ابى غنى جداً وذو نفوذ وسلطان عظيم .

ولكن . . . . . .

فقاطعته فى الحال وقالت

— ولكن اصغ الى نصيحتى ياعزيزى . انك محب ناقص الخبرة ما دمت تعتقد أن اشفاقك ونصيحتك كافية لابقاء حبيبتك الغائبة . ولكنى اشفاقا بك اقبل مساعدتك لانقاذها على شرط واحد . . .

— حسن . وما هو ؟

— اعلم قبل كل شىء انها استسلمت الى عبد الحكيم واصبحت الآن زوجه الطائعة .

— ربما كان هذا قسرا عنها .

— . . . واذا كانت قد تزوجته راضيه وتود الاقامة معه ثم اعلنتك بذلك بلسانها . فهل تقنع بذلك ؟

فصرخ على الفور قائلا

— انني اجن . اجن ياسعاد :

— ولكن هل تفيق من سكرتك . :

— من سكرتي : وأية سكره ؟

فتورد وجهها فجأة واحمر خجلا وحدثت فيه بعاطفه متفززة ثم قالت

— آه . ان ابى سيهتم بامرك وبمركزك اللائق . واذن وبعد ذلك هل تقبل الاقتران بى ؟ ام لاتزال مترددا ؟ اجبنى بصراحه:

فاغمض عفت عينيه ولم يستطع ان يجبها بكلمة واحده وبعد تفكير قليل اعلنها فى هدوء وسكون قائلا

— نعم . نعم قبلت على هذا الشرط .

— اذن فموعدنا هنا الغد فى منتصف الليل . .

ثم تركته وسارت مسرعة .

الفصل الخامس عشر

بين لوعة الامس ونار الانتظار قضى عفت طول ليله وشطراً من نهاره يرقب الموعد المضروب . يرقبه وهو على يقين بان المرأة اذا وعدت انجزت وإذا قالت فعلت . يرقبه وهو يستقد بقود سعاد ودهائها وبنفوذ والدها ومكانته وأخيراً يرقبه وكله أمل بنجاحها مادامت مدفوعة بعامل الهوى الصادق والحب الثائر .

ولبثت هنيهة يفكر طول يومه فى موقفه وأحس بالنار تأكل قلبه والغيرة تمزق فؤاده وتقض مضجعه . وكيف يتسنى أن يحتمل تلك الصدمة الهائلة بان يرى حبيبته التى ضحى من اجلها بماله وحياته تنمى بين ذراعى عبد الحكيم ويقنع هو من غنيمته بالاياب وما كاد يلمس تلك الحقيقة من وراء الخيال حتى شعر بنفسه خالية من كل شىء حالية من الامل والصبر والرجاء واذا به يجلس صامتاً يناجى نفسه قائلا .

— اذا كان صدقا ماسمعته وها أنا مقبل على رؤياه ؟ واذا كان صدقا انها تزوجته وعاشت معه وقنعت برضاه ؟ فماذا أنتظر ؟ وماذا أفعل ؟ أأقتل عبد الحكيم ؟ نعم أقتله .. ولكن القول سهل والفعل صعب . وأنى لى بعبد الحكيم وهو رجل الصولة والحكم والجاه واذن فليس لدى الا روحى وروحها أقدمها ضحية للحب والغدر والوفاء .

وتندت عيناه بالدمع وهو جالس ينتظر انتصاف الليل ويرقب من بين الظلام شبح الآنسة سعاد تحدثه النفس طوراً بصدق وفائها وطوراً بتخلف الميعاد وخشى أن تحدثها نفسها بالعدول فالامتناع من الذهاب فتقتله بهزمها وبهذا ينقطع كل رجاء .

ولكن ها هو الليل قد انتصف او كاد وسيارة الآنسة سعاد قد وصلت فى الميعاد . وعفت يقفز على قدميه فرحاً صائحاً (شكراً

فها قد وصلت يا أخت الوفاء)

فردت عليه قائلة

— نعم . جئت وأتيت معي بانباء . ولكني لا اوافق على أطالة البقاء في هذا المكان .

فحنى رأسه وقال .

— أجل فهمت وأى مكان تقصده الآن

فارتدت قليلا وأشارت الى السيارة وقالت

هيا بنا . اسرع .

فتبعها وصعد في الحال ثم أصدرت أوامرها الى السائق فانطلقت السيارة في سكينة الليل وهدوئه وما لبث أن سألها عفت مسرعاً

— أي انباء وصلتك ؟

فتحولت وتطلعت اليه بهدوء ثم قالت .

— أنباء حققت صدق ظنوني السابقة ولكن مهلا .

— عجباً . كيف لي أن أتمهل وأرى المصائب أحدقت بي من كل جانب

ووقفت السيارة فجأة فنزلا معا وقصدا نزلا مطعماً فخماً في الجانب الشرقي من المدينة في وسط حدائق واسعة امتدت في كل ناحية وتقدمته الى مائدة اعدت لها بناء على طلبها بين أشجار الياسمين واغصان الكروم التي عطرت الجو بعبير أزهارها الجميلة

ثم تمطلت اليه بنظرات حادة وقالت .

— لعل هذا آمن مكان نأمن فيه أعين النظار وقد أمرت باعداد طعام العشاء لاني أرى أن الكبر والحياء عقد السانك ومنعاك من طلب المساعدة من الخارج فبقيت جائعاً طول النهار

فارخى عفت عينيه حزنا وتبدل لونه وقد أدرك هول الحقيقة ووقع كلماتها على نفسه الابية فالتفت اليها وقال بهدوء

— سيدتى . ليس لديك ما تأسرينى به من معروف الا أن تسرعى بقص تلك الانباء

فتبسمت وقالت

— ساقصها عليك ياعزيزى ونحن نتناول العشاء .

واحضر الخادم بعد قليل اطباق الطعام واكواب المياه المعدنيه وعندئذ ضحكت سعاد ضحكة عالية وقالت .

— دعنا نشرب نخب الحب ونأكل من صحافه ففى الحب الحياة وفيه السعادة والهناء

ثم استمرت فى صوت خافت كله عطف وحنان قائلة .

— صدق ظنى ياعزيزى وتزوجت فاطمه عبدالحكيم .

فصاح عفت فزعا وقال .

— أواه يا آلهى . أحقاً ما تقولين ؟

— نعم وبكل تأكيد .

فدفن وجهه في يديه غير مجترىء ان يواجه الحقيقة المرة الهائلة وذهب رجاؤه عبثا من وراء السعي لانقاذها ولكن بقية من الامل كانت لاتزال تلهو به جعلته يتطلع اليها بنظرات ملؤها الاسى انبعثت من عينه المملوئتين حزنا فقال بصوت ضئيل — استمرى يا سعاد .

فانصتت اليه وانقطعت عن الكلام لحظة تناولت فيها قليلا من الشاى كأنما ارادت ان تنبه افكارها الخامدة وقد أغضبها ان تراه باكيا حزينا من اجل فتاة اخرى فقالت

— انى تحملت من المتاعب كثيرا للحصول على هذه المعلومات وازيد على ماقدمت انهما قد تركا المدينة الى الصحراء .

— سمعت بذلك . سمعت بذلك .

— انهما فرا الى الصحراء ولكن لا أدرى الى أى مكان : وربما تمكنت فى صباح الغد من معرفة ذلك على وجه التمام

فاستوى عفت واقفا وضرب باحدى يديه على المائدة وأمسك بالاخرى معصمها ثم صاح قائلا بعاطفة قوية .

— اى سعاد . يالك من مثال نادر للعطف والاشفاق وما اكبر شهامتك ومعونتك الى ضعيف مثلى لم يكن يؤمل منك كل هذه الخدمات .

— شكراً ..

— ها ها . ليس لك أن تهزئي باقوالي وتسخري مني . اريني عبد الحكيم لانزع روحه من جسمه وارد هذه الفتاة الى وطنها ثم أعود اليك اجابة لك طائعا .

فصاحت الفتاة فرحا ووضعت يدها الناعمة على صدرها تشكر الله على فوزها في النهاية وأخيراً صاحت قائله

ـ اذن لقد استقر الرأى وستعطاني في صباح الغد أنباء جديدة فاذا عساك فاعل اذا أخبرتك بمكانها ؟

فهز رأسه وقهقه ضاحكا ثم قال

ـ اذهب اليها ؟

فقطبت حاجبيها وقالت

انت واهم اذا اعتقدت انك بالغ من عبد الحكيم مالم تبلغه منه فرات كثيرة حاولت ذلك من قبل

فاستدرعفت في ضحكه وقال

ـ أني لشديد الميل الى المخاطر الغريبة وسأذهب اليه ثابت العزم على النكاح وقد تمر الايام قبل فوزي ولكن أشعر بالنصر في النهاية .

ـ هل تعتقد بصحة ارائك ؟

ـ كل الاعتقاد

فهزت رأسها ولمعت عيناها ببريق من الدهاء ثم قالت

— لدى وسيلة اخرى : لدى وسيلة أضمن للنجاح :

— وماهى :

ان أصحبك فى ذهابك .

فتطلع اليها بعين ملؤها الشك والارتياب فتحجبت من حيرته وترددة وضحكت ساخرة من سذاجته وأيقنت بفوزها فى النهاية وأخيراً ابتسمت وقالت

— أن معرفتى بعبد الحكيم من قبل ومقابلاتى له فى القاهرة تضمن لى سهولة الوصول اليه وسأتظاهر بانى أقوم برحلة طويلة حول العالم وأن شئت صحبتنى فى رحلتى كخادمى العربى .

— أواه . ماذا تقولين؟

— أقول انك تتنكر فى زى خادم عربى فهل انت فاعل

وأحسن عفت بان ماعرضته عليه سعاد هو اضمن سبيل لتحقيق اغراضه لانفاذ فاطمه ورأى فى آرائها حاجة عقل جعلته يفضل تنفيذ مقترحاتها على أن يذهب بمفرده الى الصحراء فسألها قائلا

— هل تقولين الحق وعقدت على ذلك العزم؟

طبعا : طبعا .

— ولكن لماذا تحملين نفسك كل هذه المتاعب وارتكاب المصاعب ؟ لماذا تخاطرين باختراق الصحراء لتقابلى عبد الحكيم ؟ لماذا

تقبلين على نفسك كل هذه التضحية ؟ لماذا يا سعاد ؟

فضحكت الفتاة من بساطة السؤال وسذاجته واجابت

— ما أدهشكم وأغرب عقولكم أيها الرجال ؟ أوما علمتم ان قوة الحب الخارقة تدفع الفتاة الى ارتكاب الصعوبات بلهف واشتياق ؟ أوما علمتم أن المرأة تتسامح فى ايلامها وضربها متى كان الحب المستعر مصدر هذه الآلام ؟ وما عذابى ومخاطرتى الا من أجلك ومن أجل حبك أى سيدى العزيز

ونمت نبرات صوتها عن رعشة ظاهرة من الوجد وهياج العاطفة فلبثت تحدق فى عينيه بحرارة وشوق وصاحت والعواطف تقاتلها بعد أن اتكأت بذراعيها على المائدة قائلة

— انى احبك واحترمك . وانت الرجل المفرد الذى أحبه أنت المحبوب الذى يخفق له فؤادى وتطير نفسى حنينا اليه . أنت الذى كرست له قلبى ووهبته حياتى وليس فى قلبى غير صورتك ومحال ان أحب رجلا آخر . أريد أن أعيش بين ذراعيك وان تنطق شفتيك بكلمة واحدة وهى اننى اصبحت الآن « زوجك » فهل تعدنى بهذا الحب فالزواج ؟

وبدت على وجه عفت صورة جديدة من الألم والعطف والاشفاق فكان يصغى الى اقوالها بشىء من الاهتمام والذهول على أنه استطاع أن يكبح جماح عواطفه فهز كتفيه كأنه لم يدرك معنى

كلماتها وسألها قائلا .

— أواه ياعزيزتى ومتى يكون الرحيل ؟

فاثارت هذه الكلمات ثائرتها واشعلت نار الغضب فى صدرها فانحبس صوتها واكفهر وجهها واطالت النظر اليه هنيهة وهى صامتة ثم تملكت عواطفها وقالت

— أهذا كل ما تفكر فيه ؟ أتفكر فى طريقة تبعدك عنى ولكن لا تيأس يا حبيبى فسنرحل مما فى بحر الغد . فدعنا نتكلم الآن فى مواضيع أخرى لانى أشعر بالسعادة لوجودك بجانبى بينما لا تشعر أنت الا بالملال .

فلم يسع عفت أمام هذا الا ان يتظاهر بالارتياح لوجودها معه وفكر فى كثير من الكلمات يقنعها بها باغتباطه فيطمئنها ويريحها وخيم السكون عليهما لحظة قامت بعدها سعاد وتبعها عفت فى ذهول شديد ثم وقفا أمام سيارتها ومد يده اليها ثم سألها قائلا

— سيدتى . متى وأين يكون اللقاء ؟

فامسكت بيده ونالت وعيناها تلمع بنار الغيظ والغضب

— كلا . فانك ستأتى معى الى منزلى وانى اشعر الآن ياعفت بخطائى لانى وهبتك قلبى فلم تقدره قدره وعبثت بشعورى وهواى

فهز عفت كتفيه وتورد خجلا وفى عينيه مسحة الاعتذار ثم قال

— سيدتى أننى مدين لك بحياتى الجديدة والهناء الذى سأهتأ به وما قصدت بسؤالى الا راحتك وعدم انتباك بذهابى معك فهل يدر منى ايتها العزيزة ما اساءك أو كدرك

فاعادت سعاد رجاءها ولم يسعه الا القبول فركبا معاً فى صمت وافتتحت الحديث قائلة

— أين تقيم الآن ياعفت ؟ انك تقيم فى نزل حقير خارج المدينة لا يليق بمركزك الادبى . تعال معى وسيسرنى لرؤيتك ويعمل على مساعدتك

فتظاهر عفت بعدم الاكتراث وأغرق فى الضحك فرارا من موقفه بينما أمرت سعاد السائق ان يسير « الى فندق الباى » خارج المدينه واتفقا اثناء سيرهما على مقابلة مبكرة فى صباح الغد وما أن تم الامر على هذا النحو حتى أخذ يفكر فى أمر الرحلة ونفقاتها وأخيراً سألها قائلا .

— ماوأيك ياسعاد فى نفقات الرحله ؟

— خير لك أن لاتتعب نفسك بالبحث فى هذا الامر

— كيف ذلك ورحلة كهذه تحتاج الى جمال ورجال ومال واستعداد فائق وأنا كما تعلمين — لا أملك من النقود مايكفى لان يكون اجرة جمل أو تابع واحد .

— كفاك تهكما أيها الغرفانك لاتجعلنى أعمل عملا من أجلك

الا وتشعرني بأنني متطفله . أن والدي يعلم بانني سأقوم برحلة الى الصحراء ولقد اعتبر هذا طيشاً مني وجنوناً الا انه لعادته محافظة على شعوري لم يحاول الرفض

وبعد صمت قليل حنى رأسه بسكون وعلى شفتيه ابتسامة مرة ثم قال

— انني اشعر بحراجة مركزي الآن وأشعر بعوامل الخجل تطفو على قلبي فتوردني موارد التعذيب النفسي ولقد مر على المرء ايام يهوي فيها من اوج السعادة الى حضيض الشقاء والفاقة أو تمر عليه ساعات يصاب فيها في احب الناس اليه فيضطر حينئذ الى قبول مساعدة للغير بنفس غير راضية ولكن الجميل يجب أن يقابل بمثله . ولذا اعدك وعدا صادقا ان ادفع لوالدك في المستقبل نفقات تلك الرحلة .

— ماذا ! ... ماذا تقول ياعفت ؟ لاداعي الى هذا الكلام . انك تهينني بكلماتك فكفاك احتقاراً .

ولم تتمالك نفسها في تلك اللحظة بل انساقت مع تيار عواطفها المندفعة فارتمت على صدره وطوقته بذراعيها وانهالت عليه تقبيلا بشغف وجنون ثم تنهدت تنهداً عميقاً وقالت .

— لقد امتلكت فؤادي وأستأثرت بحياتي فاصبحت لك وحدك . أريد ان تحنى . اريد ان اكون واثقة من قلبك انني فيه . اريد ان اعيش بين ذراعيك وأموت عند قدميك فهل تعدني بالحب ؟

قالت هذا والقت ببصرها فى الفضاء ثم سرحت فيه بافكارها كأنما كانت فى حلم عميق وهى تشدد الضغط بذراعيها على عنقه وقلبها يخفق بسرعة خفقانا شديدا بينما تمم هو قائلا .

— كفى ياسعاد وسافكر فى ذلك قليلا .

فصرخت الفتاة على الفور قائلة .

— انى لك . لك وحدك وها انت لم تحفل بى وآثرت احتقارى أواه . ربى اكاد أجن . ساعدنى يا آلهى .

— عجبا . عجبا . أهكذا يكون الحافك والماحك . اذن لا بدلى من الذهاب فى الحال مادامت هذه رغبتك

فاطرقت سعاد هنيهة انفجرت بعدها باكية وازدادت فى التعلق به وهى تصيح بصوت مؤثر قائلة .

— عفت . لا تكن قاسيا ان فؤادى معذب كسير .. تعال . ضع يدك على صدرى لتتسمع دقات قلبى المرتعش المذعور .. تعال . ضع يدك تلمس اناميل اعظم قوة تتملك قلوب البشر قوة الحب واليقين . أن مالى وثروتى فداءك فلتذهب الثروة وليفنى المال مادامت المحبة وحسبى من الحياة الحب فهو كل ماتطمع اليه نفسى وسابقى لحبك ماحييت . .

وكانت السيارة تمر فى ذلك الوقت تحت أغصان الاشجار المتقاربة كالبرق الخاطف حتى امتزج ازيزها بحفيف الاشجار وأخيراً

وقفت فنزل عفت وقال بصوت خافت

— مساء الخير ياسعاد . اغفري لي تصرفي الليله . فما الحياة الا زوال في زوال . وهم ونصب وعناء . والكل يسعى مجدا وراء هذا السراب الخادع فلا يلبث ان يخفى الضياء واذا بقصور الامل والعلياء تذهب هباء . . ساقابلك في موعد الغد ياعزيزتي ولن انسى صنيعك مدى الحياة

فاجابته سعاد في تؤده وهدوء وهي تخفي ابتسامة سرور قائلة .

— أنت لي وسافوز بك في النهاية . . .

وانطلقت السيارة مسرعه في الظلام بينما اتجه عفت نحو الشاطىء في ارتباك زائد وقلق شديد . وحاول عبثا أن يخلص نفسه من تيار الافكار المزعجة وتأنيب الضمير التي تدفقت عليه وبخاصة لاضطراره الى قبول مساعدة الآنسة سعاد فجلس على صخرة يحدث نفسه بكل حديث يمر بخاطر القلق المرتاع واخذ يناجي نفسه قائلا .

— كيف يمكن لجسمي هذا التافه الحقير ان يسع كل هذه الاثقال الهائلة من الآلام والاحزان ؟ كيف استطيع ان احمل العبء الذي القى على عاتقي ؟ ثم من لي بمن يلقيه عن كاهلي ؟ أن سعاد تحبني وتقوم بدورها من اجل الحب ؟ ولكن في وسعي ان اضع حدا لهذا الكابوس . اذن فلا تنح عن طريقها وابتعد عنها ؟ ولن اسمح لها ان تلعب هذا الدور من اجلي دور العواطف الغامضة .

ومالان وصل فى تفكيره الى هذا الحد حتى ذكر امر فاطمة ونصيبها اذا رفض مساعدة سعاد والنتيجة المحتمة التى لاجدال فيها هى ان تبقى فاطمة تحت رحمة عبدالحكيم ومصيرها العذاب والشقاء

ثم قام يترنح فى مشيته مثل قصبة لعبت بها الرياح حتى وصل الى المنزل الذى تقيم فيه خارج المدينة وفى الصباح قصد المكان المتفق عليه وهناك وجد سعاد قد سبقته ووقفت تنتظر حضوره وعيناها تتقد بنيران العاطفة الثائرة ولكنها تظاهرت بالهدوء والثبات وقالت

— اراك قد أتيت فى الميعاد وكنت أظنك لا تحضر لمقابلتى بعد حادث الامس .

فافترت شفتاه عن ابتسامة هادئة ثم تطلع الى ساعته واجابها معتذرا

— أرانى قد تأخرت عن الميعاد قليلا .

— نعم . انى انتظرتك هنا ساعة كاملة ولكن هذه لاتعد شيئاً فيما يجب أن أعد نفسى اليه فعلى أن انتظر طويلا حتى أفوز بحبك فى النهاية والآن هل أنت على استعداد للرحيل ؟

— شكراً . أنى على استعداد تام .

فامسكت سعاد بذراعيه وجذبته اليها واجابته وعلى ثغرها ابتسامة رقيقة قائلة .

— لا شكر على واجب ارانى مدفوعة الى القيام به من أجلك

ومن أجل الحب الطاهر . وقبلة واحدة . قبلة بريئة ابلغ عندي وأشد تأثيراً في نفسي من عبارات الشكر الزائفة

وكانا يسيران في تلك الساعة بسرعة في شارع طويل في الناحية الشرقية من المدينة وكانت سعاد تحدق النظر اليه بوجل واضطراب وهو عابس الوجه مقطب الجبين يحاول عبثا أن يهدىء عواطفها الجامحة واخيراً تفرس في وجهها ثم قال .

— أي عزيزتي كيف أسمح لنفسي بتقبيلك ؟ واذا قبلتك ألا تحسبين بوعثة لبرودة هذه القبلات الزائفة . . .

فانت سعاد وقالت تتظاهر بالكدر

— القبلة والحب توأمان لا ينفصلان هي الرحيق السحري ونشوة العواطف ولذة النفوس . فقبلني يوما واحدا يا عفت لتشعر بنار قلبي على شفتاي . قبلني يوما واحدا لاشعر بالسعادة والراحة والهناء قبلني ياعزيزي

وظل عفت صامتا لا يحير جوابا وكانا قد وصلا في تلك اللحظة الى حانوت صغير لم يلبثا ان دخلاه معا وهناك في ركن صغير جلس شيخ عجوز تطلع اليهما حال وصولهما بعينين لامعتين ولم يتحرك من موضعه فاشارت اليه سعاد وقالت «هاهو الشيخ احمد عبد المنعم» ثم خاطبته قائلة .

— اود ان ارى عفت ياعبد المنعم بعد ساعة واحدة في صورة

خادم عربي يستحيل على أقرب الناس اليه ان يتعرفه فيها ولا أود أن أكرر لك رجائي بالعناية الزائدة .

وشعر عفت في تلك اللحظة بما ناله من امتهان واحتقار واراد ان يضحي بكرامته كما ضحى من قبل بمركزه من اجل فاطمه فقبل ان يقوم هذا العربي الذي قاده الى غرفة مظلمة بهذه العملية حيث غطى جميع اجزاء جسمه بدهان اسود والبسه ثوبا ابيضا فضفاضا ومنطقه بحزام من الصوف الاحمر وتطلع عفت الى مرآه في المرآة فراعه ماأحدثه عليه الدهان من التغيير ثم ما لبث ان أومأ اليه الرجل برأسه قائلا

— تقدم فان سعاد في انتظارك

وراقبته الفتاة في مشيته والقت عليه نظره فاحصة طويلة اعقبتها بضحكة هادئة ثم قالت .

— عفت عجبا . ما ابهى صورتك الآن ! وما اروعك في هذا الزي الجميل ! حبيبي لتكن هكذا على الدوام . .

ثم مدت يدها اليه وسارا معا في هدوء وسكون

الفصل السادس عشر

مسكينة فاطمه فان وقائع الكهف وعراكها العنيف مع عبد الحكيم قد انهكاها واتعباها كثيراً فمرت ساعات قبل أن تثوب

الى رشدها الضائع فتجده ملقى فى زاوية الكهف فاقد الحركة والحس ولم تجد بداً أمام هذا المشهد الرائع الا الفرار فاطلقت ساقيها للريح وفرت مثل غزال طريد الى الوادى وأخذت تثب من صخرة الى صخره بسرعة عظيمة مسترشده بعناية الله اكثر من استرشادها بعقلها وارادتها ولم تتمكن من الوقوف لحظة لتفكر فيما عساها أن تفعل أواى مكان تقصده وهى الفتاه الضعيفة البائسة المسكينه التعسه الوحيده المنعزلة البائسه حتى من الامل بالنجاة وكيف تفكر فى النجاة من اصبحت فى الصحراء منقطعة عن عالم الاحياء ؟

نعم . لم تقف لتفكر فى أمرها وفيما هى مقبلة عليه وظلت مندفعة فى انطلاقها لا تلوى على شىء اذ شعرت أن فى اندفاعها وابتعادها عن الكهف خلاصها من عبد الحكيم . وأى شىء أحب اليها من هذا الخلاص !

وأخيراً أحست فاطمه بالتعب وأدركها الاعياء وهى تصعد فوق المرتفعات تارة وتهبط أخرى وظلت أثناء سيرها تلتفت يمنه ويسرة خشية أن يرقبها رجال عبد الحكيم وهى تتوقع فى كل لحظة أن ينقضوا عليها . وظلت هكذا هدفا لهذه الاخطار المروعة الى أن وصلت الى منعرج فى الوادى فجلست جامده فى مكانها لا تتحرك وقد اخذت الوساوس تتجاذب أفكارها القلقه وهى تناضل عبثاً فى طريقة تمكنها من النجاة وحدثت نفسها بعد أن أدركت مراجة

موقفها وشعرت بعجزها وضعفها أن تعود الى الكهف مستنجدة ولكن ذكرى عبد الحكيم وقسوته وعبثه بها وتيجيعه دفعاها الى العدول عن هذه الفكرة والاستمرار فى سيرها حتى تدرك الوادى آملة أن تجد من عطف ساكنيه ما ينسيها الآمها والمشاق التى تكبدتها وينقذها من موقفها ورأت فى النهاية اذا ما استعصى عليها هذا وذاك أن تسلم نفسها للموت من أن تعود الى عبد الحكيم .

وكانت الدموع تترقرق فى مآقيها . وكانت أمامها المنحدرات التى تؤدى الى الآكام السحيقة والوادى المنخفض من تحتها على عمق سحيق ومضت مدة قبل أن تقفز فاطمة من مكانها اذ سمعت صوت أحجار ثقيلة تسقط بجانبها تلتها أصوات آدمية عالية تعلنها بقدوم بعض العبيد وتلفتت الى الخلف فرأت عبدين يتسلقان ممر الجبل بصعوبة وبطء شديد تليهما لاشارة عبد الحكيم وأدركت فى الحال هول موقفها اذا تمكنا من رؤيتها وبخاصة اذا اكتشفا جنايتها فيكون مصيرها الجزاء العاجل والموت المحتم . وأصبح أملها الوحيد ان تتوارى عنهما ثم تعمد الى الفرار منهما . . . . . ولكن الى أين لا تدرى . . . .

وكانت فاطمة اذ ذاك واقفة فى ممر ضيق تحيط به هاوية سحيقة من كل جانب وفى احدى نواحيه صخرة كبيرة لم تتمكن من الالتواء خلفها وكانت أصوات القادمين تقترب شيئا فشيئا وهى حائرة مضطربة وأخيرا

دارت حول الصخرة تفتش عن مخبأ تتوارى فيه عن انظارهما ولكن ان لها ذلك والممر اضيق من ان يسير فيه اثنان جنبا لجنب . ولم يبق امامها الا أن تتعلق بالصخرة من الجانب الآخر مستسلمة للاقدار وعناية الله فتعلقت بها وهي تبذل أقصى جهدها لكي تحفظ توازنها مخافة أن تفلت يداها فتسقط في الهاوية وفي الواقع لم يكن في امكانها أن تبقى معلقة زمنا طويلا وخشيت ان يدركها التعب فتسقط ولكنها فضلت هذه النتيجه عما فيها من موت محقق على ان يراها رجال عبد الحكيم فيعودوا بها الى القصر وانقضت دقائق قبل ان يمرا بها وهما يتحدثان بلهجة غريبه وهي جامدة في مكانها معلقة في الفضاء لا تجرؤ على التحرك أو التألم . . .

..... وأخيراً مرا بعد أن أصبحت في حالة من الياس يرثى لها فعادت الى مكانها الاول وجلست تلهث من شدة التعب تحاول التنفس بمشقة وصعوبة وهي تتنحت من الجروح التي أدمت يداها والآلام التي انهكت قواها . ولم تمض لحظة حتى استوت واقفة على قدميها بكل حذر ونظرت فيما حولها واندفعت في الممر الضيق تنخفض تارة وترتفع اخرى وواصلت السير دون ان تثنى خطوة واحده الى الوراء واستمرت في طريقها الى ان سمعت فجأة أصوات من خلفها فادركت انها قد وقعت في الفخ ودفعها الجنون واليأس الى الاندفاع فانطلقت تعدو كغزال شارد ولم تمض برهة قصيرة

حتى أدركها اقدرهما جويا وأمسك بها وقبض على ذراعها بعنف شديد . وهنالك شعرت فاطمه كأن شعبة من شعاب قلبها قد انهارت وصعقت فى مكانها صعقة لم تشعر بعدها بشىء مما حولها وأفاقت من غشيتها على صوت أقدام الزميل الآخر وبعد حديث قصير دار بينهما حملاها معا وصعدا بها فى الممر الضيق الى أعلا الجبل وفتحت عينيها وقد ملأها الشك وتطلعت اليهما بخوف ورعب وهى تنتظر صابرة ما يأتى به القدر وقد ظنت انهما بعد ان ذهبا الى الكهف ووجدا جثة عبد الحكيم احضراها لترى بعينها مشهد الجريمه التى جنتها قبل أن ينزل عليها العقاب واخيراً بعد أن أعياها التعب وصلا الى نهاية الممر وهناك استقر احدهما معها فى مكان وهى ترتعد خوفاً من هول الموقف بينما دخل الآخر الى الكهف ولم يمض وقت طويل حتى ظهر على بابه .....

..... الامير عبد الحكيم .....

وقف عبد الحكيم على مدخل الكهف معتمدا باحدى ذراعيه على كتف خادمه وهو ينئن انينا ضعيفا مما بدا عليه من عياء وضعف شديد وعيناه تلمع باشعة الغضب الهائل وهو يتطلع الى الفضاء الفسيح وما أن وقع نظره عليها حتى خاطبها بصوت زاده الضعف وضوحا فقال .

— تحية وسلاما يا أخت الوفاء . ها قد أتيت فى النهاية وها أنا

أنعم بمرآك للمرة الثانية يامالكة الفؤاد :

فاجابت فاطمه برعشة واضطراب

— كم أنا سعيدة بنجاتك ايها الامير . وما كان قصدى فيما فعلت القتل بل الارهاب

هكذا كان ظني وان لم أشعر للساعة بتمام النجاة والشفاء

— سيدى . لقد اسأت معاملتى وعبثا كنت تحاول ان تنال منى غير هذا الجزاء

فضحك عبد الحكيم ضحكة قصيرة وهو يشير اليها بيده واستطرد فى حديثه قائلا

— فاطمه انك تذكرين كل شيء ؟ تذكرين حبى ووفائى تذكرين تضحيتى واخلاصى . تذكرين عطفى وحنانى . واما وقد رفضت حبي وعصيت أمرى وتجاوزت حدك فى الاعتداء فستلاقى منى جزاء ماجنته يداك . . . . . ! أيتها القاسية لقد صرت اتعس الناس حالا منذ احببتك ولك فى كل يوم الف دليل على صدق حبي وعلى شدة ولعلى بك ولى فى كل يوم الف شاهد على أنك قاسية القلب تنفرين منى وتعذبينى بالصد والجفاء . ولئن عبثت بى ولم تذكرى الحكمة القائلة « اتقوا غضب الحليم » فسترين بعد اليوم كيف انتقم وكيف يكون انتقام العاشقين وثقى بان ما أعددت

من الوسائل لاذلالك وقهرك وتمزيق فؤادك لايدفعه عنك دافع ولو اجتمعت لانقاذك قوات الارض والسموات .

كانت الصدمة قوية والضربة مؤلمة وكانت اشد من عزمها واقوى من قوة احتمالها فافقدت صوابها عند ماسمعت حديثه واحست دواراً شديداً افقدها الوعي فاظلمت الدنيا في عينيها ولم تمض برهة قصيرة حتى حملاها فاقدة الحس مع عبد الحكيم الى الوادي وبعد ساعات قلائل في سير مستمر وجد متواصل وصلا الى القرية قبل ان يحتم الظلام . وهنا تطلع عبد الحكيم الى الفتاة وهز رأسه ثم قال

— انتهى الامر وعدنا يافاطمه بسلامة الله

الفصل السابع عشر

دخل عبد الحكيم خيمته في ساعة متأخرة عابس الوجه مقطب الجبين واوى الى ديوان منخفض منهوكا متخاذلا وقد أخذ التعب منه كل مأخذ فظهرت عليه علامات الكلال والاعياء وأراد ان يبدأ انتقامه من فاطمه ويعمل على تعذيبها ولكنه عاد الى نفسه وذكر ان صحته في حاجة الى العناية التامه وان جسمه في حاجة الى الهدوء والراحة فالتزم السكون وقضى بقية يومه في يوم هادىء عميق بعد أن امر عبيده بالمحافظة عليها ومراقبتها مراقبه شديدة

وما انبثق فجر النهار التالي حتى نهض عبد الحكيم من فراشه وقد بدت عليه مظاهر الشفاء فامكنه ان يسير بمفرده من غير ان يساعده أحد ولم تمض لحظة قصيرة حتى أتى اليه خادم انحنى امامه باحترام ثم قال

— مولاى فى الخارج زائران

— من هما ؟

الميرة بيضاء تلمع فى مقابلة مولاى واسمها سعاد هانم

ولم يكد يسمع عبد الحكيم هذا الاسم حتى هب واقفا وعيناه تلمع ببريق الفرح والسرور لوصول خليفته وصديقته وعلت شفتيه ابتسامة ذات معنى ثم صاح بالخادم قائلا — أدخلها فى الحال

ومضت خمس دقائق قبل أن تدخل سعاد خيمة عبد الحكيم ترتدى برداء أبيض غاية فى الاتقان والبهاء والرونق زادها جمالا على جمالها وحسنا فوق حسنها فتقدمت اليه وقد علتها الدهشة والحيرة وظهرت على وجهها علامات التعجب والاستغراب حينما رأته راقدا فى فراشه بشكل غير عادى وسرعان ما سألته بلطف ودعة قائلا — ماذا تم ياعبد الحكيم ؟

فانحنى شاكرا وقدم اليها مقعدا واجابها قائلا .

— سيدتى تفضلى بالجلوس

— اجبنى اولا ياعبد الحكيم ماذا حصل لك ؟ وهل اصبحت

فاطمه زوجك . . ؟

فذهل وحار فى أمره واعتراه خجل شديد وجلس لحظة صامتا وقد صعد الدم فى عروقه وأخيراً قطع حبل السكوت الذى ساد بينهما فقال .

— أشكرك على شديد اهتمامك بى . ولقد مرت بى حوادث كثيرة انتهت بانتصارى عليها ولذا فانا واثق من نجاحى والفوز بها قريبا ولقد كنت ولازلت مريضاً لانها اطلقت الرصاص على فاصابتنى بجرح آلمنى وانهك قواى .

فعلت جبينها سحابة سوداء امتنعت بعدها عن الكلام وتراجعت قليلا الى الوراء تفكر فى أمر فاطمه وجرأتها واقدامها على الاعتداء على أمير عظيم كعبد الحكيم وأخيراً نظرت اليه بحدقتين واسعتين كأنها تشك فى كلامه وقالت

— أحقاً ماتقول ؟ أأطلقت فاطمه عليك الرصاص ؟ متى ؟ وأين ؟ اجبنى ياعزيزى

— نعم . اعتدت على فى كهف باعلى الجبل كنت قد اعددته ليكون مهداً لغرامنا ومكانا امينا لعقد قراننا

— وهل تم هذا العقد واصبحت زوجك ؟

— كلا .

— عجبا . ولم لا ؟ انى لاأستطيع أن أفهم كيف ان اميراً

عظيما كعبد الحكيم يهتم بالصغائر ويحسب حسابا للحشرات الضئيلة ثم هو لا يقدم على ارغام فتاة احبها وتعلق بها على الزواج منه ويتمادى فى الانتظار . اذن اذا كنت تريدها حقا فعجل بالزواج ياعزيزى ..

فلم يلبث ان قاطعها على الفور قائلا —

اريدها . وهل فى ذلك من شك انى أريدها كما يطلب الظمآن ماءً والمختنق هواء . وستكون لى فى النهاية وساعمد من الآن الى العمل والعمل الحاسم ولقد كنت فيما مضى اقنع بقربها منى وأعلل النفس برضائها عنى فما استفدت الى الآن شيئاً . أما اليوم فسواء لدى نفورها ورضاؤها غضبها وسرورها وكما استعملت معى القوة للابتعاد عنى فسوف استعمل القوة فى التغلب عليها للاقتران بى

فرفعت سعاد رأسها فى الحال وقالت .

— نعم . هذا حسن ولكن أخبرنى ياعزيزى بما جرى وبما تود أن تفعله فى المستقبل ؟ فقص عليها عبد الحكيم قصته بالتفصيل وأنصتت سعاد اليه باهتمام زائد وشغف عظيم وأخيراً سألته قائلة .

— والآن ماعساك فاعل بعد ان عدت بها الى القصر ؟

— لقد عاد بنا الصيد من الكهف بعد اذ شعرت ان لا فائدة فى اطالة البقاء وبخاصة لاعكن من العناية بالعلاج . ولن تمض أيام قلائل استرجع فيها صحتى ثم أشرع فى تنفيذ ماعقدت العزم عليه وسوف تكون صيحات الالم والاستغاثة التى ترسلها هذه الفتاة

مستنجدة موسيقى تسرني وتشنف آذاني وتهزأ وتارقلبي الثائر .

فتبسمت سعاد ابتسامة هادئة اشعرته بسرورها من خطته الجديده ولو أنها اشعرته من ناحية اخرى بامتعاضها من هذا التأخير وبعد قليل استطرد عبد الحكيم حديثه فسألها قائلا .

— عزيزتي سعاد . لماذا اتيت الى هنا ؟ هل جئت للنزهة ام لشأن آخر ؟

— اتيت لقضاء مهمة تتعلق بي وأرى انك مساعدتك لي اضمن وسيلة للنجاح

— طبعا . وكم اكون سعيدا اذا تمكنت من مساعدتك في مهمتك ولا يسعني امام طلبك الا أن اقدم نفسي طوع امرك

فترددت سعاد قليلا ثم قالت .

— انني لازلت افكر ياعبد الحكيم في طريقة تمكنك من الحصول على فاطمه زوجة طائعه وفي اعتقادي ان الحب كالزهرة لاتنبت في يوم .. فلا بد من الانتظار ..

فاهمت سعاد بهذه الكلمات برزانة وطلاقة ورافبته لترى وقعها في نفسها وتأثيرها في فؤاده وبنت على ماعرضته عليه آمالا كبارا اذ لم يحققها بقبوله انهدمت فتصبح اطلالها في قلبها آثارا وخشيت ان يصر على عزمه باغتصاب الفتاة عنوة واقتدارا فيفسد عليها ماعزمت وبذا يهوى نجاحا كان في فؤادها متألقا سيارا . ولكن

ادركت من نظراته انه لا يزال راغبا فى الانتظار اكثر من ذى قبل ولذا تطلع اليها بعينين فاحصتين وسألها قائلا .

— وكيف يتم لنا ذلك ياعزيزتى وقد انتظرت كثيرا فلم افز بطائل وها انا لا زلت مستعد للانتظار اذا ضمنت لى الفوز فى النهاية

— النجاح مضمون اذا شد كل منا ازر زميله وتعاهدنا معا على العمل ويسرنى ان ابلغك ياعزيزى انى عثرت على عفت . . .

— باى شكل ؟

وكان عفت — فى هذه الساعة نائما مع حاشية سعاد خارج الخيمة ولو علم عبد الحكيم بوجوده على مقربة منه لقام على الفور وانتزع روحه من بين جنبيه ولكن سعاد لم تمهله وقطعت عليه سلسلة أفكاره فصاحت قائلة .

— انه الآن بين يدى كالفأر بين مخالب القط الثائر ولكن بدورى اريده لى زوجا طوعا لا كرها ولدى من الخطط والآراء ما يكفل لى ذلك اذا ساعدتنى على تنفيذها ياعزيزى فهل أنت فاعل ؟

— حدثينى ياسعاد عن افكارك وآرائك وستريين منى ياعزيزتى وفاء واخلاصا واحتراما لشعورك وستجدين منى سندا قويا وعونا على اقتحام الصعاب

وساد السكون بينهما لحظة وقفا أثناءها ينظران الى بعضهما واخيراً رفعت رأسها وقالت .

— أرانى وخطتى سهلة ولكنها تحتاج الى وقت ليس بالقصير وقد أشعرت عفت بان فاطمه احبتك وانها لن تحيد يوما عن هواك

— ماذا تقولين ؟

— نعم أقول واكرر القول انى قد اعلمته بهذا مرة واثنين وثلاث

— ولكن هل صدق هذا الخبيث اقوالك ؟ طبعا لا .

— انى استحسن ان لا تذكر امامى كلمات اليأس مرة ثانية ياعزيزى. وأكادلا اصدق ان أميراً عظيما عاقلا محترما كعبد الحكيم ينكر على المرأة فوق الدهاء والصبر واظن ان من واجبى الآن ان اسير معك الى النهاية حتى افوز بعزت فتفوز بفاطمه

القت سعاد هذه الكلمات بلهجة الواثق واصغى اليها عبد الحكيم بشغف واهتمام زائد واشتد تأثره بحديثها فتنهد وقال

— اذن دعينى أعلم ماعقدت العزم عليه وها انا منصت اليك

— انظر انى ابغى ان تعلن فاطمه بلسانها وفى وجود عفت انك احبتها وانها لن تبغى سواك بديلا .

فصاح عبد الحكيم فى الحال

— صه . صه . هذا مستحيل . انها لن تفعل

فقطبت جبينها واستمرت فى حديثها قائلة

— لشد ما يؤلمنى ان اسمع من افواه الرجال كلمة « مستحيل » وحى الله نابليون الذى أراد ان يمحيها من قاموس فعاله . . . عبد

الحكيم . اصغ الى . انني احب عفت . اقدسه . اهبه روحي ومالي وحياتي . . . آه . ما احلى انغامه وما اخف انفاسه على قلبي . آه ايها الرجال ان كان الحب في اعينكم جريمة فانا أول المجرمين

قالت كلماتها الاخيرة بصوت فيه رعشة وفي اختلاجات نبراته رنين ابلغ بيانا مما تتم عنه الكلم او تحتويه العبارات ورفعت بصرها فجأة فقرأت سر نفسه في عينيه . ذلك السر الذي عالج كتمانه في طيات فؤاده ومنع لسانه ان يتلجلج به على شفتيه فلم تستطع العينان له كتمانا فباحت به ولطالما كانت العين على الحب والاعجاب نمامة لا تعرف اخفاء ولا تطيق على الكتمان صبرا .

تبسم بهر عبد الحكيم الحسن وخلبه الجمال الفتان وهو جالس ينظر الى محياها الشبيه بطلعة الزهر وباكورة الورد وسرت به لحظات خشي على نفسه فيها أن يتمكن حبها من قلبه فلا يستطيع له بعد ذلك دفعا فاغمض عيناه لحظة اعقبها بزفرة خرجت من اعماق فؤاده ثم خاطبها بصوت كله لطف ورفق قائلا .

— أي عزيزتي ماذا تريدين مني أن افعل ؟ واي . وسيلة تمكنك من ذلك ؟

فاجابته وهي تخفض من صوتها قائلة .

— لا تسألني يا عزيزي عن الوسيلة فقط هل توافقني على البدء في تنفيذها من الآن ؟

— كل الموافقة ومعنى هذا على ما فهمت البدء فى تعذيب عفت والقضاء على آماله بادماء قلبه وتمزيق فؤاده . اليس كذلك ؟

— نعم . وبعد أن يرى جرح فؤاده الذى سيسعى الى أقرب طبيب يرجو منه الشفاء

— اذن اليك : اليك ياسعاد .

— نعم . نعم

— الآن برح الخفاء وسهلت المهمة وسابذل جهدى لتنفيذ ما رسمت من خطط

ولزما الصمت مما برهة اعقبتها سعاد بضحكة رقيقة ثم قالت

— ما أعجب شأنكم ايها الرجال أن تعتقدوا فى المرأة القادرة الضعف والاستسلام وانتم فى الواقع دونها مقدرة ودهاء . ألا تشعر معى ياعزيزى بانى قد فتحت الباب واسعا أمامك وما عليك الا أن تلجه بقدم ثابتة وضمير هادىء . ألا تدرى ياعزيزى أن عفت عاهدنى واقسم أن يكون لى اذا ثبت له أن فاطمه قد تحولت عنه واصبحت من نصيب غيره

— ليت شعرى ماذا تقولين ياسعاد ؟

— نعم انه عاهدنى على ذلك ومتى شعرت فاطمه بان عفت قد تحول عنها الى فهى فى هذه اللحظة وفى هذه اللحظة فقط تسعى اليك تطلب ودك وتبغى رضاك وتتقدم اليك راضية بان تكون

الزوجة الوفية الطائعه

فانتفض عبد الحكيم لدى سماعه هذه الكلمات واقفا على قدميه وجسمه يرتعش ارتعاشاً ظاهراً وتمتم قائلا .

— لك ذرك من فتاة حاذقة ماهرة لاتعرف معنى للقسوة القاهرة . ولاغضاضة أن اعلن اليك عجزى عن أبداء شكرى لما تقدميه الى من جميل المساعدة ولقد شعرت بقصدك ولكن كيف السبيل الى لسان فاطمه لنجعله ينطق بهذا التصريح الخطير .

فتبسمت سعاد وقالت

— ها قد برح ياعزيزى الخفاء وانكشف الغطاء ونحن بين أحضان الشرق مهد المكر والدهاء . مهد السحر والحيله والخداع فاترك لى الامر آتلك بالمعجزات

— أن ما تحاولى الاقدام عليه ياسعاد صعب التنفيذ .

— أعرف ذلك ولكن . . . . . .

— وأى لكن ؟

— ثق ياعبد الحكيم أنى قدعزمت عزما اكيداً على المقاومة الى النهاية .

— كلا . كلا . واستمعى الى ياسعاد فلدى فكرة أخرى تحتاج الى مشقة وعناء فى تنفيذها . ولكنى واثق من نجاحها وفوزنا وساقدم عليها غير هياب ولا وجل

فبهتت سعاد واخذتها الدهشة وخافت أن يتحول عن عزمه الاول فاصفر وجهها ثم التفتت اليه وصاحت .

— أى خطة هذه ؟ اسرع ياعبد الحكيم بعرضها على ؟

فحدق اليها طويلا بنظرات مضطربة وانحنى يهمس فى اذنها كلمات لم يستطع النطق بها ومالت بدورها تنصت اليه باهتمام زائد وبعد أن فرغ من تلاوة حديثه بدت حمرة الخجل على وجهها ثم هزت رأسها وقالت

— نعم . نعم انها لفكرة طيبة وقد نفذت مشروعك هذا الى صميم أغراضى ياعزيزى وارى أن تسرع من الآن بنقل الفتاة الى القصر .

فضحك عبد الحكيم ضحكة عالية ثم قال متعجبا .

— آه ما اشقانى واتعس حياتى . فكل يوم يمر انما هو تكرار مر أليم لليوم الذى قبله وكلما اعتزمت أن اضع نهاية للاآمى وتعذيبى بأن اضم فاطمه الى ذراعى طوعا او كرها اذا بالاقدار تقف حائلة بينى وبينها وليس للانسان امام القضاء والقدر الاالصبر . أذن وجب على أن أصبر حتى أسمعها تعلن لعفت انها تحبنى ثم تتقدم الى زوجة مخلصة وفية .

فنظرت اليه سعاد متهكمة ثم ضحكت وقالت

— نعم . نعم يجب أن ننتظر معا وسأذهب الآن لاعود

بعفت بعد حين

فقطب عبد الحكيم وعبس وقال بصوت جدى رهيب

— ليس الامر على ما تتصورين من البساطة وأرى من الصعب المقور عليه بهذه السهولة

فتبسمت سعاد واطالت الابتسام لانها كانت على يقين أن عفت على قيد خطوات معدودات منها وانه طوع أمرها ورهن اشارتها ولكنها لم تشأ أن تعلن هذا الى عبد الحكيم فضت فى قولها باسمة الثغر قائلة .

— أننى واثقه من المقور عليه فى أقرب وقت وما فى ذلك شك ولا ريب

فد عبد الحكيم يده وقال بصوت تخنقه العاطفة

— سيرى يافتاتى على بركة الله واستنجدى بالحب باعث النور فى القلوب واحملى بين يديك مصباحه ليهديك بنوره فانه للمعذبين هادى . فلئن ظفرت بضالتك ومنشودك وانست بحبيبك بين ذراعيك كان هذا لك خير الجزاء والا فما للعاشقين الا الذكرى والصبر والعزاء .

فاجابته سعاد بصوت هادىء عميق قائله

— شكرا لك فلست استحق منك هذا الثناء والاطراء ولقد قلت حقا وانطقت صدقا فان الحب هو الذى يروى شديد ظمأى

ويطفىء نيران اوارى بل يبرد عليل همومى كما يسكن خفقان قلبى وهو كل ما تطمح اليه نفسى . فيالربى كن لذى الحب مديت

ثم ودعته وافترقا . . . . .

وعادت سعاد الى عفت وكانت قد تركته كما قدمنا خارج الخيمة وطلبت اليه أن يصحبها الى القصر حيث تقيم فاطمه وصاحت به جدة بمازجها شىء من اللطف قائله

— قم . قم ياعفت فانها الآن فى مركز حرج

فاجابها على الفور بتعجب وهو يزدرد لعابه

— كيف هذا وعبد الحكيم هنا فى الخيمة ! . . .

— نعم انه هنا ولكن فاطمه ارسلت الى القصر

— اذن فلا أذهب اولا لأثأر من عبد الحكيم .

فاسرعت اليه سعاد وتعلقت بذراعه وهو يتطلع اليها بنظرات الحنق والغيظ وتمتمت بصوت خافت قائلة

— ما أغباك ياعفت ! لاتتعجل فلا يزال لدينا من الوقت متسع لانقاذها .

— ولكنها لاتزال هنا كما ابلغنى العبيد وسيتم زواجها الليلة

— عظيم . هل تشك فى كلامى ياعفت وقد انبأنى بذلك عبد الحكيم نفسه الآن

فنهض واقفا على قدميه ونظر اليها نظرة شك وارتياب ثم

تبسم وقال .

— لا . لا انك صديقتى وعونى فى الحياة ومحال ان يتسرب الى الشك والارتياب فاشكرك واشكرك كثيرا ياسعاد

فهزت سعاد رأسها وقالت .

— اشكر الاقدار التى جعلتنى افعل ذلك من اجلك . . انى عرضت نفسى للمخاطر واقدمت على مقابلة عبدالحكيم واحكمت التدابير لانقاذ فاطمه ثم ان تضن فى النهايه بمجهودك تبذله من اجلها وتتركها فى اللحظة الاخيرة بين احضان الاسر والعذاب يا آلهى شتان بين عاطفة وعاطفة

فاحمر وجهه قليلا وقال

— لعلى مخطىء ياسعاد فى تقديرى حقيقة شعورك وعاطفتك اجل تلك العاطفة التى لا الومك عليها ياعزيزتى لانها عاطفة محمودة واذن فلأذهب الى فاطمه الآن ثم لاثأر من عبد الحكيم بعد الآن فالى العمل السريع ياعزيزتي .

فاشرق وجهها بنور الفوز واقتربت شفتاها عن ابتسامة شائقة واعترضته قائلة

— لن يتيسر لنا الرحيل الآن ياعفت لاشتداد الحر ولغياب رجال القافلة فى القرية وسنبدأه فى فجر الغد باذن الله .

— حقا لقد احسنت صنعا ياسعاد

وابتهج عفت لهذا التأخير لانه أعطاه على الاقل فرصة أخرى تمكنه من مواصلة البحث عن فاطمه والتأكيد من مكانها الحقيقى وكان قد عثر اثناء اقامته بين رجال القافلة بقروى آنس اليه فاقبل عليه كل يوم ينقل اليه اخبار القرية سرا . وكان قد اخبره في الليلة السابقة ان فاطمه لاتزال فى القرية مع عبد الحكيم وزاده تأكيدا فى اليوم التالى بصحة أخباره الاولى فاثار ثائرة عفت واشعل نار الغضب فى صدره وجعله فى حيرة من أمره فاخذ يحدث نفسه قائلا أخدعتنى سعاد بكلامها وتلاعبت بى أم خدعها عبد الحكيم فاعمى بصيرتها عن الحقيقة والصواب ؟ ،،،

وانتظر حتى خيم الظلام وفى ساعة متأخرة من الليل تقدم الى خيمة عبد الحكيم باحتراس زائد مخافه ان يراه الحراس ولما أن اقترب منها حانت منه التفاتة فرأى على ضوء القمر حارسا عربيا انتصب واقفا كالتمثال على باب الخيمة وبالرغم من حذرة ويقظته تمكن من الوصول فدار من الخلف وجثى على ركبتيه وزحف على بطنه رويدا رويدا وخنجره بين اسنانه وكمن فى مكانه . ولم تمض لحظة قصيرة حتى حمل اليه نسيم الليل البهيم صرخة فتاة مصريه تملكها رعب قاتل : صرخة أجرت الدم ثلجا فى عروقه وهزت قلبه هزة كادت تقضى عليه فتخشبت مفاصله كالوحش البائس واستوى واقفا استعدادا لاثوب وفى لحظة واحدة اخترق الخيمة كالسهم الخاطف

ولو انه تبصر قليلا لعلم انه لا يوجد فى هذه القرية النائية من الفتيات المصريات الا فاطمه وسعاد ولو انه انتظر لحظة لتأكد ان هذا الصوت صوت الاستغاثة لم يكن آتيا من فاطمه حبيبته الغائبة ولكن انى لعفت صاحب القلب الطاهر . صاحب القلب الرؤوف صاحب القلب الرحيم ان يقف جامدا امام هذا الصوت المفزع صوت الفتاة المستصرخة .

دخل عفت الخيمة والقى بنظره فى ثورة وهياج الى جوانبها المظلمة فاذا به امام مشهد ازهله وملك عليه مشاعره ... امام سعاد بين ذراعى عبد الحكيم يقبلها بحرارة وشوق وهى تحاول عبثا التملص والخلاص منه ..... : ومضت برهة ولم يشعر احدهما بوجود ثالث بينهما بينما استمرت سعاد فى صراخها واستغاثتها وعبد الحكيم يشدد عليها الضغط بذراعيه وينهال عليها تقبيلا بقسوة وهياج ووقف عفت صامتا فى مكانه يتسمع كلماته وهو يقول

— أى سعاد انك ترتعدين وتحاولين الخلاص فاذا يخيفك منى ؟ ان نعيم الحياة عندى هى قبلة صغيرة من شفتيك قبلة تشعرنى بالحب الذى نسعى من اجله معا

انى خائفة ! انى خائفة : اطلق سراحى ايها الوحش

ولم تلبث ان عاجلته بضربة قوية فى جبهته جعلته يصرخ صرخة

عالية فانقدت عيناه بنار الغيظ والغضب ورفع يده عالية وهم ان يهوى بها عليها فاذا بخيال عفت الذى لم يعبأ بما احاط به من خطر محدق قد استرق الخطى ومشى على أنامله ثم انقض عليه وهو يصيح باعلى صوته (تراجع ايها الوحش والا خطفت روحك) فتحول اليه عبد الحكيم وقد علت وجهه ضبابة كثيفة من القسوة الوحشية وجم لحظة من فرط ما اصابه من الذهول لأنه لم يألف مطلقا ان يتداخل خادم عربى فى شؤونه ويفاجئه بمثل هذه المفاجأة الغريبة وافاق من ذهوله بطعنه قوية ولطمة قاسية فى فكيه لم تلبث ان جعلته يترنح قليلا ويسقط على ارض الغرفة وهو يئن بتوجع شديد والتفتت سعاد بدورها بعد ان انتهت من اغفائها وصاحت .

— اواه . هل مسك خبل . لقد قضيت بطيشك هذا على آمالى وآمالك

— سعادك تستغيثين فاسرعت لانقاذك من براثن هذا الوحش الضارى . والآن اسرعى وهيا بنا نغادر هذا المكان الرهيب بلمح اليك الاسراع يا سعاد

— ولكن .....

— ولكن اسرعى والى النجاة يا سعاد .

— تنبه ! تنبه ياعفت . موقف حرج . أنه لا شك يدركنا اذهب أنت وسابقى معه للاعتناء به . اذهب ياعفت

ولكنه لم يمهلها لتتم حديثها بل تقدم اليها وحملها ثم اندفع بها الى خارج الخيمة وأخذ يعدو في ظلام الليل كطيف هارب واستمر في سيره بحذر وطمأنينة وماهي الا دقائق حتى ادرك عبد الحكيم بعد أن وهنت قواه من التعب ولم تمض لحظة قصيرة حتى أحس عفت بطعنة صائبة من خنجر حاد اصابت كتفه فآلمته . فاطبق شفتيه وأسنانه بقوة ليمنع صوت الالم أن يخرج من فمه ثم دار بعفت ولكم عبد الحكيم لكمة قوية جعلته يصرخ مستغيثا ويسقط على الارض صريعا مغميا عليه . ولم ينتظر عفت أكثر من ذلك خافة أن يلحق به انصاره فينتقموه من العذاب الوانا بل اندفع قبل ان يراه أحد واختفى في ظلام الليل البهيم ولم يفكر قط أن يذهب ثانيا الى خيمة الآنسة سعاد لئلا يدركه عبد الحكيم وفضل أن يستمر في تخبطه في الرمال اللانهائية . . . . ولم يكن جرحه جرحا بسيطا ولم يستطع بعد عناء شديد أن يمنع تدفق الدم من هذا الجرح فهوى الى الارض بعد ان انهكه التعب مضرجا بدمه الذي كان لا يزال يتساقط من كتفه فاقد الحس والشعور :

لم يدر عفت كم بقي على هذه الحال وأخيرا افاق واسترد بعض شعوره فوقف يترنح وقد وضع يده على كتفه وأحس بجرح بليغ ينبعث منه الدم واحدق النظر الى المشاهد المحيطة به فتولته الدهشة عندما رأى نفسه يستظل من حرارة الشمس المشرقة باوراق شجرة

سدت اغصانها على المنحدر الرملى . وحاول الوقوف على قدميه فدهش مرة أخرى اذ وجد جميع اعصابه متوترة متألمة فاخذ يلهث ويتلوى من شدة الآلام وشعر فى النهاية بصوت ينادى برفق وحنان قائلا

— آه عفت . حبيبى عفت . اذا كنت تستطيع سماع صوتى وأنت فى غيبوبتك هذه فاصغ الى

فتطلع ليرى صاحب هذا الصوت ولشد ماكانت دهشته حينما رأى امامه شبح الآنسة سعاد تنظر اليه بعينين ملؤهما الحزن والندم تعلو وجهها صفرة أشد هولا من صفرة الموت وهى تحنو عليه والدموع تنحدر على خديها قائلة

لاتتحرك ياحبيبى . انى معك . أنك فى سلام وامان

وكانت هناك اثر الحوادث السابقة وبعد فرار عفت مقابلة عنيفة ومناقشات حادة دارت رحاها بين سعاد وعبد الحكيم اذ اعتقد هذا ان فى الامر سرا ولغزا خفيا وأن هذا العربى الذى طعنه فى خيمته له علاقة وثيقة برجالها . فذهب توا وفتش خيمتها بدقة متناهية فلم يعثر على عفت الذى اسعن فى الفرار كما رأينا بينما الحت عليه سعاد فى النهاية أن تستعرض حقيقتها وتحالفهما معا وأن يعملا على تنفيذ ماتعاهدا عليه من قبل ولكنه احدق اليها وقد راعه اسمانها فى الألحاف فقال متسائلا .

— بعد الذى حصل بالامس ؟

— وما هو

فعلت وجهه حمرة الخجل وقال

— بعد أن اجترأت ياسعاد فى تلك الليلة أن أظهر اعجابى بك وتقديرى لجمالك . حقا لازلت مستاءة فيما أظن . اليس كذلك

فتنهدت سعاد وقالت بصوت خافت

— دعنا من هذه الذكرى ياعبد الحكيم ولا تقدم على مثل هذا العمل مرة اخرى

— ساقدم عليه ياعزيزتى كلما استمر افتتانى بلحظك وانجذابى بجمالك وكلما راق فى عينى منظرك

فحدقت اليه بنظرات قاسية كأنها تحتج على اقواله بينما استمر هو فى حديثه بحدة وغضب قائلا — . . . . . وهل لديك الجرأة الكافية لمنعى ؟

فاشتدت دقات قلبها عند سماعها هذه الكلمات ومالت نحوه وقالت بصوت عذب رقيق مؤثر .

— لعمرى أن ما اراه منك الآن لم اكن انتظره من قبل وكفى انى اعلنتك بصفحى عما بدا منك رغبة منى فى المسالمة وارى أن دوام التحالف بيننا اضمن سبيل للفوز والنجاح

فابتسم عبد الحكيم ابتسامة مرة واجابها قائلا .

— حقا لقد فهمت ولذى اعاهدك من اليوم أن اقف عند

حدى وان ابقى بجانبك اقدم لك المساعدة اللازمه وهيهات أن يقوم بيني وبين نصرتك حائل ما ياسعاد . ولى كلمه واحدة اعلنها لك قبل أن نفترق وهى انى ساكون فى حل من عهدى هذا اذا تبين لى فيما بعد ان لك علاقة بهذا العربى الذى تعدى على فى خيمتى وانى لن آلو جهدا فى الثار منك والانتقام لكرامتى وعزتى ولن تنقاى من عقابى ولو نا صرتك قوات الارض مجتمعة

فلم تزد الفتاة على أن أمتقع وجهها وابتسمت ابتسامة مرة ثم ودعته وانصرفت

. . . . . .

جرى هذا الحديث بينهما من قبل والآن تذكرته سعاد وهى أمام عفت تحنو عليه . وتذكرت كلمات عبد الحكيم وتهديده وتذكرت ان هذا التهديد موجه الى حبيبها وانها اذا اقدمت على مساعدته وهى على مقربة من عبد الحكيم وفريته فمصيرها الموت المحتم بل ما هو اشنع وافظع من الموت فوقفت جامده فى مكانها واطرقت الى الارض واخيرا انحنت اليه وناولته قدحا من الماء وهمست فى اذنه قائلة .

— عفت حبيبى . كيف حالك الآن ؟ هل تستطيع الحركة .

فتلوى قليلا والقى بنظره الى القربة القريبة منه واخذا يلهث قائلا . . .

— آه . اذا لم استطع فسوف تشوى اضلاعى على النار وتؤكل طعاما لذيذا شهيا : ولا حيلة لى ياسعاد الآن . ساعدينى اذا امكنك وانقليني من هذا المكان

فاسرعت سعاد وأمرت رجالها باعداد نقالة سريعة لينة حملوه عليها ولم تمض دقائق قليلة حتى شدوا رحالهم الى الشاطىء ولم تشأ سعاد ان تفارقه فالتزمت السير الى جانبه تواسيه بكلماتها وحنانها وما ان قطعت القافلة فى مسيرها خطوات معدودة حتى تنهدت قائلا — سعاد اين فاطمه ؟ . فلمعت عيناها ببريق الحقد والحسد ورأت من الحكمة ان تلطف آلامه فاجابته قائلة

— اننا ذاهبون اليها ياعزيزى . فنم هادئا ياحبيبى ولا تتحرك

فارتسمت على وجهه ابتسامة حلوة وبدت عليه دلائل الهدوء والسلام وقال بصوت خافت

— شكرا لله . اما احلى النعيم بقربك يافاطمه

ثم اغمض عينيه وغاب عن الوجود .

اما سعاد فانها احست بالالم يتطرق الى قلبها من الغيرة التى بعثت النار اليه تأكله أكلا والسهام تمزقه تمزيقا وانخلع قلبها حنقا من عناد عاشقها الجريح واصراره على حبه الاول فاصرت بدورها على الانتقام من فاطمه التى اختلست منها قلبه واغتصبت عطفه عليها وكل ما اعتقدت انه من حقها وحدها بصفتها حبيبته الوحيده

وعقدت العزم على العمل الحاسم للفوز عليها فى ميدان الحب ميدان الهوى القاتل والغرام .

الفصل الثامن عشر

استفاقت فاطمه فى صباح اليوم التالى قلقة الخاطر مضطربة البال ولم تنم الليلة البارحة ولم يغمض لها جفن وباتت طوال ليلها شاردة الفكر ساهية الطرف الى أن ادركها الفجر وهى على هـذا الحال واطلقت لهواجسها ووساوسها العنان واستسلمت لسلطان الغيبوبة يطفوا على افكارها فيمحوا منها الذكريات وتمنت ان لو دام عليها هذا الحال حتى لاتشعر بما يحيط بها من الآم قاتلة واحزان .

وانقضى يومين كاملين بعد نقلها من الكهف الى القرية لم ترفيها وجه عبد الحكيم بل انها لم ترا ثناءها الا سربا من البدويات يسهرن على خدمتها ويقدمن لها الطعام والشراب وجلست فاطمه فى منتصف النهار التالى فى مخدعها والحزن ملىء فؤادها تفكر فى حالتها وفى ما آل اليه أمرها وتطلعت فجأة فرأت امامها على مقربة منها عند باب الخيمة ... الامير عبد الحكيم ... يكاد ان يفترسها بنظرات هيامه وابتسامة الفوز تعلو شفتيه . ولو ان الصاعقة انقضت على رأسها لما ارتاعت وحزنت كما ارتاعت وحزنت من رؤيته امامها على ثمة عين غرة فى تلك الساعة فجمدت فى مكانها واغمضت عينيها ثم غطت

وجهها بيدها من الحياء والفزع وبعد برهة وجيزه بعد ان هدأ اضطرابها تقدم منها ببطىء وقال

— يؤلمني ان ارى حبيبتي الصغيره مريضة متوعكة المزاج فهل تسمح لي فتاتي بالكلام ؟

فاختلجت الفتاة وتلعثم لسانها واجابته بصوت متهدج قائلة .

— كيف لا اشعر بالمرض يا عبد الحكيم بعد تلك المفاجئات القاتلة : كيف لا اشعر وقد اخذت وردة حبي في الذبول ! كيف لا اشعر به وانا في سجن تضييق وارهاق ! بالله ضع نفسك موضعي ثم حدثني بعد ذلك عن شعورك ! انني لا اطلب منك شفقة ولا رحمة فقد تحجر منك القلب وجمد الفؤاد . بل اتقدم اليك طالبة متوسلة ان تقضي علي وان تريحني بالموت من حياة كلها بلاء وشقاء.

وخنقتها عبرة منعتها عن الاستمرار في الكلام فانهمرت الدموع على خديها وعلا صوتها بالبكاء . وعاد عبد الحكيم الى نفسه واراد ان يتقن دوره في اظهار عواطف الرحمة والشفقة والحنان . فتقدم اليها واخذ يحدق فيها مليا ثم حدثها بصوت عذب رقيق قائلا

— اي فتاتي . حاشاي ان اقدم يوما على هذا الجنون : أأقتل فاطمه ؟ أقتل روحي التي بها احيا ومن اجلها اعيش ! ! حبيبة قلبي ومالكة لبي وسالبة روحي وملاك سعادتي كيف اطيق فراقك وانت التي لا حياة لي بدونها . أنت أملي الذي أحيا به . انت سر الوجود

فلا وجود لى بعد ذهابك .. أى معبودتى المقدسة ! فديتك نفسى وروحى وحياتى وكل وأملى فى الحياة .

فتطلعت اليه الفتاة بسرعة وصاحت

— ولكنى امقتك وقد حاولت قتلك منذ أيام

— نعم . اعرف ذلك

— وسأعيد الكرة مرة اخرى اذا ساعدتنى الظروف . سأقتلك من ان اكون زوجك أننى أفضل الموت على ان تضمنى مثل ذراعاك

فاجتهد عبد الحكيم فى مغالبة تأثره وهياجه وافتر ثغره عن ابتسامة قاسية ثم قال

— أى طفلتى الصغيرة . أن هذا مستحيل ولقد اخطأت فيما قلت وفعلت . وما كان يجمل بك أن تصرحى لى بهذه الاقوال . أننى اعطف عليك عطفا شديدا والرحمة التى رفضتيها اليوم سأضعها بين يديك فى كل حين . فما قولك الآن ؟

فاه بهذه الكلمات بينما لبثت فاطمه صامته وقتا طويلا فقد كانت هذه الكلمات غريبة جدا بل هى هائلة الى الغاية فهى تعرف عبد الحكيم قاسى القلب لا يلبى ولا يرحم فكيف به الآن قد تغير هذا التغير الفجائى فانقلب رقيقا حنونا مخلصا وفيا . وأخيرا وبعد تردد طويل وشك وارتياب رأت أن تنهز هذه الفرصة مع

ما احاط بها من يأس واليائس يتعلق باوهى الخيوط فصاحت بتهيب قائلة .

— اذن قدم لى دليل واحد على رحمتك وعطفك وحنانك يا عبد الحكيم ؟

— نعم . ساقدمه فى الوقت المناسب وكما افهمه انا لا كما تفهميه أنت ياعزيزتى

— اذن دعنى أموت. دعنى اموت يا عبد الحكيم فليس لى بعد اليوم قوة على الصبر او الاحتمال

فنظر اليها نظرة سريعة وقال

عجبا لشد مايؤلمنى يافاطمه أن تندفعى فى أقوالك الى هذا الحد . اهدئى قليلا واتركينى افكر فى أمرك ايا ما ولعلى اهتدى الى رأى صائب تلمسين فيه راحتك المنشودة

فضحكت الفتاة ودارت بنظرها قليلا ثم هزت رأسها وقالت .

— راحتى . وأى راحة لى المسها فى ظلام هذا الخيمة وانسارك لى . أواه أخشى ان يكون قد طوح بافكارك التفكير الطويل .

آه . الا تصدقين انى افكر الآن فى أمرك

— فى أى شأن

فجعل يتأملها بنظرات فاحصة واطال السكوت برهة انفجر بعدها قائلا .

— واخيرا ساخبرك يافاطمه ولوان فى هذا ايلام لشعورك لقد بلغنى ياعزيزتى ان عفت تحول عنك وبات يبغى سواك.

فضحكت الفتاة ضحكة استهزاء مملوءة بالحقد والغيظ وحولت افكارها الى ناحية اخرى حتى لاتتأثر بكلماته ثم هزت رأسها وقالت

— ها .ها .ماأضحكك وأغرب أمرك ياعبدالحكيم ويضحكنى منك ان تقول هذا القول « عفت قد تحول عنك » ها. ها عفت حبيبى وأملى . . حياتى وروحى . . كلى ونفسى . . قد تحول عنى محال ان أصدق ومحال . محال .

فتطلع اليها ثم رفع عينيه وصاح

ان الرجال . . . . . .

فقاطعته على الفور وباستهتار قائلة .

— لاتحكم على جميع الرجال باقوالك . ان عفت رجل كامل شريف ولن يحمل قلبى من محوه يوما ماذرة من الشك او الارتياب

فادنى وجهه من وجهها وتفرس فيه قليلا بعينين نفاذتا صبرا ثم قال .

— الفتاة الغنية القادرة تاتى بالمعجزات .

فانحبس نفسها لحظة لانها لم تدرك مرمى اشارته والى اى الفتيات يشير فضربت الارض برجلها وصاحت .

الفتاة الغنية القادره . . واى فتاة تقصد ؟

فانثنى عبد الحكيم قليلا وقال بخشونة

— كلا انى لاأعنيك بقولى . ان ماقلته لك من ان عفت احب فتاة اخرى هو كل ماعندى وهو عين الحقيقة فلئن عن لك ان تشتبهى فى أقوالى فليس أمامى الا الواقع شاهدا ودليلا وسأذهب بك اليوم لاقيم لك هذا الدليل فتشاهديه بنفسك وتنظريه بعينك وتسمعيه باذنك ولك الشأن ياعزيزتى بعد وضوح الحقيقة وأقامة الدليل . . .

فساد السكون برهة أندفعت بعدها الفتاة صائحة .

— اذن . اقم لى هذا الدليل و . . . و . . . و . .

فتراجع الى الوراء خطوة كابحا جماح عواطفه المتأججة وصاح

— نعم . . وماذا ؟

وكان قلبها قد انخلع من هول الموقف ووقع هذه الكلمات وهجمت على أفكارها الحائره جيوش الشكوك والشبهات فبقيت فى مكانها جامدة لا تستطيع حراكا وتعذر عليها الكلام بينما استمر هو فى حديثه قائلا .

— عديني يافاطمه أن تكوني لى اذا بدت لك خيانة عفت واضحة جليلة . عديني أن تنسى من هزأ بشعورك واستهتر بقلبك وطعنك فى فؤادك وحبك الطعنة القاسية . عديني أن تتركيه وان لا تفكرى فيه بعد اليوم وان تقبلى على حبي الطاهر وزواجى

الشرعي .

— كلا . كلا ياعبد الحكيم أن هذا محال ومحال ومحال .

فتمتم بين شفتيه بكلمات غير مسموعة اردفها بقوله

— حقا ما أشد طيشك وغباوتك

— نعم انى طائشة غبيه لانى افضل الموت على الزواج منك ياسيدى :

فعاد عبد الحكيم الى نفسه وكبح جماح عواطفه ثم تحدث اليها متلطفا متوسلا قائلا

— حبيبتى فاطمه : انى احبك كل الحب حبا لم استطع تقديره الى الآن . ولقد كاشفتك بما فى فؤادى من لواعج الشوق اليك وبما فى قلبى من الحب الذى تضاعف بمرور الايام ثم تقدمت اليك وارتميت تحت قدميك متذللا اطلب الرحمة مما فى قلبى من النار ومما فى فؤادى من العذاب المبرح . ولكنك رغبت عنى وعقدت العزم على الاقتران برجل غيرى . فحرمتينى نعمة الهناء بقربك . . وبلاه : هل تعرفين يافاطمه من هو الرجل الذى استسلمت الى حبه ؟ هل تعرفين من ضحيت نفسك بقبول الاقتران به . . . نعم ستقترين بوحش لا قلب له ولا ضمير ستقترنين بمقت حبيبك الخائن الغادر . . بربك لا تعجلى ودعينى اسر لك كلمة فاصغى الى سأثبت لك بالدليل الذى لا يقبل الشك أن مقت قد تحول فى وجه

انه خانك وخدعك وحنث بوعده . أن هذا الغادر لا يدرك مقدار هذا القلب الطاهر الذي اخلص له وتكرس له كل ايام الحياة ثم من الحماقة والجهل ان تصبري بعد هذا على حبه وتقيمي على هواه وتنفريني منى وترفضي حبي وتعبثي بنجواى . ولتحذري يافاطمه يوما تشعرين فيه بخيانة حبيبك فتقبلي على حبي وتطلبي الرحمة ممن لم تحني عليه بالرحمة وهو عند قدميك ذليل يتوسل متألما يطلب العطف عليه والاشفاق .

فصرخت فاطمه من الالم وانهمرت الدموع على خديها وصاحت قائله .

— هذا مستحيل : هذا مستحيل . أنت مخدوع ياعبدالحكيم محال أن تؤثر على حبيبي أي فتاة ومحال ان يخدعني هفت . ولكن أين الأدله ؟ أين هو البرهان على خيانته وعلى صدق ما تقول ؟

فابتسم عبد الحكيم ابتهاجا لتألمها ثم قال .

— أي عزيزتي . غدا صباحا يحمد القوم السرى . فلنتظر . ثم ودعها وانصرف .

الفصل التاسع عشر

لم تكد تشرق شمس الغد حتى كانت فاطمه سائرة في طريقها الى قصر عبد الحكيم . وكان قلبها منعما بالمخاوف وروح الغضب

والاستياء التي خلفتها لها حوادث الليله الماضيه فلم تشعر بابتهاج من هواء الصباح ولا اكترثت بمشاهد الطبيعة الصامتة الممتدة على اليمن واليسار . ولم يشأ عبد الحكيم ان يتركها نهبا للوساوس والهواجس فلازمها اثناء المسير ليخفف من مخاوفها العامة ويزيل عنها كابوس متاعبها والآمها . وفى منتصف النهار الثالث وصلت القافلة فنزلت فاطمه فى القسم الذى اعد لاقامتها وكان واقعا خلف القصر وسط قطعة مربعة من الارض غرست حولها الاشجار ذات الازهار الجميلة والكروم المتعانقة وتولى خدمتها فتيات عربيات حسان تعودن ان يرقص امامها طول النهار ويعزفن بالآتهن الموسيقيه وكم أمرهن عبثا ان يلزمن السكوت ولكن كان مخولا لهن ان يميصن امرها فى هذا الامر فقط ولكنها استطاعت على مر الايام ان تأنس اليهن فكانت تجلس دائما معهن فى غرفتها تصغى الى احاديثهن وهزرهن . واختارت من بينهن فتاة تجلت فى وجهها أمارات العطف والرقة وآنست فيها الزكاء والدهاء والمقدرة فقربتها منها بعد ان اعجبت بها كل الاعجاب .

وكانت عزيزة هذه من الفتيات اللائى يندر ان تجود الطبيعه بمثلهن فى بلد كتونس . وفى الواقع كانت جميله كالليل مقدامة كالرجل تتجلى فى عينها علامات الخيانه تارة والقسوة اخرى ويدل محياها على شىء من الجرأة والاقدام بالرغم مما كان يبدو عليها من دلائل

الدعة واللطف وقد اكسبتها رقتها النسائية ملاحة جديدة من الجلال والهيبة فلما توجد فى بنات جنسها ملاحة هزت قلب فاطمه واثرت فى قوة ادراكها وتصورها . ملاحة جعلتها تنخدع بنظراتها ورقيق عواطفها فاقبلت عليها تحدثها عن سريرة نفسها وبواطن أمرها . ولم تفكر فاطمه لحظة واحدة ان هذه الخادعة الماكرة لم تكن الا رقيبة عبد الحكيم وساعده الايمن فى تنفيذ اغراضه وتعودت ان تختلى بها بعد ان توثقت بينهما عرى المودة والصداقة الحقة فتحدثها عن نفسها وعن حقيقة امرها وما تنتظره من الصبر والاقدار لمساعدتها وذلك بينما اشتغلت سعاد من ناحية أخرى بامر عفت فأقامت بجانبه تسهر على تمريضه وتعمل على شفائه من جراحه ولتبعث فى جسمه المتألم بكلماتها وحنوها روح الانتعاش والحياة .

وجلست فاطمه يوما بعد ان قضت ليلة ساهرة خائرة القوى مصدعة الرأس مثقلة الجفون مرتخية الاعضاء تفكر فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها فلم تعثر فى اى ناحية من نواحى حياتها المشؤومة على فرجة من الامل بنجاتها ولقاء حبيبها الغائب فاخذت تناجى نفسها بصوت خافت قائلة .

— « ايتها الاقدار كم انت قاسية . ان فؤادى معذب كسير وقلبى خافق مذعور فارفقى بى واشفقى على ... وأنت ايتها الاحلام ! الاحلام المملوءة بمعانى الحب والخلود والجمال . ماأعذبك . لهفى عليك انى انشدك ! وما احب الى نفسى ان اعيش بينك واهمة تائهة ارحب بخيال واودع آخر . . . وانت ايتها الآمال ! آمال الحب المستعرة . ثم آمال الخيبة الباردة . اذهبى وسيرى فما انا بجبانة اخافك واخشاك . ارحلى عن ناظرى بأزهارك الضاحكة فان لى فى الصبر زهرة باسمة ناضرة ... وانت ياحبيبى ! تعال واجلس بجانبى ثم اسمعنى انغام الحب الطاهرة . انغام القلب الصامتة . تعال خذنى معك اجوب الآفاق كالسحاب الجميل يطير كما تهوى الرياح . خذنى معك اقف بجوارك حيث تريد الوقوف واسير معك حيث تريد المسير نعيش معا سواسيه كالزهرتين المنبثقتين من غصن واحد تتألم بقلب واحد وتغنى بصوت واحد وتبكى بدمع واحد وحسبى هذا

من الحياة وكفى . . . آه . حبيبي عفت . تعال الى . فلازلت أناديك بتلك الكلمة الخالدة . . . « سابقى لحبك ماحييت . . خلقت لك فانا لحبك الى الابد »

واستمرت فاطمه فى مناجاتها بصوت خافت ضئيل والدموع تنهمر على خديها الذابلين وقد رفعت عينها الى السماء باضطراب وخشوع واذا بعزيزة تتقدم اليها على مهل وتناجيها قائلة .

— ماذا بك ياسيدتي حتى تجلسين وحدك فى هذا السكون الرهيب وما معنى هذا الحزن البادى على جبينك ؟ افكر فى المستقبل ما تراه حبيب غائب ؟

فذهلت فاطمه لرآها وفزعت من هذه المفاجأة فلبثت شاخصة اليها بنظرها صامتة واجمة وكانت على يقين من قبل بان كل فرد من افراد القصر على علم تام بحب عبد الحكيم لها وعزمه الاقتران بها واذ أحست فاطمه بوحدتها وعجزها وضيقها وضعفها وتلمست فى كلمات عزيزة الرقة والدعة اقبلت عليها تطلب ودها وترجوا معاونتها فتقدمت اليها بفكر ذاهل وعين حائرة تصيح بصوت عذب مؤثر قائلة

— حقا هو حبيب غائب ايتها الفتاة الطيبة ولشد مايؤلمنى انى الفريدة بحبى هنا والاقدار هازئة مستهترة

فتطلعت اليها عزيزة وقالت مبتسمة

— أنك أذن تحبى ! حسن ليس فى الحب عار مادام رضيع الخيال وربيب الروح والجمال . وها أنا بدورى ياعزيزتى اصابنى الحب واضنانى الهوى القاتل ولكنى أشعر فيما لاحظت من أحوالك أن حبيبك هذا غادر خائن

عفت فاطمه رأسها تخفى الدموع التى جرت غزيرة على خديها والانات المتوالية التى ازدحمت عليها بعد أن شعرت بان هذه هى نفس الكلمات التى أعلنها بها عبد الحكيم من قبل وأعادا علانها مرارا تلك الكلمات التى رفضت أن تصدقها او تجد من نفسها قبولا ولم تلبث أن تقدمت الى عزيزة بنفس حزينة وقالت .

— انهم اخبرونى بهذا وبان عفت قد خان عهدى وهزأ بحبى ثم تركنى ومضى

فتبسمت عزيزة وقال .

— وماذا تنتظرين من الرجال ياسيدتي الا الغدر والخيانة !

— كلا . كلا ياعزيزتي . أن عفت شاب شريف طاهر طيب القلب جميل مهذب متصف بصفات ملائكية عالية

فضحكت عزيزة ضحكة عالية كأنها ارادت أن تهزأ من طفولة قلبها وخاطبتها قائلة

— عجيب أمرك ياعزيزتي ! هل غاب عن وعيك أن الرجل صائدنهم لايكف عن الصيد ابداً وأن تسعة أعشار الرجال أشد تقلبا من الدهر وأكثر تلونا من الحرباء لاتعرفين أين أنت منهن . . .

وساد السكون بينهما برهة ثم قطعت عزيزة حبله قائلة

— انني لست ممن يعتمد على الظنون ولا أصرح الا بما أنا متحققة منه تمام التحقق وفي وسعي أن اقيم لك الدليل على صدق اقوالي جليا واضحا

فكادت فاطمه يتولاها الجنون من تكرار هذه العبارة على لسان عبد الحكيم من قبل وعلى لسان الخادمة عزيزة الآن ولم تشأ أن تفوتها هذه الفرصة السانحة بعد أن ظنت انها مكيدة مدبرة فصاحت على الفور قائلة —

— لقد شقيت كثيرا وتعذبت طويلا ولا قدرة لي بعد اليوم على الصبر أو الاحتمال . فائتيني ياعزيزتي بالدليل الذي لايقبل الشك خيانة عفت لي وابتعاده عني وها انا مصغية اليك وطوع اشارتك ياعزيزة

فاهت فاطمه بهذه الكلمات وحمرة الخجل تعلو خديها بعد أن غالبت عواطفها حينا فلم تتمكن وكانت هذه هي نفس الكلمات التي طالما تلهفت عزيزة لسماعها وانها انتظرت صابرة لاعلانها بها بعد أن أمرها عبد الحكيم بان تحاول جهدها لتستفز الفتاة الى اظهارها على لسانها ولذا صارحتها بعد أن سمعتها على الفور بلهجة الواثق قائلة

— نعم أنني على أقامة الدليل قادرة .

فعاودها الخوف والفزع وذكرت ماهي فيه من تعس وشقاء وبلاء واعتزمت أن تتخذ من عزيزة ناصرا ومعينا بان تبث اليها همومها وبلواها وتجعلها سرها ونجواها لعلها تجد داخل هذا الجسم الاسود قلب أبيض يعطف عليها ويرق

لحاظها فاقتربت منها وأمسكت بيدها وأخذت تتلو على اسماعها حديثا هي ببواطنه واسراره وحواشيه اكثر الناس علما به فتمتمت قائلة .

ـ اصغ الى ياعزيزة ! علم سيدك قبل أن يأتي بي اسيرة الى قصره انني أحب شابا مصريا حبا تمكن من قلبي وتأصلت جذوره فيه فغدا يحاول بالعنف تارة وباللين اخرى أن يستولى على هذا القلب الذي وهبته لسواه وعند ذهب الجهد وضاعت المحاولات . ومذأتى بي الى القصر فى المرة الاخيره وهو يظهر لى من صنوف العطف والمجاملة مايحاول أن يأسرنى فيكتسب رضاى ويفوز فى النهاية بحبي وهواى . . . . .

فقاطعتها عزيزة قائلة

ـ نعم . أنه ماضى العزيمة قادر على الصبر والكفاح وسيصبر وله فى الصبر مساوة وعزاء . . .

فاستمرت فاطمه فى حديثها قائله .

ـ نعم أعرف ذلك واعرف قسوته ونواياه . انه يحاول أن يفوز على باطالة تعذيبي واسارى وبان يتحدث الى الفينة بعد الفينة على لسانه أولسان عبيده أن عفت اهمل شأنى وسخر منى وهزأ بقلبي وحبي . وانه آثر بقلبه فتاة غيرى أبهى منى جمالا واكثر منى ثروة ومالا . ولكنى واثقة من أن هذه وقيعة دنيئة لانصيب لها من الصحة ومحال أن تؤثر على نفسى مثل هذه الاقوال .

فتحولت عن عزيزه قليلا واجابت بهدوء قائلة .

ـ . . . . . ولكن لا يمنع مع وثوقك هذا ان يتحول قلب حبيبك عنك من طول البعاد

فحنت فاطمه رأسها وأطرقت مليا ثم قالت .

ـ نعم . قد يحدث ذلك ولكنى اطلب اليك لما اعهده فيك من قوة السحر والمكر والدهاء أن تسرعى باقامة الدليل عسى أن يخف مابى من وجد وعناء

فابتهجت عزيزه بسماع هذه الكلمات وودت لو أن تطير باجنحة من هواء الى عبد الحكيم لتعلنه بنجاحها وتشعره بفوزها فينال منه ماهى جديرة

به من آيات الثناء والاستحسان . وليتزلها بين عبيد القصر بالمكان اللائق بها ويجزل لها العطاء والاحسان. فانثنت الى فاطمه تعلو وجهها ابتسامة رائقة وقالت

ـ لاتجملى لليأس الى قلبك ياعزيزتى من سبيل ولئن بقيت هنا أياما أقمت لك الدليل .

فتعلقت فاطمه بذراعيها وقالت . ـ متى وانى وكيف ياعزيزتى ؟

فنهضت عزيزة واقفة واجابت

ـ سيدتى . ببخور الشرق ودخان الاحلام ستلمسى شبح الحقيقة واضحا جليا للعيان . ولا تدعينى اصرح لك باكثر من هذا الآن . وستوقد النار غدا ثم تضىء . فتحدقى انت فى اللهيب . فيطفو عليك دخان الاحلام وفى الضوء المشتعل والعطر الفائح والمسك الطيب تجدى حبيبك الطائن بين احضان حبيبته الفاتنه .

ثم تظاهرت باخوف والارتعاش وقالت : ـ ..... ولابد ان يبقى هذا السر بينى وبينك والاخزائى من سيدى الموت العاجل .

فلم تجد فاطمه بدا من ابداء شكرها فاعلنت امتنانها ووعدتها بانها ستبقى الامر بينهما سراً مكتوما .

وفى المساء ارسل عبد الحكيم فى طلب الآنسة سعاد واختليا فى غرفة داخليه وسألها عن عفت فاجابت على الفور

ـ انه تعافى الآن ولن استطيع بعد اليوم ان احمله على الانتظار الطويل وقد اخبرته ان فاطمه اصبحت زوجك وانها سعيدة بهذا القران . وانى سأثبت له بعد ايام صدق هذا الكلام .

فابتسم عبد الحكيم وقال . ـ لك هذا من الغد !

ـ من الغد ! اذن فانت على استعداد ـ نعم . نعم

ثم قص عليها ماجرى بتفصيل واسهاب فعادت اليها الطمأنينة اكثر من قبل واظهرت سرورها وارتياحها لهذه السرعة الفائقة والنجاح المحقق واخيراً سألته قائلة

ـ وهل انت واثق ياعزيزى من فعل هذا البخور ومن تأثيره القوى فى الاعصاب ؟

— نعم انى واثق منه وثوقى بظهور الشمس بعد انقشاع السحاب

فضحكت سعاد ضحكة قاسية وقالت

— اذن غدا احضر مع عفت الى القصر ليرى بعينه صدق كلامى ولكن ماهدني ياعبد الحكيم الا تمسه باذى باى حال من الاحوال .

فهز رأسه وقال بافتخار

— ماذا عسانى افعل له واراني قد تغلبت عليه ! وكفى ان يرى فاطمه تحت تأثير هذا المخدر الذى ان يشعر به تعلن الى حبها وتتقدم الى ذراعى طائعة ثم توسعنى لثما وتقبيلا وفى هذه الساعه يتم فوزى وينقطع منه الرجاء

وبعد فترة قصيرة قامت سعاد ومدت يدها وقالت

— اذن غدا الساعة التاسعة مساء سنحضر معا ولى منك بعد هذا الصدق والوفاء

الفصل العشرون

عادت سعاد الى عفت فى اليوم التالى واكدت له صدق أنباء السابقة من أن فاطمه استسلمت لسلطان عبد الحكيم الذى قبلته زوجا ورضيت به قرينا وأنها الآن قانعة بالعيش بين جدران قصره تتمتع بجاهه وثروته وعزه . وانها مدينة له بحياته لانه انقذها من الموت واحياها من العدم وما كان عفت ليؤمن بحقيقة هذه الانباء وهو واثق من حبه لطبيبته او يصدق هذه الكلمات وهو مطمئن على سلامتها وسلامته وأحس بعد أن تماثل للشفاء من جرحه بان هناك مكيدة مدبرة نسجا خيوطها معا فاحكما النسيج ثم أدرك بعد ذلك حرج مركزه وصعوبة موقفه وقضى مدة طويلة معذبا يتناوبه الامل ساعة واليأس اخرى فكلما اقعده الاخير عن السعى عاودته حمى الاول فاطلبت مخيلته الى اطالة التفكير وأخيراً ذكر فاطمه اولا وأسارها ثانيا ثم كلمات سعاد فصاح بصوت مخنوق من الرعب والالم قائلا .

آه يالهول . هذا ما لا اصدق ولا يمكن ان يكون ! هذا شىء غير الحقيقة الواقعة

ففكرت سعاد قليلا ثم رفعت رأسها وقالت . — حتى ولو رأيته رؤيا العين ؟

فوقف عفت مذهولا وأجابها بيأس

ـ هذا مستحيل ! هذا مستحيل ولكنى اقبل أن تقيمى الدليل ياسعاد

فاخذته سعاد الى ناحية من الغرفة وأجلسته بجانبها وامسكت بيده بين يديها وهو يتطلع اليها صامتا واجما ثم قالت بهدوء

نعم. اذا كنت فى شك فساقيم لك الدليل . متى ـ وكيف

فضحكت سعاد على الفور وقالت :

ـ لاتتسرع ياعفت ففى التأنى السلامة واود أن تصغى الى قليلا .

تكلمى ! تكلمى ! فليس لديك على مأرى الالسان طويل يتكلم ويد قصيرة لاتفعل . . وماذا عسانى استفدت من كلمات اقضت مضجعى ولم تشف غليلى ! اسرعى اذن ولاتضيعى من الوقت لحظة فان الوقت لدى ثمين :

ـ أصغ الى ياعفت : ساذهب بك الليلة الى قصر عبد الحكيم ،

وتلك كانت امنيه عفت التى لا امنية له سواها ورجاؤه الوحيد : فلم يكد يسمع كلماتها حتى صرخ صرخة عالية يكاد يخنقها الفرح وقال :

يالله : أحقا ماتقولين ؟ فتحولت سعاد قليلا وقالت بلهجة الواثق

ـ نعم : أن ماقوله حق ولدى الدليل فلى فى قصر عبد الحكيم صاحب اجزلت له العطاء ليسهل لنا سبيل الوصول : وسترى الليلة بعينى رأسك كيف ترتمى فاطمه بين أحضان عبد الحكيم وكيف تصرح له من اعماق قلبها بانها له وبانها لاتهوى سواه : وحينئذ تشعر بانى لم أخن لك فى كل مافعلت شراً ولم احمل لك فى قلبى غلا ولا حقدا

فاجابها عفت وقد خارت قواه

ـ لك منى الشكر ياسعاد اذا افلح المسعى وتكلل بالنجاح .

فنهضت سعاد واستندت على كتفيه بذراعيها وتعلقت به ثم قالت .

ـ . . . . . ولكن اصغ الى قليلا ياعفت وفكر فى الامر ـ لا اخالك تجهل انك قد تجاوزت حد المعقول لاهتمامك بفتاة عادية لا تستحق منك هذا الاهتمام . فضحيت من أجلها بمركزك أولا وبي وبحبى وقلبى ثانيا وتركتنى حائرة لايطيب لى عيش ولا يهنأ لى بال واهملتنى اهمالا كاد يصبنى منه الجنون

انني احبك ياعفت حبا امتلك قلبي واستولى على فؤادي وعواطفي وعقلي رلشد مايؤلمني ويقطع نياط قلبي أن أراك تهجرني وتعرض عني وتسعى الى الاقتران بفتاة اقل مني شأنا واحط قدرا . خانت عهدك وهزأت بقلبك ولم تحترم حبك ووعدك . . عاهدني ياعفت انك أن رأيتها الليلة قد قنعت بحب عبد الحكيم ورضيت به زوجا تقبل أن تعود معى الى والدى ثم تفاتحه فى أمر الاقتران بي لنعيش معا فى صفاء وهناء

واثرت عبارة سعاد وتوسلاتها فى قلب عفت . وعز عليه أن يرى فتاة من اسرة نبيلة عريقة فى المجد والجاه تذرف الدمع أمامه وتتوسل اليه بخشوع وتذلل فاشفق عليها ورثى لحالها واجابها بعبارة لطيفة قائلا .

ـ نعم ياسعاد . اعاهدك على هذا اذا اقمت لى الدليل واضحا على خيانة فاطمه وارضى بان اكون لك بعد هذا الزوج المخلص الوفى :

فادمعت عيناها فى الحال من الفرح وابتسمت ابتسامة الفوز وصاحت

ـ اذن فانت لى من الآن ياعفت !

الفصل الحادي والعشرون

فى ظلام الليل وسكونه العميق بينما الرياح تدوى وتثير الرمال فتتصاعد على شكل أعمدة فى الهواء قادت سعاد عفت الى القصر وهو بين عاملى اليأس والرجاء يحدثه الاول تارة بالرضى والاحجام واخرى بالخضوع والاستسلام بينما يدفعه الثانى الى الصبر والشجاعة والاقدام ومرت دقائق قبل أن يثوب الى رشده الضائع المشتت فيسير معها صامتا لاينبس بكلمة واحده حتى اتيا اخيرا بابا ضخما من أبواب الحديقة وهنا همست سعاد فى اذنه قائله (اتبعنى بحذر ولا تأت بأى صوت مسموع) ثم سارا معا بخفة ونشاط فى الممرات الطويلة ولم تمض لحظة حتى سمعا وسط السكون صفيراً خافتا يحييهما من بعد فوقفت سعاد فجأة وامسكت بيده وقالت : ـ

ـ صه هذا هو الرجل الذى اجزلت له العطاء .

وانقضت دقائق قليلة ظهر بعدها من بين أغصان الاشجار المتكاثفة خيال خادم عربى طويل هائل لم يلبث أن تقدم اليهما بخطوات بطيئة هادئة وهمس فى اذن الفتاة بكلمة لم يتبينها عفت الذى عاجلها بالسؤال على الفور قائلا : —

— بماذا تحدث اليك هذا الرجل ؟

— أنه يقول ان كل شىء على استعداد تام

فلم يجد عفت بدا من الاستعداد للطوارىء فامسك بمسدسه بينما همست اليه سعاد قائلة : —

— تقدم ! انه سيقودنا الى مكان نشهد منه فاطمه بين ذراعى عبد الحكيم فترى بعينى رأسك خيانة حبيبتك الغادرة وارتمائها بين احضان عدوك الألد ولن تجد بعد ان تتحقق من خيانتها ثم تعود الى الاهتمام بشأنها من يفكر فى مديد المساعدة اليك او ينظر اليك نظرة عطف واشفاق

فتغيرت سحنة عفت عند سماعه هذه الكلمات وقال والغضب بادٍ على وجهه

— كلا . كلا ياسعاد . انني احتقر نفسى اذا اقدمت على هذا العمل الدنيء وارى انني اجرح كبريائى وشرفى وعهدى لفاطمه اذا اقدمت عليه بنفس راضية

— أى عمل هذا ؟ انني لا افهم !

— آه . لا تفهمين . انها دناءة منى ياسعاد ان اتجسس على فاطمه ! أن اظن فيها الغدر والخيانة ! ان اعتقد فيها الطيش والسقوط فى الهاوية !

فاجابته سعاد وقد تعلقت بذراعيه وشددت الضغط عليه

— أواه . لقد سبق السيف العذل . وما دمت الآن تسعى الآن ور الحقيقة الواقعة مهما كانت كلفة مؤلمه وما دمنا قد تعرضنا للاخطار المحدقة فيجب ان نحتمل النتائج بعزيمة وجلد وصبر وثق أن كلمه واحدة هنا تكلفنا حياتنا سويا

فتمتم عفت بكلمات غير مفهومة وارتد الى الوراء مغضبا : فتطلعت اليه سعاد بتوسل وطلبت اليه التزام الهدوء والسكينة واخذت بيده فلم يتردد فى الذهاب فسارا معا جنبا الى جنب بخطوات خافتة هادئة حتى وصلا باب القصر الداخلى ، وتلا ذلك فترة من الصمت المريع اعقبها انتشار اصوات موسيقية غريبة علتها ضحكات الراقصات الساخرات ولكن ماهى الا لحظة حتى أخذت هذه الاصوات تضمحل شيئاً فشيئاً وعاد المكان الى سكونه الرهيب فاكتفت

تسمع الاوقع اقدام الدليل العارية على ممرات القصر الهادئة ،،، ولم تمض لحظة اخرى حتى وقفت سعاد فجأه خلف ستارة سوداء وجذبت عفت الى جانبها في صمت وهدوء وخاطبته قائله ،

ـ هنا في هذا المكان ومن وراء هذه الستارة السوداء سنرقب معا المشهد الذي طالما تاقت نفسك الثائرة الى مشاهدته ،،، فلننتظر ! !

فاستوى عفت واقفا بجانبها ساكنا صامتا لايتحرك وقد امسك عن التنفس شغفا وروعة وساد المكان بعد ذلك سكون رهيب وظلمة حالكة وصمت هائل مخيف ،

اما فاطمه فانها انتظرت تلك الليلة الموعودة على احر من الجمر ! الليلة التي تلمح فيها من خلال سحب الدخان القاتمة شبح حبيبها ومنقذها ومعبودها عفت يرتمي بين أحضان فتاة اكثر منها مالا واجمل جمالا ، ومرت عليها وهي في حالتها هذه ساعات شعرت فيها بظلمات الحياة تحيط بها من كل جانب وبنجم السعادة والآمال الباسمة ينحدر من سماء مخيلتها الى الهاوية السحيقة وطارت نفسها شعاعا حينما ذكرت كلمات الخادمة عزيزة وعبد الحكيم وهما لا ينفكان يتحدثان اليها في كل يوم بل في كل ساعة بان عفت قد عقد قرانه فعلا على فتاة اخرى وانها ناعمان الآن في بحبوحة من العز والرفاهية والهناء وكم حاولت فاطمه أن تطرد هذه الافكار من مخيلتها القلقة ولكن عبثا ذهبت هذه المحاولة ، وكادت ان تقضي عليها وهي في أشد حالات اليأس والمحنة هذه المخاوف والوساوس لولا ان فيض لها الله من وراء الشك في اقوالها بصيصا من الامل جعلها تجلس بقلب منعم بالرجاء تنتظر تلك الساعة الرهيبة وبعد طول الانتظار ارسل في طلبها عبد الحكيم فامتنعت في بادىء الامر عن الذهاب ولكنه كرر الرجاء فاضطرت في النهاية الى الذهاب لمقابلته في غرفته ، وكان يعلم من الليلة السابقة بما أقلق خاطرها واشغل بالها ولذا أراد الآن ان يعلنها بتغيبه عن القصر الليلة ليشعرها من طرف خفي بانه على غير علم بما يجري في القصر فخاطبها بعد أن اجلسها على ديوان لين بجانبه قائلا : ـ

ـ انني استدعيتك الآن يافاطمة لاؤكد لك صدق اقوالي السابقة ولا يمر

بضة يوم او اثنان حتى أثبت لك بالدليل القاطع الحقيقة التي خامرتك فيها الريب والشكوك

فصرخت فاطمه بصوت عال قائلة ،

ـ لاشك عندى ولاارتياب فاصنع ماانت فاعله ؟

فوقف عبد الحكيم في وسط الغرفة يلقى على فريسته ابتسامة الظافر المنتصر وقال بصوت جلى واضح ،

آه ايتها الغبية انك لازلت لاتشكى فى اخلاصه ، اذن وقريبا جداً ستات الساعة التى تشعرين فيها باغترارك وحماقتك وحينئذ تندمين ولات ساعة مندم

فاصفر وجهها ووضعت يدها على قلبها ثم دمدمت بصوت خافت قائلة

ـ أنك تهددنى بهذه الساعة الموعودة لتشعرنى بانهدام آمالى فى حبيبى ولكن ثق انه اذا حم القضاء ونزلت بى النازلة فالموت اظل عندى من حياة كلها بؤس وعناء وشقاء اما اذا قيض الله لى البقاء فساعيش بأسة حزينه واثقة منه ومن حبه ياحبيبى !

فابتسم عبد الحكيم واجابها على الفور بصوت رقيق

ـ اى طفلتى الصغيره ، انك مخطئة فاى فؤاد كبير يحتمل العذاب ؟ واى قلب جريح يقوى على احتمال الآلام ؟ فلا بد للداء من دواء ، ولا بد للجريح من طبيب يشفيه ، ونفس عاطفه تحنوا عليه فتواسيه ،

ـ آه ، كلا ، كلا ياعبد الحكيم ، ـ اصغ الى يافاطمة

فتحولت عنه قليلا لتتقى وقع نظراته القاسية التى اخافتها وبعثت الرعب فى قلبها وصاحت بفزع قائلة

ـ كلا ، لن اصغ اليك لانى ان فعلت كان حديثك لى عن عفت وخيانته وما انتظره بعد ذلك من فناء سريع وموت رهيب ،

ـ ولكن ألا تعلمى يافتاتى ان الانتحار ضعف وجبن وجنون ، وانه محرم من جميع الشرائع السماوية ،

ـ انك لم تفهم قصدى ياسيدى وهيهات ان يدفعنى دافع مهما عظم الى هذا العمل الجنونى ، ولكن أما سمعت يوما بأن خيبة الامل ووقر الآلام أشد فتكا واقوى فعلا من وقع السهام ،

فوقف عبد الحكيم صامتا لحظة لايحير جوابا وبعد سكون طويل نابت

العين فيه للنجوى عن اللسان انثنى وهو فى اشد حالات الجوى والتأثر وقال

ـ استمعى الى يافاطمتى العزيزه لقد جرحت فؤادى بكلماتك وادميت قلبى بعباراتك فعز على الشفاء والحب الصادق يافاطمه داء اذا أصاب امرء فليس يبرئه منه الا الموت والفناء وخيل القرية ورمال الصحراء ، وجمال الطبيعة وزرقة السماء ! تقول لك بافصح لسان : انى أحبك ،، فلماذا لاتصغين !؟ أتخافين منى ! من وجهى الاسمر ! من بدواتى الساذجة البريئة ! من طهارتى المقدسة ! آه ، يالالشقاء ، أاخيفك حقا يافاطمه !؟ أاخيفك انا الذى اخشى عليك خطرات النسيم ؟ أاخيفك انا الذى آثر رضاك على الخلد والنعيم ! اشفقى على ردى الى صوابى ، سأصبر ! سأصبر يافاطمه طائعا حتى تنقذينى من الموت وتردينى الى الحياة

ثم نهض واقفا والتأثير العميق باد على وجهه وقال .

ـ عودى الى مقرك يافاطمه واقيمى فى غرفتك . لاتبرحيها التماسا لراحتك بما يبد وعليك من عياء وساذهب بدورى الى المدينه لاشغال هامة ،،،

وقبل ان تبد الفتاة اية محاوله او تعترض حديثه امسك بيدها دفعة واحدة وادناها من شفتيه وانهال عليها لثما وتقبيلا ثم قال

ـ نامى واستريحى يافتاتى فى هدوء فروحى الطاهرة تحرسك وترعاك !!

ثم تركها وانصرف

وعادت فاطمه الى نفسها وقلبها يخفق من الرعب والهياج خفقانا شديدا وايقنت انها لن تأمل من الاقدار بعد اليوم بفرصة كهذه سانحة : فاى خطر عليها تخافه بعد ان اعلنها عبد الحكيم بانه مضطر الى التغيب عن قصره الليلة وعزيزة الخادمة على اتم استعداد لاقامة الدليل ولذا اسرعت الى غرفتها حيث وجدت الاخيرة فى انتظارها وعيناها تلمح ببريق العواطف المتأججة وما أن شاهدتها مقبلة حتى اسرعت للقائها وخاطبتها فى همس قائلة ،

ـ سيدتى اننى على استعداد تام فهل تقبلى الذهاب الآن ؟

فانحنت فاطمه وهزت رأسها ثم وضعت أصبعها على فمها وقالت ،

ـ حسن ، ولكن لننتظر قليلا حتى يبرح عبد الحكيم القصر

فذهبت الخادمة واختبأت فى ممر قريب مظلم ثم عادت بعد قليل لتعلنها بخروجه فاندفعت فاطمه على الاثر وقالت ،

ـ اذن اسرعي ياعزيزه واقسم لك ان لن أوح بهذا السر الا احد

ولكنها لم تتحركا بل وقفا برهة وقد ملكت مشاعرهما روعة المكان وسكرته وقد كان كل مايحيط بهما هادئا صامتا ولم تمض برهة قصيرة حتى انطلقا في ممر طويل موصل الى ردهة واسعة في وسطها نافورة تصاعدت منها المياه لامعة وسط ظلمة الليل الحالكة ، وظلا يسيران فترة غير قصيرة وظل الاشجار الكثيفة يحجب عنهما زرقة السماء وشعاع القمر الضئيل الى ان وصلا في النهاية الى غرفة في الطرف الآخر لحديقة القصر ،

كان مشهد الغرفة رائعا ومنظرها غريبا وزاد في روعة المكان وغرابته وحشته وما احاط به من اشجار كثيفة متراكمة ، فلم تلبث فاطمه ان علتها صفره أشد هولا من صفرة الموت جعلت الدنيا مظلمة امام عينها فتراجعت على الفور خائفه مذعورة فادركتها عزيزة وامسكت بذراعها تحاول أن تقودها الى الداخل وهي تصيح من آن لآخر « تقدمي ، تقدمي ياعزيزتي ، فليس هنالك مايدعوا الى الخوف والفزع » وأخيراً دخلت فاطمه الغرفة ولدهشتها رأت في وسطها عمودا من النار اندلع من اناء نحاسي موضوع على حامل ارتفع قليلا عن الارض وعلى مقربة من الاناء عجوزتان بشعور هائلة منسدلة لم تقع عينها في حياتها على اقبح من صورتيهما جلستا بحالة مروعة تبعث الرعب في القلوب الآمنة ، وجعلتا تشيران بايديهما السوداء اشارات غريبة وتغنيان بنغمات عميقة محزنة غير مفهومة وسرعان ماالتصقت فاطمه بعزيزة وتساءلت بصوت خافت عميق قائلة

ـ نحن الآن ؟ ومن هولاء ياعزيزتي ؟

فوضعت عزيزة أصبعها على فمها تأمرها بالسكوت ثم تقدمت الى العجوز وانحنت امامها باجلال واحترام ومالت الى سعاد وقالت بصوت خافت غير مسموع

ـ أنهما ياعزيزتي عجوزتا المكر والدهاء ومن حكمتهما استلهمين طيف عفت حبيبك الغائب

ـ آه ولكنهما لن يفهما ماأقصد ياعزيزتي

ـ أطمئني ياسيدتي فقد تحدثت اليهما في شأنك فتفضلي اولا بالجلوس!

جلست فاطمه الى جانبها على مقعد طويل واتكأت بذراعها على مسند لير وحدقت النظر الى النار المندلعة بينما استمرت العجوزتان في همسهما البطيء ووقفت عزيزه ورأسها تهدىء من روعها وفزعها بنظراتها الهادئه الصامتة ولم تمض لحظة حتى تناولت احدى العجائز من كيس صغير بجانبها اعوادا قصيرة اشبه شيء باغصان الورد واوراقه الجافة ثم القته فجأة في النار الملتهبة بينما تسللت عزيزة خفية من موضعها لترقب من الخارج النتيجة الرائعة لكيدتها المدبرة وانتصبت مكانها وعلى بعد قليل من فاطمه ... عبد الحكيم بردائه الابيض المسدل ... وبعد فترة قصيرة انتشر في جوا لغرفة سحاب كثيف من الدخان القاتم . وكان انتشارها فجأة جعل الفتاة الذاهلة التي كانت تحدق بشغف وشوق تتراجع من هول المشهد الى ان تم امتلاء المكان بالدخان المتصاعد والعطر الفائح ،

— من الغريب انني لم ار شيئا الى الآن ياعزيزة !

فاهت فاطمه بهذه الكلمات والتفتت الى الخلف لتتبين رد عزيزة عن سبب هذا التأخير ولكنها لدهشتها وجدت في مكانها عبد الحكيم يبتسم في وجهها ابتسامة هادئة لطيفة وعيناه تحدقان النظر اليها وقد بدت عليهما دلائل القلق الشديد والتلهف فلم تنتظر اكثر مما رأت بل همست على الفور قائلة « هو انت ياعبد الحكيم ! » ثم اصابها دوار فقدها الحس والوعي فوقفت صامتة

وانتظرت سعاد في الجانب الآخر من الغرفة اشارة عزيزة بان تصفق بيديها مرتين فلم تلبث بعد سماعها هذه الاشارة ان ازاحت الستارة السوداء التي اختفيا خلفها وظلت ترقب عفت بشغف واهتمام زائد وقائع هذه المأساة الرائعة بينما اعادت فاطمه الجملة السابقة «هو انت ياعبد الحكيم» بدهشة وذهول زائد وهي في حالة اقرب الى النوم منها الى اليقظة ومن الحلم منها الى الحقيقة الواقعة واذ ذاك تقدم منها عبد الحكيم وهمس اليها بلهجة الآمر وبصوت لايصل الى الطرف الآخر من الغرفة قائلا : —

— تقدمي الى ياحبيبتي فانني رجلك وحبيبك الوحيد !

فنهضت فاطمه ببطيء شديد وتقدمت اليه فاتحة ذراعيها بعد ان ظننت

وهى تحت تأثير المخدر القوى انها امام حبيبها عفت ! حبيبها الذى احبته فاخلصت له ! حبيبها الذى كرست له حياتها ونفسها وروحها ! حبيبها الغائب العائد ! واستسلمت اليه فعانقتها عناقا طويلا :

استسلمت فاطمه للحب وقنعت بالبقاء هادئة بين ذراعى حبيبها العائد وجدت فاطمه لذة وغبطة فى عباراتـ عاشقها الوحيد فانصتت الى موسيقى صوته المفنون : شعرت فاطمه بالسرور يملأ صدرها لاعتقادها بالخلاص من اسار عبد الحكيم : واخيرا تبادل الحبيبان المتعانقان قبلات حارقا اودعا فيها كل مافى قلبهما من قوات الحب والشوق والحنين وبلغت قوة الوجد وهياج العاطفة من عبد الحكيم حدا جعله يهمس فى اذنها قائلا :

ـ دعينى اتمع منك انك تحبينى : وانك صادقة فى حبك لى وانك لن تبغى سواى بديلا

فانتفض جسمها قليلا من تأثير رائحة المخدر القوية وازدادت تعلقا به واجابت بصوت غير مسموع

ـ آه : اننى أحبك : أحبك ياعزيزى او سأحافظ على حبك مدى الحياة ولك منى ياحبيبى قلبى وحبى : وفؤادى ودمى وعقلى ::::

قال عليها وهمس فى اذنها خامسة بصوت ضعيف قائلا

ـ ارفعى صوتك ياحبيبتى لارفعه ليسمعه القاصى والدانى ارفعيه لتنعم بنغماته أذناى بل ارفعيه لتسمعيه العالم اجمع ! !

فقبضت فاطمه على يده وشددت الضغط عليها وانهالت على شفتيه تقبيلا ثم قالت وفى صوتها رنة قوية غير مألوفة فى صوت الفتيات .

ـ آه ، اننى أحبك ياحبيبى ! أحبك ! فانت روحى وحياتى : بل أنت اعز على نفسى من روحى وحياتى : أنت النور الذى تبصر به عيناى : أنت الدم الذى يجرى فى عروقى : انت الحياة التى انعم بها فى الحياة :

أمام هذا المشهد المؤلم والمنظر الرائع ، أمام هذا البرهان القوى والدليل القاطع لم يتمالك عفت وهو فى الجانب الآخر من الغرفة الا ان زفر زفرة وأن انتفاضة منها قواها وكادت تزهق روحه وتقضى عليه ثم اغمض عينه واستسلم

سعاد التي اسدلت الستائر السوداء وقادته الى الخارج وهو في غيبوبة وذهول

ولبثت فاطمه برهة مستغرقة في سبات هادىء عميق بين أحضان عبد الحكيم بينما اختفت عزيزة والعجوز تان عوقدهما عن الانظار واخذت سحب الدخان تنقشع رويدا رويدا من جو الغرفة وعادت الى سكونها الرهيب ولم تمض لحظة قصيرة حتى ذهب عن فاطمه تأثير المخدر فافاقت من غيبوبتها تترى نفسها بين أحضان عبد الحكيم فاندفعت من بين ذراعيه في الحال وصرخت قائله :

ـ هو انت ايها الشقي المجرم الجبان : :

ودارت بعينها في انحاء الغرفة واحست بانطباق عقلها وبذهول افقدها النفهم صاحت

ـ آه ، ياللشقاء ، أين أنا الآن ؟ أفي يقظة أم في منام ! آه ساعدني يا آلهي

فتطلع اليها عبد الحكيم وضحك ضحكة الاستخفاف والتهكم وقال

ـ أنت مخطئه ياعزيزتي فقد كنت في عالم الحقيقة لافي عالم الاخلاق والخيال : اكنت بين ذراعاي الثم شفتاك وانت تعلنيني بحبك وهواك : وحقاً يافاطمه لقد اعادتك انفاسك الى الحياة وبعثت كلماتك اللذيذة التي فهت بها الآن في جسمي روح الانتعاش والحياه : : وشيء واحد أود أن تعلنيني به هو ان تصرحي لي الآن بصدق هذه الاقوال لاهنأ السعادة الحقة والفخار

ففزعت فاطمه فزعة الفتاة لدغتها العقرب وبقلب يكاد ينفطر ونفس ذاهلة لطمت وجه عبد الحكيم بقوة هائلة ثم صرخت في وجهه قائله .

ـ أنني امقتك : : أكرهك : : احتقرك : : فاغرب عن وجهي أيها الشيطان : : انني أبغضك بكل قوة نفسي : : أبغضك كل البغض وأحقرك وألعنك : : لقد أملت أن تبلغ الى بهذه المكيدة الدنيئة وفاتك أن عملك هذا سنالة اقابلها بالازدراء والتحقير وتجعلني انفر منك نفور الانسان من الثعبان الهائل والوحش المفترس : : :

وتلى ذلك صمت طويل وسكون رهيب ثم ما لبثت فاطمه ان اغمي عليها فغابت عن الوجود

الفصل الثانى والعشرون

ت رحلة غريبة هادئة صامتة رحلة سعاد وعفت بعد أن غادرا قصر عبد حكيم وبعد أن قضى القضاء ونزلت باولها النازلة فسارا معا فى صمت وسكون ينبس أحدهما بكلمة واحدة ،

ومشى عفت بجانب سعاد الفاتنة شارد اللب فاقد الوعى والحس لا يلتفت تلقاء اويسرة واستولى عليه أحساس رهيب جعله يتطلع الى القضاء ذاهلا وهو يعثر فى مشيته الفترة بعد الفترة ، ولم يحتمل عفت تلك الصدمة الهائلة التى انقضت على آماله انقضاض الصاعقه فمشي يتأمل موقفه وهو فى عالم آخر غير عالمه وأجفل اجفال المرتعب عندما ذكر فاطمه وحب فاطمه وأيام فاطمه الخالية!

وكان شديدا على عفت أن يرى فاطمه حبيبته الخالدة ترتمى بين أحضان وحش كاسر كعبد الحكيم! وكان عظيما عليه أن يسمع باذنيه من شفتيها عبارات الحب تعلنها اليه فى دعة وسكون ! ولكن ماذا عساه فاعل وهو يعلم الحقيقة الواقعه والمصيبه واليأس تحيطان به من كل ناحيه ؛ ومن أين له العزاء وقد اطفأت يد الدهر بصيص آماله الزاهرة ومن أين له الرجاء وقد اصبحت فاطمه زوجة لرجل آخر . . وكان مقدرا على عفت ان يحب فاطمه حبا ملك عليه مشاعره وأن يضحى من أجلها بمركزه وماله ومشاغله وكان أمله من هناء الحياه ان يتخذها زوجة له . فسعى لانقاذها من اسار عبد الحكيم الطاغية ، ، ثم بعد طول العذاب وألم الجهاد اتى اليها ساعيا لتطعنه الطعنه القاسيه ، ولم يستطع بعد ان وصل الى حديقة الفندق الذى كانت تقيم فيه سعاد ووالدها وارتمائه على مقعد من مقاعده ان يتمادى فى أفكاره المزعجة وآلامه القاتلة ولم يقو على احتمال هذا العذاب النفسى فتمالك نفسه بعد قليل وهمس قائلا بصوت مختنق محبوس

— ويلاه ! أى دافع يا ترى دفعها الى هذه الخيانة وهذا الغدر ؟

فخدجته سعاد بنظرة سريعة فاترة وشعرت بان هذه هى الساعة الحاسمة التى تضربه فيها الضربة القاضية فاقتربت منه قليلا ونظرت اليه نظرة طويلة عميقه ثم تناولت يده بخلسة ورفق وهدوء ورفعتها الى شفتيها وقبلتها قبلة

طويلة اودعتها حرارة قلبها وشغفها وهيامها ثم تنهدت تنهد الراحة وبصوت شجي تكاثفت فيه الشجون : — صاحت عفت : حبيبي

فرفع اليها نظره ببطيء شديد وتطلع اليها باحساس عميق بعد أن شعر بخطأه العظيم واغترارة في حبه لفاطمه : وتألم حينما ذكر جفائه الاول واعراضه عنها والآن بعد أن تبين له مابذلته سعاد من جهد لتبلغ اليه وأحس بشديد هيامها وصادق شعورها واخلاصها غلب عليه التأثر فنظر اليها نظرة عطف وحنان وقال في حياء واسترخاء . — نعم . مالك ياسعاد

فجثت الفتاة على ركبتيها في الحال وقبل ان يأت باي حركة معارضة طوقت عنقه بذراعيها ثم قبلته وقالت :

— حبيبي ، أحبني : هل كنت تحب فاطمه حقا :

— نعم احببتها من اعماق قلبي حبا تأصلت جذوره فيه

فاقتربت منه حتى قارب وجهها وجهه والصقت خدها بخده واحست بانفاسه الحارة ودقات قلبه ثم همست اليه وقالت : —

— والآن هل تبغي منها بعد اليوم حبا ؟

— ويلاه ! كفاني منها هذا فان ما رأيته بالامس كاف لان يقتل اعمق واقدس حب في الوجود .

فاه عفت بهذه الكلمات وهو لا يكاد يصدق نفسه فتساءل قائلا (أحقا يموت الحب ويفنى ؟ أيستطيع القلب أن ينسى من امتلكه ويتطهر من حبه الراسخ ؟ أيستطيع القلب الذي انغرست فيه جذور الحب أن يخفق إلا بالحب أتمكن الانسان المحاولة من النسيان ؟ محال ان اصدق هذا محال .

ولكن سعاد الواهمة لم تمكنه من الاستمرار في تأملاته فصاحت في الحال قائلة

— حبيبي أنني اعلم كم قاسى قلبك الآن من آلام الحب العقيم كما قاسى قلبي منك من قبل آلام الصد والهجران . ولقد توهمت أن تجد في الحب الهناء فوجدت فيه الفناء . وخطأ أن تعتقد ياعزيزي بان هناك حب كامل اللهم الا حب الله الذي يبلغه في النهايه الا القليلون لان الكمال من صفات الله وحده . واذا كان من الغريب أن ترتمي فتاة مثلي تحت قدميك باحثية متوسلة تطلب حبك وتبغي رضاك فثق انه لم يدفعني الى هذا الا ماشعرت

نحوك من حب دفين واخلاص عميق . فسامحني ياعفت وارحم ضعفي
ن أحبك واتلهف شوقا الى شفتيك فقبلني لاشعر بالسعادة قبلني ياحبيبي
ولم تكد تفرغ سعاد من عبارتها وتوصلاتها حتى شعر عفت برعشة قويه
يت في جميع أعضائه : فانقبض صدره وادمعت عيناه من شدة التأثر ولكنه
غي اشجانه واقبل عليها وضمها الى صدره واذا بها تتعلق باكتافه وتصيح
كية متوسله (آه : حبيبي عفت قبلني ! قبلني ياحبيبي) ولم تمض لحظه
سيرة حتى تعانقا وتقابلت شفتاهما فقبلته سعاد بجنون في شفتيه وعينيه : في
حبيه وخديه واستمرت تقبله بحرارة وشوق والدموع تتساقط غزيرة من
نها من شده الفرح وهي تصيح

آه حبيبي . حبيبي . ماأسعدني الان بفوزي ! وماأسعدني بك وأنت تضمني
ن ذراعيك وتقبلني بشفتيك الناعمتين ! أي سيدي ! أي زوجي العزيز
الما انتظرت تلك الساعه التي انعم فيها برضاك فضمني الى صدرك واشعرني
رارة انفاسك وقبلاتك الطاهرة . ثم تعالى الى تعالى ياوحيدي فانت الحبيب
انت القرين .

فاثرت كلماتها في نفسه ايما تأثير وحدثته نفسه بالميل اليها بعد ان تأكد
ن تفانيها في حبه واخلاصها وخيانة فاطمه له واستهتارها فانثنى اليها باجلال
احترام ثم قال — عفوك ياسيدتي فقد اخترتيني زوجا لك ولن استحق
لك هذا الاهتمام وارى من دواعي فخري وهنائي ان اكون قرينك امام العالم
جمع ولكني اشعر بان ضآلة مركزي هي العقبة الوحيدة في سبيل هذا القران
فهزت سعاد رأسها واجابت على الفور — كلا . كلا . فانك حبيبي وقريني
وحيدي واملي في الحياة

و لم تمض ايام قلائل حتى طلعت الجرائد بنبأ هام هو موعد قران القبطان
لمصري عفت بالا نسه سعاد وعززته بان نشرت الى جانبه صورا عديدة تمثلها
نبا الى جنب في اوضاع كثيرة مختلفة

اما عفت الذي ايقن بالخيبة والفشل في حبه الاول فقد استسلم للاقدار
بنما انهمكت سعاد في اعداد معدات الزواج

الفصل الثالث والعشرون

ما كان عبد الحكيم لينتظر ان تسير الامور فى مجراها الطبيعى بالسرعه التى رآها الآن كما كان يعلم ان سعاد لن تألو جهدا فى الاسراع لاعداد معدات الزواج وجلس فى اليوم التالى ينتظر خطابا منها منبئا بموعد القران وجعل يكد قريحته لساعته ليصل الى اضمن وسيله يقنع بها فاطمه بصدق انباء هذا الخطاب وفى منتصف النهار التالى احضر اليه الخادم جرائد الصباح وكم كانت دهشة وسروره حينما اطلع على النبأ فى صدر الجريدة معززا بكثير من صور (الزوجين الهانئين) وايقن بان هذه المغ وسيلة يصل بها الى قلب فاطمه لتتقدم اليه بعد شعورها بالخيبة واليأس باعلان الرضا وقبول الزواج فقام فى الحال وارتدى بافخر ملابسه وتحلى بمختلف اللآلىء والجواهر وتطيب بالروائح سار توا الى غرفتها فى الطرف الآخر من حديقة القصر . وما كادت تلمحه عزيزة حتى قامت مسرعة وهرولت نحوه ثم انحنت امامه باجلال واكبار وقبلت الارض بين يديه بادب واحترام وما كادت تنتهى من تحيتها حتى خاطبها بلهجة الآمر قائلا

— اين سيدتك ياعزيزة ؟ — انها فى الحديقة ياسيدى

— وهل هناك من يرقبها ويتبع خطواتها بحذر كما امرت ؟

— نعم . عبيد مولاى كلهم عليها عيون وارصاد

— حسن . ولكن اخبرينى بماذا تحدثت فتاتى اليوم عن حوادث الامس

ثم اقترب منها ليرى وقع كلماته والاجابة عليها بينما تطلعت اليه عزيزة جعينين مذعورتين وقالت : —

— مولاى . انها لم تتكلم بل آنت وتوجعت واظن انها تفكر الآن فى وسيلة للنجاة

فهدر عبد الحكيم وزمجر واتجه الى ناحيتها والشرر يتطاير من عينيه وقبل ان تتمكن الفتاة من الاعتراض او الافلات احست بيده الجبارة القوية تقبض على عنقها وتقذف بها على ارض الغرفة بقسوة ووحشية هائلة . وقد تناسى هذا الوحش الكاسر ان لهذه المسكينة فضل عليه كبير اذ لولاها لما تمكن من تنفيذ مكيدته المدبرة التى قصد ان يبلغ بها الى قلب حبيبته الاسيرة وبواسطتها أيضاً تمكن ان يتبادل معها قبلات ادمت فؤاد عاشقها المسكين . ولم يشأ عبد

الحكيم ان يطيل امامها الوقوف فتحول عنها بقلب لا يعرف اثراً للرحمة ونظرات قاسية وسار الى حديقة القصر باحثا عن فاطمه ليعلنها بعزمه النهائي وليفكر معها في اعداد معدات الزواج فانساب في طرقاتها وممراتها يختال عجبا وتيه فخرا ومرت به لحظة غفيته فيها فكرة افلاتها وتمكنها من الفرار لولا ان رآها في النهاية جالسة كتمثال صامت على مقعد حجري في ركن بعيد احاطت به الكروم والاغصان والزهور اليانعة من كل جانب

جلست فاطمه في مكانها بعد مشاهدا الليلة السابقة . بعد أن احبت فاخلصت وللهوى الصادق تألمت فتعذبت ! جلست بعد أن رأت بعيني رأسها احلامها الماضية في سعادتها المستقبلة تتضاءل امام عينها ويهوى نجمها في القضاء اللانهائي جلست بنفس حزينة وروح حائره تناجي ازهار الحديقة وورودها الصامتة جلست تشكي اليها آلامها . وتبثها همومها واحزانها . وما تشعر به من هم وخيبة وذلة وهوان . واخيراً مدت يدها الى بنفسجة صغيره كانت تتمايل طربا بين قامات الاعشاب وامسكت بها ثم قبلتها وقالت . — (ايتها البنفسجة الصغيرة يارمز الحب والاخلاص .. ياربة الظرف والجمال .. ياأخت الحنان والوفاء .. حدثيني !! حدثيني يابنفسجتي !! اي ذنب لي في الحياة ؟ وما جنايتي ؟ الا أنني أحببت فاخلصت وللحب تعاديت في الاخلاص وتفانيت اجلس اليوم بجانبك حزينه تائهه . وحيدة حائرة !! حدثيني يابنفسجتي ! ! اي نفس لاتستيقظ من رقدة الحياة لتلبي داعي الحب اذا دعى ! واي فتاة لاتترك أباها وأمها وأهلها اذا هتف بروحها هاتفه !! ثم : عزيني يابنفسجتي !! لأنني اجلس الان الى جانبك وقد تهدمت آمالي في حبي ودكت صروح سعادتي وتناثرت اوراق احلامي هباء في الهواء !! عزيني يابنفسجتي :: فقد اقتلعت عاصفة الخداع الهوجاء شجرة احلامي وافراحي وتركتها على الارض ملجأ للحشرات والهوام : ثم . اصغ الي يابنفسجتي :: وحدثي حبيبي الغائب بانني لازلت مساهرة ثابتة على حبه وليس لي مسل غير دموعي ولا مرسوى امل برجوعه

اصغ الي يابنفسجتي :: وحدثيني عن حبيبي السعيد الصغير . حدثيني عن اسرار صدره ومخبآت نفسه . عن روحه وحياته وقلبه وفؤاده ! : واخيرا اصغ الى أي بنفسجتي المحبوبه قبل ان تذبلي . هل تتحقق احلامي ومنائي ام يخيب

فى الحب والحياة رجاى : ؟» ولم يقف عبد الحكيم لحظة ليتطلع الى هذا المنظر الصامت الرائع فيرثى لمن نكبها الحب فيشفق على فؤادها الوامق بل تقدم اليها بقدم هادئة وقبل ان تتمكن من الصياح او القيام جلس الى جانبها وامسك بيدها ثم قال . ـ حبيبتى : مالى اراك اليوم عابسة . وما ابأسك فى جلستك هذه وأتعسك : يلوح لى ان الافكار قد طوحت بك الى مهاوى الآلام الكثيرة والاحزان العميقة . ولكن رفهى عن نفسك قليلا وافيقى فسأنقل اليك اليوم انباء جديدة لعلها اغرب ماوقعت عليه عيناى . فتطلعت اليه فاطمه بعين ذاهلة لااثر للشعور او الحياة فى نظراتها الهادئة . بعين صامتة حزينة باكية واجابته متسائله . أواه . ماذا تقول ؟

فارتجف عبد الحكيم وسرت فى جسمه رعشة ظاهرة من الخوف والألم وخشى ان تقضى على فاطمه آلام الذكرى المبرحة قبل ان يهنأ بها وبحبها فهمس اليها قائلا والقلق باد على وجهه ـ اى حياتي ماذا ارى : أبك مرض ؟ ـ نعم بى مرض وانت به عليم ، وبى ذهول من حوادث الليلة السابقة التى حاولت ان اصل باطالة التفكير الى كنهها وحقيقتها فلم أتمكن ،، ـ هل تعنى ،،، ؟

ـ نعم انى قبلتك فى تلك الليلة واعلنتك بحبى وطوقتك بذراعاى هذه . . ثم نظرت الى ذراعيها العاريين كأنهما ودت لو أن بترا وفصلا من جسمها الطاهر واستمرت فى حديثها قائلة ـ . . واود أن افهم الآن اى دافع حملنى على هذا العمل المنكر والفعل الشائن مادمت اكرهك وامقتك والعنك . فاحمر وجهه من الخجل وتطلع اليها بنظرات حائرة وذهول شديد ثم اجاب بعد ان تمالك نفسه قائلا ـ أنه الحب ياعزيزتى ؟ ـ لا . بل هو الجنون ـ حسن . وما الحب الا جنون بل هو الد انواع الجنون فضحكت فاطمه ضحكة قاسية وحدجته بنظراتها ثم قالت ـ أى شأن لك بالحب ياهذا وأنت لاتميز حاله من بائه ! !

فتدفق الدم من الغيظ الى عروقه واشتد احمرار وجهه واراد أن يطعنها الطعنة القاسية الصامتة فلم يجب بل مد يده فى سكون وناولها الجريدة الصباحية وقال ـ أى فتاتى : أنظرى الى هذه واطيلى النظر اليها وحدثينى بعد ذلك عن مبلغ هزؤك السابق بى واستهتراك باقوالى . ثم عودى على نفسك باللائمة لانك كنت مغرورة فى حبك الاول فاهملت شأنى وعصيت هواى وافنيت

أيامك فى حب عقيم وكرست حياتك لحبيب خبيث لئيم فمدت الفتاة يدها وتناولت الصحيفة ببطىء شديد وخافت أن تنظر اليها أولا فلبثت شاخصة اليه فى ذهول عميق واخيراً القت على اعلانها وصورها نظرة سريعة لم تلبث أن انت بعدها انه اليمة والقت بها بعيداً عنها فى توجع والم مريع . وانقضت دقائق قضتها فاطمه مغمضة العين فى فكر حائر وألم شديد وصدرها يعلو وينخفض من هول المصاب الاليم بعد ان شعرت لساعتها باليأس القاتل يختطف هنا ئها الدائم من نفسها المعذبه ويطوح به فى الفضاء أمسكت بالجريده للمره الثانيه وطالعت الاعلان بامعان شديد وبهدوء وسكون اذهلا عبد الحكيم ناولتها اليه ثم قالت .

ـ شكرا لك ياسيدى ثم شكرا . فسألها على الفور باستغراب ـ أواه أتشكرينى يافاطمه : فعلت ثغر فاطمه ابتسامة مرة واجابت فى هدوء

ـ آه . ولم لا ؟ أنك رميت باطلاعى عليها الى غرض مقصود : فشكراً لك ثم شكر : .

الفصل الرابع والعشرون

تقول الاشعار والامثال أن الايام كفيلة بشفاء الجروح فاذا لم تكن الايام قد شفت جرح فاطمه فقد خففت على الاقل آلامه . فكانت الفتاة كمن فقد فجأة احدى حواسه فاذا كان فقدانها مؤلماً فى البداية فان الانسان لا يلبث أن يتعود على العمى او الصمم او البكم . نعم كان لفاطمه وسط مظاهر النعيم الشرقى والغنى البازخ الثروه المتوفرة وبين بدائع الطبيعة الصامتة ناحية خاصة من نواحى القصر خصصت لاقامتها وخدم وعبيد رهن اشارتها وفى وسعها ان تتمتع باطيب الثياب والذ الطعام ولكنها لم تجد لذة فى كل هذه الاشياء التى يكد معظم الناس فى سبيل التمتع بها وخيل اليها وهى فى وحدتها منقطعة عن العالم انها تعيش فى ماضى اسدل عليه ستار النسيان ومستقبل مظلم مفعم بالشكوك والاوهام . ومرت بخاطرها لحظة فكرة الانتحار وتمشى فى رأسها خيالها الرهيب فاعترتها جنة من اليأس جعلتها تحصر افكارها فى شىء واحد وهو « الموت » . وجلست تساءل نفسها بالم وحرارة قائلة «هل فى وسع السماء أن تنزل أشد من هذا بلاء ؟ ؟ أن تخيب آمالى بفقد حبيبى وتطير من امامى اشباح الحاضر والمستقبل وذرة الامل الاخير : . أن أقضى بقية ايام حياتى فى سجن دائم وعذاب مقيم . . آه ما اشقانى .: ومن ذا الذى يستطيع ان يصور حالة نفسى بهذه الآلام» ثم لم تلبث ان استيقظت بعد هذا من

احلامها وغيبوبتها التي رأت فيها شبح الموت وجها لوجه على صوت جارية جثت امامها على ركبتيها وقد حملت بين ذراعها السوداء ثوبا موشى بالذهب الخالص المضيىء اللامع وقالت . — سيدتي هناك ثوبا أمر به مولاى فتنازلى بلبسه

وما كانت فاطمه لتفكر وهى فى اسارها بامثال هذه التحف القيمة او تبدى اهتمام قليل بهذه الملابس الثمينة فرفضت على الفور الاصغاء الى كلمات الجارية ولم تكترث حتى بالاجابة عليها بينما استمرت الاخيرة فى اسئلتها والحاحها واستطردت حديثها بين التوسل تارة والسؤال اخرى وهى تكرر قولها — هل يرض سيدتى هذا الثوب ، ردى على يامولاتى ! ردى على . . فتنهدت فاطمه تنهدا عميقا وارادت أن توقف تيار الحاحها المتوالى فاجابت فى شىء من الملل بصوت مبحوح مؤثر قائلة . — نعم . نعم . أنه ككل شىء حسن

ولم تمض لحظة قصيرة حتى فتح الباب للمرة الثانية جارية اروع من الاولى جمالا وابهى حسنا واشد دلالا تحمل بين يديها صندوقا كبيرا من الخشب الثمين تقدمت به اليها ووضعته تحت قدميها ثم فتحته وافرغت فى حجرها كنزاً من اللآلىء المشتعلة والجواهر الهائلة القدر . لآلىء لم تر ولم تحلم فى حياتها بمثلها عظمة وقدرا وحجما من مرجان احمر قان الى ماس ابيض ساحر الى اساور من ذهب خالص وعقود ملبسة بالياقوت والزمرد مما لا يقع تحت حصرا ويقف عنده حد وبعد ان استعرضتها فاطمة واحدة واحدة اخذت ترتو اليها باسمة ثم هزت رأسها وقالت . — ما حاجتى بهذة ! وأى شأن لى بها ؟ — أنها جواهر سيدتى فهى ملك لك ! — كلا . كلا انى لا اريدها . احمليها الى صاحبها وردديها له على الفور ! فذعرت الجارية وتولاها الخوف والفزع وسرت فى اعضائها رعشة ظاهرة انكبت بعدها على ركبتيها جاثية ثم رفعت يديها الى فاطمه وقالت باكية متوسلة — رحماك ياعزيزتى : فقد امرنى سيدى أن حلى بذهبها وماسها جيدك وبزمردها وياقوتها صدرك ليباهى بضيائها عليك ضياء الشمس فان لم أفعل فجزائي منه هلاك عاجل وموت محتم ! فشفقة بى سيدتى ورحمة ! ! فتطلعت اليها فاطمه بنفس هادئة والتأثر باد على وجهها ثم هدأت روعها وتحدثت اليها بلطف قائلة حسن . انى لا اود أن اكون اليوم سببا فى اذيتك . وارغب أن تكونى هنا اسعد منى حالا واوفر راحة واهنأ

بالا . ولذا سأذهب الآن الى الحمام كما اردت. ثم غادرت غرفتها في الحال الى حمام شرقي جميل ارضه من مرمر ناصع لاذرة من الغبار عليه وسقفه من زجاج بديع الصنع دقيق التركيب وحيطانه في زرقة كزرقة السماء تحليها رسوم ابدع ما اخرجته يد الانسان مبعثرة هنا وهناك وقد احاطت بجوانبه أو ان من بلوو تحمل زهوراً فيحاء واعوادا من المسك والريحان. وبينما اشتغلت يداها من ناحية بحمل الماء المعطر تصبه على جسمها صبا اذا بمخيلتها القلقة الفزعة تفكر من ناحية في طريقة للخلاص واستمرت اصوات الموسيقى التي بدأت في الايقاع ساعة دخولها ترسل النغمات تلو النغمات لتلهيها عن افكارها وآلامها ولم تمض لحظة حتى اسرعت اليها جارية طويلة تتعجلها بقولها . — مولاتي ان سيدي في قلق شديد وقد امرني باستعجالك وارسل معي صندوقا آخر من الجواهر وبعد ان انتهت من استحمامها ذهبت الى غرفتها وجلست الى مائدة كبيرة امام مرآة فاخرة لتتول جاريات القصر تزيينها وتهيئتها لحفلة الزفاف ووقع نظرها فجأة اثناء حديثها معهن على ماسة كبيرة يكاد بريقها يخطف الابصار فتساءلت عنها بدهشة ولم تكد تمد يدها نحوها وتمسك بها حتى اغرقت في الضحك مدة طويلة لانها رأت امامها على المائدة تحت الماسة الكبيرة رقعة كتب عليها بخط عربي جميل العبارة الآتية «هدية مني الى زوجتي المحبوبة عربون خطبتي في يوم القران» عبد الحكيم وكم كانت دهشتها واستغرابها ان ترى عبد الحكيم يهدي اليها هذه الماسة الثمينة عربونا لخطبته وهي لا تشعر من نحوه باي عاطفة من الحب او الاشفاق! ولذا استمرت في ضحكها واستهتراها وهزرها بينما كانت الجارية قد انتهت من مأموريتها فاصبحت فاطمة ابهى مثال للجمال الفاتن والجلال الساحر والفتنة الرائعة وبينما كانت تتطلع في المرآة الى هذا الانقلاب العظيم في شكلها وهندامها وملاحتها طرق باب غرفتها طرقات سريعة متوالية واذا بجارية اخرى تصيح سيدتي هل انت على استعداد الآن وحينئذ شعرت فاطمة باقتراب الساعة.. الساعة الرهيبة.. الساعة التي تتأكد فيها بانهيار آمالها .. الساعة التي لن تأمل بعدها ان تقوم لها قائمة.. الساعة الحاسمة في حياتها المستقبلة .. فتراجعت مذعورة وجعلت تبكي بكاء حاراً وجسمها ينتفض انتفاضا شديداً واخيراً وجدت نفسها امام نسوة لا اثر للعاطفة الرقيقة

في قلوبهن الساذجة فدفنت وجهها بين ذراعيها وصاحت في توجع مؤثر قائلة
— رباه ! هل اجد من بين هؤلاء من يشفق علي ويرثي لحالي فيساعدني على الخلاص
ثم انهمرت الدموع من عينيها على خديها الذابلين واستمرت في العويل والبكاء بصوت
مؤثر وتوجع شديد واذا بالجاريات قد راعهن حالها فوقفن جامدات تصبغهن حمرة
الخجل والحياء. وأخيراً تقدمت اليها اكبرهن سناً وهمست اليها قائلة. — تشجعي
تشجعي يافتاتي ! فبهتت فاطمه وافاقت من غيبتها لسماعها هذه العباره المشجعة
التي بعثت الى نفسها بصيصا من نور الامل الضعيف وهمست في تلهف قائلة (عزيزتي
اجيبيني . لماذا ابرك ؟ لماذا ..) وحدث في نفس اللحظة ان طرق الباب طرقات
شديدة متواليات تلاها أمر اليها بالذهاب اجابت عليه فاطمه بقولها (نعم. نعم
ساذهب الآن) ثم قامت وسارت الى الباب ولدهشتها قابلها في طريقها اليه رسول
عبد الحكيم الذي انحنى اليها باجلال واحترام وقال . — سيدتي . ان مولاي
في انتظار شديد لعروسه الفاتنة ولما كانت فاطمه قد انست من لهجه الفتاة
ان لديها حديثا تود تسرة اليها وما كان أملها في تلك الساعة الحاسمة ان تجد
من عبارتها مفراً لها ومخرجا وعونا لها على النجاة ولذا تقدمت الى الرسول بقدم
ثابتة وقاطعته بصوت حاد قائلة — قل لسيدك انني ساحضر بعد دقائق قلائل
— ولكنه أمرني أن اصحبك معي في عودتي وان .. — افعل ما آمرك
به واعتذر لسيدك بانني لازلت مشغولة بارتداء ملابسي وترتيب شعري بجواهره
ولآلئه . ولما ان رأى الرجل ما بدا على وجه الفتاة من دلائل الجد والعزم
لم يسعه الا ان صدع بالامر فتركها وغادر الغرفه في الحال، اما هي فانها تحولت
الى المائدة على الفور وبقدم جريئة ونفس ثابتة تقدمت اليها وجلست ترتب
شعرها لتضع بين جدائله الماسة المرسلة اليها ثم نادت الجارية بلهجة الآمر
وسلمتها اليها وقالت «ضعي هذه في شعري» فتناولتها الخادمة الا ان فاطمه
التفتت اليها ثانية وهمست في اذنها قائلة ، — انها لك اذا أوجدت لي حتى
الموت سبيلا لخلاصي الآن ،، فلم تتغير سحنة الفتاة لدى سماعها هذه
العبارة الواضحة بل استمرت في عملها فوضعت الماسة بين خصلات شعر فاطمه
المتطايرة وبعد دقائق استولى فيها اليأس على قلب الاخيرة اقتربت الجارية من
اذنها وهمست اليها بفرح قائلة ، — سيدتي : اطمئني : فلا بد من نجاتك: فهناك

من سيتولى قتل عبد الحكيم اذا اقدم على التزوج بفتاة ثانية. فاقترنى به الآن وبعد ساعه : ساعة واحدة سيقتل ولا مناص : — آه : كلا . كلا : لا أود الاقتران به بحال : بحال

— ولكن فى هذا نجاتك : فاقبلى ! — كلا : كلا : الموت عندى أفضل من القران : : ثم غطت وجهها بيديها المرتعشتين وأخيراً بعد أن شعرت بطعنات اليأس القاتل تحولت اليها ثانية وقالت : — اذن ماذا افعل ؟

— آه : لاشىء غير الاقدام فتشجعى ياسيدتى : أن عبد الحكيم يعلم الخطر المحدق به لانه انذر من قبل وهو يعلم اكثر ذلك ان هناك من لايحتمل ان تراه زوجا لفتاة اخرى — آه : اذن هى امرأة : — نعم : ومن يقتل من أجل الحب غير النساء ؟ — اذن : هل اثق بنجاتى ؟ — نعم : وثوقك بوجودى معك : فقط تشجعى يافتاتى تشجعى !! فانتزعت فاطمه الماسة الثمينة من شعرها فى الحال ومدت يدها الى الفتاة وقالت — اذن : خذى هذه مكافأة لك : — كلا ياسيدتى : كلا : فانى اعرض نفسى بقبولها لاخطار متعددة ولن يتسامح سيدى لحظة واحدة اذا رآك بدونها : ولئن اردت مكافأتى حقا فاذكرى جاريتك الامينة واسع بعد خلاصك لرد حريتى الى لاذهب الى : الى من أحب : فملقت فيها فاطمه بعينين ذاهلتين وقالت مستغربة : — وحتى انت تحبين ؟؟ — ولم لا ياعزيزتى : ان الحب ملك للجميع وسلطان قوى على كل النفوس وتلى ذلك صوت طرقات شديده على باب الغرفة انفتح بعدها على الاثر واذا بالرسول يقول بلهجة غاضبة :

— تقدمى ياسيدتى فالكل فى انظارك — نعم سأحضر : وادركت فاطمه من نظرات الفتاة صدق حديثها فمدت اليها يداً صامتة وسلمت وتطلعت اليها بعينين هادئتين تشعرها وامتنانها وتؤكد لها وعدها وميثاقها ثم غادرتها وسارت فى طريقها بقلب ثابت وضمير هادىء وأمل بالنجاة واخيرا وصلت الى غرفة واسعة تعودان يعقد فيها عبد الحكيم جلساتها مع رؤساء قبائله وهناك وجدت عبد الحكيم فى انتظارها محاط برجال عشيرته فى ثيابه الفضفاضة وعيناه تلمح ببريق الانتظار والفوز وكانت اصوات الموسيقى تتعالى فى كل مكان وشيوخ القبائل فى انتظار قدومها ليباركوها بدعواتهم : فلما أن

توسطت أرض الغرفة اسرع اليها عبد الحكيم وأمسك بيدها فوكم الجميع على الارض اجلالا له وتعظيما ولبثوا على هذا الحال مده الى أن اصدر اليهم أمره فوقفوا وهنا خطبهم قائلا — اصدقائى ! أولادى ! ابناء عشيرتى ، اننا اليوم فى عيد غبطة وسرور . عيد فرح وحبور ، فها هى عروسى الفاتنه فاطمه الساحرة قد رضيت بي قرينا واتت تساعدنى فى القيام باعباء الحكم فليكن لها مثل مالى من حق الطاعة واصدار الاوامر النافذة ومالى من سلطة على العشائر والقبائل المجاورة والآن لنبدأ جميعا حفلات الانس والسرور فهيا جميعاً هيا ثم سار ومعه فاطمه ويده فى يدها وهى تظن نفسها فى عالم آخر غير عالم الحقيقة الواقعة اوانها انتقلت الى عالم الاحلام او انها تمثل دورا على مسرح من مسارح الخيال الى أن شعرت بيدى عبد الحكيم تطوق خصرها بحزام من الحرير وبيمناه ترفع الى شفتيها كاسا من الذهب الخالص وبشفتين مرتعشين يقول — اشربى اى فتاتى اشربى فتنبهت الفتاة من اغفائها وهمست متسائلة ها ها هل تم عقد القران — لا اننا سنشرب من كاس الحب معا وبعدها يتم لنا عقد القران — كلا كلا لا اوافق فتطلع اليها عبد الحكيم بنظرات قاسية احست بعدها بخطأها لانها شعرت بان الامل الوحيد الذى ترجو منه النجاة ان تبقى امينة لسر الجارية المسكينة بالتزامها الهدوء والسكينه فارادت اكتسابا للوقت ان تتمادى فى المماطلة والتسويف حتى تحين الفرصة السانحة فيتم لها الخلاص ولذا اجابت قائله — ها ها سأشرب ياعبد الحكيم ولشد ما كان سروره واغتباطه برضاها وطاعتها فقدم اليها الكأس ثانية وبصوت عذب رقيق قال اشربي اى حياتي اشربي من كاس الحب والهناء إشربى من كاس الاحلام اللذيذة احلام الشباب الحلوة اشربى لاضع شفتاى بعدك موضع شفتيك فاحس بلذة الحب ونعمة الوفاء الا انها لم تقو على التطلع الى نظرات عينيه بل تناولت الكاس من يده وشربت من مائه المعطر بماء الورد وردته اليه ثانية بينما شرب هو مابقى فى الكاس وصاح «هنيئا لنا . فقد اصبحنا زوجين وفى هذا كل المنى» ولم تمض لحظة حتى جذبها الى صدره وطوقها بذراعيه وانهال عليها لثما وتقبيلا فى صدرها وشفتيها وعينها وخديها وفى كل موضع من أعضاء جسمها الساكن الهادء ثم تحول

ة الى الجموع المحتشده حولها وخاطبها بصوت عال قائلا هاهى زوجتى
كتكم وسيدة الجميع : اسجدوا لها وقدموا فروض الطاعة الواجبه
ثم وقف الى جانبها باسما بينما تقدمت النساء والاولاد والرجال فردا
دا وقبلوا قدميها بخشوع وخضوع وبعد ان انتهوا جميعا تحولت اليه
لات بلهجة واضحة دعنا نغادر هذا المكان ياعبد الحكيم خشية أن
هقنا حرارته المقبضه نعم نعم سنغادره حالا اى حبيبتى اى زوجتى
ى مليكتى الطاهرة اذن الى الحديقة ياعبد الحكيم فانها سلواى وماحب
قال عليها وقبل يدها وعلى ثغره ابتسامة رائعه ثم قال نعم الى الحديقه
حبيبتى حيث الطبيعه صامته لترفرف باجنحتها الطاهرة على أرواحنا السعيدة الهانئه

(الفصل الخامس والعشرون)

قم بنا ياعزيزى الى الصحراء لانى أود أن أشهد مناظرها الصامتة الرائعة
تلك كانت اول عبارة فاهت بها فاطمه بعد ان انفردت مع عبد الحكيم
حديقة قصره وسارا بعد وصولها فى ممراتها الضيقة تحت ظلال الاغصان
صفوف من اشجار النخيل والزيتون والكروم الخضراء . وعلى مقربة
منها الورود الحمراء والصفراء والازهار المفتحة مرتفعة بشكلها البديع فوق
الياسمين الابيض الجميل . وبين مشهد الطبيعة فى جلالها الرائع وسكونها المهيب
سكونها الشامل الذى لايعكره شىء غير تغريد بعض الطيور والعصافير تقدم
عبد الحكيم الى فاطمه واحتضنها بين ذراعيها ثم قبلها وهمس اليها قائلا . —
اى فتاة الجميلة . زوجتى . حبيبتى . ولكن لم تحتمل فاطمة ذكر الماضى
تطفو على عقلها لتعذبها بالآم نفسية مبرحة بعد ان حاولت عبثا ان تبعد عن
خيلتها فكرة الشك فى أقوال الجارية فارتخت اعضاؤها وسقطت بين ذراعيه
فى غيبوبة وذهول وهى تهذى قائلة « آه . أيتها الاقدار القاسية . أهذا جزائي
هذه نهايتى ! ؟ وماذا فى الحياة بعد الآن ! ؟ آه . لاشيء . لاشيء . : اذن
وداعا يا احلام الشباب : وداعا يا آمال الصبا : وداعا أيتها الآمال المجدية من كل أمل
ورجاء » واعقب ذلك فترة من بلادة اليأس والاستسلام افاقت بعدها
فاطمه على صوت قبلات عبد الحكيم فشعرت بثورة الالم تمزق قلبها وتدمى

فؤادها فانحدرت من عينها دمعة سخينة وقالت . دعنى اذهب الى الصحراء . الى الصحراء ياعبد الحكيم : وبينما كانت تلقى على اسماعه رجاءها المتكرر شعرت بثورة الهياج وبريقها يلمع فى عينيه واحست بنار الغضب تتقد فى صدره فتراجعت قليلا واذابه ينثنى اليها متلطفا ويقول ـ لم تفكرين كثيراً فى الصحراء ياحبيبتى أتحبينها حقا ؟ ـ نعم ياعزيزى . فى الصحراء وسكونها الصامت ورمالها الفسيحة وعزلتها الهادئة أشعر بالراحة والحرية العذبة . وما احوجنى الآن واحوج قلبى الكليم الى الوحدة والسكون والطمأنينة والراحة . وبعد لحظة قضاها عبد الحكيم فى تفكير طويل قام فى بطىء وسكون وسار معها الى باب كبير وقال «لن تلمسى الحرية بالمعنى التى تنشدينها به لأن الحب يأبى أن يفر من خطيرته احد » واستمرا معا فى سيرهما حتى وصلا الى بدء الفضاء الهائل واول حدود الصحراء اللانهائية وعلى مقربة منها قامت وسط الرمال اللامعة خيمة كبيرة لم تلبث ان أشارت اليها الفتاة وتساءلت عنها رغبة منها فى اكتساب الوقت قائلة ـ ماهذه ياعبد الحكيم : ـ خيمتى الخاصة ياحبيبتى . فانا ابن الصحراء وربيب رمالها قبل ان أكون اميرا مدنيا حاكما : وكثيرا ماتحدثنى نفسى ان اتجرد من مظاهر الابهة وصولة الحكم فاهجر القصر وجوارية الى خيمتى الوحدة والهدوء والطمأنينة الوادعة ، ثم انقطع عن الكلام فجأة انتفض من مكانه كما لدغة العقرب وتقدم الى شبح كان يسلل فى الظلام الحالك قادما نحوه وصرخ بصوت مرتفع قائلا ـ من هناك ، من هناك ، ولم تمض لحظة حتى اندفع نحوه هذا الشبح وانتصب امامها واقفا وتبينته فاطمه فاذا بها امام حسناء عربية فاتنة وقفت امام عبد الحكيم رافعة الرأس تبعث من عيناها الزرقاوان شرر الغيرة المتطايره وفى يدها مسدس صغير وعلى وجهها دلائل الحقد الظاهر والشر الكامن ولما التقت عيناهما قطب حبينه ونظر اليها نظرة غاضبة ثم قال ـ أى شأن لك هنا ياحكمت ، ، فاشارت حكمت بمسدسها الى الخيمة واجابت ـ هنا : بين حوائط هذه الخيمة ، وفى هذا الفضاء الرهيب ، أحبيتنى ياعبد الحكيم وأقسمت لى يمين الطاعة والوفاء فاخلصت لك وأصبحت زوجك الوحيدة الوفية ، وهنا ايضا ، امام حبات الرمال المتناثرة تسعى الآن فى تمثيل مأساتنا

الاليم مع فتاة اخرى مسكينة هي، فاطمه البائسة البريئة . وساد المكان فترة سكون قصيرة اعقبها عبد الحكيم بصياحة قائلا . ـ صه لاتتكلمي ياخبيثه اتزمي السكون ولكن ما كان هناك سكون الا سكون الصخراء الساخرة تخللته ضحكات الهزء والسخرية من ضحكات الثائره التي لم تلبث أن اعلنته بقسوه قائلة ـ انني لا اعرف للانسان سكون الا سكون الموت ـ ياعزيزي

فتنهدت فاطمه وزفرت زفره حارة لانها ادركت القصد من كلامها ومرمى عبارتها الثائره وذكرتها ايضا ساعتها حديث الجارية ووعودها السابقة فتحولت برعشة ظاهرة والتفت فظره حائره الى تمثال الثبات الذي انتصب بجانبها غير هياب من الموت ولا وجل ولم تلبث أن تلتها بنظره فخار واعجاب بشجاعته النادره . ولئن تكن قد مرت بها من قبل ساعات تمنت فيها الموت وآثرته لنفسها على الحياة الا أنها لم تحتمل ان يراق دمه باردا امام عينيها الرقيقه الهادئة فصاحت بقلق واضح قائلة ، ـ كن على حذر منها ياعبد الحكيم ، فانها تقصد بك سوءاً وشرا عاجلا ، أي نعم ، ولكنها غبية مسكينة ساخره ، أنها كانت زوجك ايام فرفقا بها ، ـ نعم أنها كانت واحده من جواري العديدات ولكن لن احتمل منها بعد اليوم هذرا اولهوا ثم تحول اليها وقال بلهجة الآمر ـ اعطني المسدس ياحكمت وغادري قصري في الحال فقد انقطعت كل صلة بيني وبينك بل أنت من الآن طالقة . فانتفض جسمها من الغضب وصرخت صرخة هائلة ثم صاحت ـ عبد الحكيم ، لازلت أحبك ؟ ولا تحتمل نفسي ان أراك أمامي بجسمك بعيدا عني بروحك لا أستطيع أن أراك مع فتاة اخرى اروع مني بهاء واشد ذكاء ومعنى هذا عندي الموت الموت الابدي ياعبد الحكيم واذا فتعال معي اليه . الى الراحة السرمديه . فلئن كنت لم اسعد بحبي معك في الدنيا فلنسعد به سويا في الآخرة ثم دوت في الفضاء رصاصات متواليات ثم سكون هائل عميق وكان الوقت قد أمسى وهبطت كسف الليل تغطي الصحراء واشتمل الفضاء الساكن في رداء من الوحشة والظلمه بينما رددت الرياح صدى الطلقات ـ في كل مكان وفاطمة لا تزال جامدة في مكانها من الخوف والفزع وانقضت لحظات اندفعت بعدها الى عبد الحكيم الذي سقط صريعا يتلوى على الرمال المخضبة بالدماء وصاحت ماذا فعلت ماذا فعلت ايتها الغبية الحمقاء ؟ ولكن حكمت كانت قد ولتها ظهرها وسارت ـ في طريقها ترسل في الفضاء بين ان وآن ضحكات الانتقام العالية وتركتها وحيدة

مع عبد الحكيم الذى هز رأسه يائسا واشار اليها بالاقتراب فلم تلبث فاطمه أن دنت منه ومرت بيدها على جبينه وقالت . هل من خدمة اقدمها لك أأعود الى القصر فآتى معى بمن يساعدنى على نقلك ؟ تكلم . تكلم ياعبد الحكيم

فعلت وجهه صفرة خفيفه وبدت عليه دلائل الهدوء والسلام وهز رأسه ببطء ثم قال كلا كلا . لا تتركينى بل ابق معى الى النهايه فالمنيه قريبه منى انى اشعر بها ولكنى لا اخشاها وشكراً للسماء لانى أشعر الآن بالراحه من عناء الحياة آه الحياه : ما أوجمها شجرة زهرها شوق وثمرها مر وكر للآلام ومهد للشقاء بحر كاذب وسراب خادع مسحه زائلة وزهرة ذابله ثم زوال فى زوال فى زوال وأنت ايها الموت مريح الابدان ومزيح الاحزان والاشجان متى القاك ؟ متى تلمس ايها الموت روحى بانا ملك الرهيبه فارتعش الرعشه الاخيره متى ياموت تسمح بحمل رفاتى الهادئة الى مكان سحيق لا عودة منه ولا رجوع . ؟ متى ياموت اغمض الجفن واودع الحياة الوداع الاخير ثم متى ياموت يقطف ربى زهرتى ويضعها فى طاقته الجميلة . ؟ أواه . انى اسمع انينا يقول الآن . الآن ! اذن فليكن ! ويارب عجل فقد آن الاوان .

وانت يافاطمة ! . ثم تطلع اليها واطال النظر الى عينها وعلت شفتيه رغوه الموت وبحشرجه واضحة استجمع قواه وقال بصوت خافت لا يكاد يسمع فاطمه ! انى على أبواب الابدية . انى أموت . انى أموت يافاطمه والآن اعترف لك بذنبى . بجريمتى بجنايتى . بخيانتى يافاطمه . احببتك وقدستك فدفعنى الحب الى الجنون . دفعنى الى الغدر بك : وبحبيبك : وبمكيده دبرتها مع سعاد وحيله من السحر والدهاء . جعلتك تعتقدين بخيانة عفت . وبأنه قد تحول فى حبه اليك . وشىء من هذا لم يكن . والآن . الآن يافاطمه سامحينى . اصفح عنى ، سامحينى يافاطمه لالقى ربى طاهرا ، خالصا ثم لالقاه نقيا خالصا ثم قبليني يافاطمه لاشعر حقا بانك قد صفحت عنى فتطيب نفسى وتهدأ فى التراب رفاتى قبليني يافاطمه ولكن كان صعبا على نفس فاطمه أن تقبله أن تنفذ ارادته ، أن تحقق رجائه ، فلبثت جامده فى مكانها برهة طويلة ، واخيراً كبر عليها أن ترى شبح الموت بجلاله يرفرف على روحه المعذبة وهى تضن عليه فى اللحظة الاخيره بقبلة واحده ، فتقدمت نحوه ومالت فوق وجهه ووضعت على ثغره قبلة طويلة صامته كانت قبلة الوداع الاخير وهنا اسلم عبد الحكيم الروح ولفظ النفس الاخير

الفصل السادس والعشرون

نعود الآن الى عفت فنقول انه ابدى رغبته الصادقه لسعاد ان يسارعا تو بالعودة الى مصر بعد انتهاء حفلة الزفاف واجابة لرغبته أبحر اليخت (احسان) يحمل سعاد ووالدها وحبيبها عفت قاصداً شواطىء البحر الابيض . ولكن القضاء القاسي والقدر المستبد كان ساهراً على أرواحهم اللاهية وأراد أن يلعب دوره في تمثيل هذه الرواية كما لعبه أشخاصها من قبل فارسل على أبصارهم غشاوة جعلتهم لا يفكرون في المستقبل ومخبآته وفي الليله التاليه بعد أن تناول العروسان طعام العشاء أخذ عفت يتمشى على ظهر اليخت وبعد أن أطال النظر كثيرا الى الفضا اشار الى غيوم كثيفة قاتمة تلبد بها الجو وقال أخشى أن تكون هذه السحب نذير عاصفه هوجاء وكانت سعاد متعلقه بذراعه في هذه اللحظة فمالت برأسها على كتفه وقالت حبيبي . انني ابتهل الى الله ان تتم رحلتنا في هدوء وصفاء فنقضي شهرنا شهر العسل في جو هادىء ورياح معتدلة ودفء لذيذ فسكت عفت ولم يجب واجتهد ان يظهر أمامها اثناء رحلته بمظهر المحب المخلص والعاشق الواله بينما كانت تجاويف قلبه تحمل لها اكبر كراهيه واشد مقت فكان يحدثها آونة باحاديث يبعث السرور الى قلبها التأثر واخرى يتحدث اليها عن البحر واطواره واسفاره ورحلاته بينما استمر اليخت في سيره طول الليل بسرعه اعتياديه وفي فجر النهار التالي هبت عليه عاصفه تلاعبت به وجعلته يتمايل تارة الى اليمين واخرى الى اليسار وفي منتصف النهار اخذت الامواج والعواصف تلعب به الى أن دفعته في النهايه الى صخور كانت مختفيه تحت سطح الماء فاضطرب واخذ يغرق بمن فيه رويدا رويدا ولما رأوا من على ظهره أن لا أمل بالنجاة قذفوا بانفسهم الى الماء وتبعهم عفت يحمل بين ذراعيه سعاد وكان الجميع متمنطقين باحزمه النجاة وظلوا يكافحون الامواج الى أن تمكنت في النهايه من فصلهم وابعادهم عن بعضهم واصبح كل وحيدا يغالب الموج والموج يغالبه ولم تمض لحظه قصيره على انفصالهم حتى دار اليخت حول نفسه ثم غاص بمن

فيه وابتلعه البحر الهائج واشتد جهاد عفت فى مكافحه الامواج الثائرة وكادت ان تفنى قواه الخائرة من شدة العياء والتعب واضطرا خيراً الى الاستسلام يائسا للاقدار القاسيه الى أن ادركته موجه هادئه قذفت به الى الشاطىء الرملى مع انقاض اليخت المتحطمه ومضت سعات قضاها عفت فى غيبوبه طويله افاق بعدها ليرى الشمس قد برزت خجلى من بين السحب تعلوها حمرة الحياء وليجلس مستدفئا بحرارتها فوق رمال الشاطىء يغرض تارة فى الضحك العالى ويتاسف اخرى للخساره المضاعفه التى حلت به بفقد سعاد ويحنها الجميل (احسان) الذى لم يبق من آثاره ورجاله على قيد الحياة الا انقاضه المتحطمه وشخصه الوحيد وامسك عفت هنيهه عن التفكير ليتطلع الى البحر الغاضب تارة وما يحيط به من مشاهد الصحراء اللانهائيه تارة اخرى واخذ يدور بعينيه هنا وهناك الى ان وقع بصره على خيال تبينه فاذا به فتاة تسير متجهه نحو الشاطىء واطال التفرس فيها كثيرا ولدهشته انتفض من من مكانه كأنه لم يصدق ما رأته عيناه فاراد أن يلمس الحقيقه بيداه فهم واقفا على الفور ثم صاح

عجباً : ماذا أرى ؟ فاطمه .

ثم وقف فى مكانه جامدا لا يستطيع حراكا بينما تقدمت اليه الفتاة بخطوات ذاهله وهى تصيح بدورها قائله .

عجبا عفت

واندفعت نحوه بذراعين ممدودين وعينين دامعتين وهى تقول

ـ شكرا لله ، شكرا لله ياعفت الذى جمع شملنا المره الثانيه

ثم ارتمت بين ذراعيه وكانت لاتزال بلباسها العربى الفضفاض وشعرها الاسود المنسدل أشد حلكة من سواد الليل وجهها اللامع انصع بياض من اللؤلؤ تعلوه صفرة خفيفه من اثر الجوع والتعب لانها استمرت هائمه فى الصحراء بلا طعام او شراب يوم وليله بعد أن أمعنت فى الفرار خوفا من رجال عبد الحكيم ، وشعرت الآن بالراحه بين احضانه ولذا استسلمت لسلطان

الذهول والهيام البرىء بينما التفت اليها عزت باضطراب وقال

ـ حبيبتي . حقا انني أود أن افهم كل شيء

فاستندت فاطمه برأسها على كتفه متناسيه انه اصبح زوجا لفتاه اخرى كما جال بخاطرها فى تلك اللحظه وخفق قلبها خفقانا شديدا ثم تنهدت اليه فى سكون قائله

ـ آه ، حبيبي ، بربك لا تسألني عن شيء ؟ كفى ، انه قد مات

ـ من ؟ من ـ عبد الحكيم ؟

بالسماء وهى أيضاً

ـ من من ؟ باعفت ؟

ـ سعاد ، سعاد يافاطمه فقد ابتلعتها الامواج الغاضبه لمنتقمه ، والآن لم يبق حيا الا روحي وروحك الناعمين

وهنا بين ثورة العواطف وجنون الحب ، بين نشوة الفرح ولذة الهناء ابتسمت فاطمه وانحدرت من عينها دمعه واحده ثم صاحت

ـ أحبك ياعفت ! فدوى فى اذنها على الفور صوت حنون اجاب

أقدسك يافاطمه ،،

ولم تمض ايام قلائل حتى تم بينهما عقد القران وحضر حفله الزفاف افراد الجاليه المصريه فى تونس وفي فجر اليوم التالى غادرا المدينه فوصلا فى ضحى النهار الى الشاطىء واستقلا الباخره (عايده) التى كانت قد عادت من رحلتها ورست فى الميناء

وفى ليله مقمره بينما كانت الباخره على مقربه من ميناء الاسكندريه اختلى عفت بفاطمه فى ركن من أركان السفينة واخذ يناجيها بعبارات رقيقه ويتحدث اليها عن الحب وآلامه والمستقبل وآماله واخيرا همس اليها قائلا

حدثيني يافاطمه عن شعورك الآن ؟ حدثيني عن المستقبل وسعادتنا المنتظره

فالتصقت فاطمه بجسمه التصاقا تاما كأنها تود ان تدخل فى صدره واجابته قائله

ـ أى حبيبى وزوجى وسيدى ، انني أشعر الآن بحراره الحب المتبادل

تنعش روحي الحائره وأجنحة السعاده ترفرف على نفسي البائسه وتطير بي الى عالم الاحلام اللذيذه والغبطه الحقيقيه ، وانت ياعفت المحبوب ، يامن خفق له فؤادي وطارت نفسي حنينا اليه ، يامن كرست له قلبي وهبته روحي ، أنت الذي ناديتني الى الحب فلبى قلبي النداء ! وعلمتني أن أرى في عذابه وآلامه لذه واغتباطا ثم أفهمتني اخيراً معنى تلك الكلمه الخالده (من أحب كثيراً عذب كثيرا)

وهنا تعانقا وتقابلت الشفاه تبادلا قبلات حاره أودعا فيها مافي قلبيهما من قوات الهوى القاتل والحب الشديد ، وعاشت فاطمه مع حبيبها السعيد في صفاء وهناء

تمت بحمد الله وقوته

obeikandl.com